التَّفسِيرُ البَيَانِيُّ لِلقُرآنِ الكَرِيـمِ
سُورَةُ الصَّافَّاتِ اختِيَارًا

سجَّاد رحيم كريم الشَّرِيفيّ

أ.م.د. إيمان عبدالحسين العلياوي

جامعة بابل/ كلية علوم القرآن

sajadsun888@gmail.com

Graphic interpretation of the Holy Qur'an
Surah As-Saffat by choice

Prof. Dr. Iman Abdul-Hussein Al-Alawi
Sajjad Rahim Karim Al-Sharifi
University of Babylon/College of Quranic Sciences

المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهَّ الَّذي أَنْزَلَ القُرْآنَ فِي أَحسنِ بَيانٍ ووَصَفَهُ بالمُبَارِكِ ليتَدَبَّرَ الخَلْقُ بأَنوارِهِ وحَقائِقِهِ وأَسرارِهِ وليَتَذَكَّرُوا بحِكَمِهِ ومواعظِهِ وأَحكامِهِ اسْترشَادًا بقولِهِ تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[1] وصَلَّى اللهُ (جل جلاله) على المُخَاطَب بالبيانِ محمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) الخَيرِ وتُرجُمانِ القُرآنِ وعلى آلِهِ طُرُزِ الرِّفْعَةِ ودُرَرِ الهِدايةِ والرَّشادِ.

لا جَرَمَ أَنَّ كتابَ الله (جل جلاله) هو العطاءُ الإلهيُّ الخَالدُ، والمُعجزةُ السَّرمديَّةُ والأَبديَّةُ الَّتي لا تَعْرِفُ الارتكاسَ والانتكاسَ هو الحقُّ المبينُ، والنُّور المُستبين، لا تَنْقضِي عجائبُهُ ولا تفنى غرائبُهُ، هو البيانُ الَّذي لا يَخْبُو مصدرُ الحقِّ والخيرِ والعطاءِ والبيانِ.

مِن هُنَا فإنَّ النَّظرَ في هذا الكتاب فَهْمًا ومُدارسةً وتَفْسيرًا وقراءةً وحِفْظًا وغيرها من اللَّوازمِ على كُلِّ مسلمٍ ومِن العُلُوم الَّتي شَرُفَتْ أَنْ تكونَ في القِمَّةِ العُلَى والمِرْقَاة الأَسْنَى عِلم التَّفسير، فَهُو رأس كُلِّ العُلُوم وشريفها أَوَّلُها ظُهورًا أَوسطها نورًا، فَشرافتُهُ من شرافةِ الأَصل القُرآن الكريم، فغايتُهُ وثمرتُهُ هو فَهْم كتاب الله (جل جلاله) فالعُلُوم كُلُّها خَدَمٌ لَه فَهِي اسْتِمْدَادٌ لَهُ واسْترفَاد.

إِنَّ أَصَالةَ النَّصّ القُرآنيّ ومصدره الإلهيّ وإِعجازيَّة خِطَابه جَعَلَت العُلماء يَتنافسُونَ ويَتسابقُونَ في إِدراك حقائقِهِ والظَّفرِ بمقاصدِهِ، والاستمساك بأَسرارِهِ، فكَثُرتِ الْفُهوم

(١) سورة ص: ٢٨.

والقِرَاءات والمُمارسات في تِبْيانِ معانيه وكَشف دَلالاته وتَقصِّي حقائقِهِ، فتلوَّنت المَناهجُ التَّفسيريَّة وكَثُرت، لأَنَّ شرافةَ الأَصل وعظمته تتطلَّب هذا الحِراك البيانيّ والتَّسابق الكَشفيّ في الظَّفرِ بالدَّلالاتِ المُحتملة والمعانِي المُرَادة.

ومن هَذِه المناهج التَّفسيريَّة الَّتي كانَ لها إِسهامةٌ في كَشفِ أَسرارِ النَّصّ القُرآنيّ وتوضيح دَلالات الأَلفاظ الإِفراديَّة والتَّركيبيَّة، واستظهار مراميه ومقاصدِهِ منهجُ التَّفسير البيانيّ الَّذي يُمثِّل مرحلةً مِن مراحلِ المنظومة التَّفسيريَّة في ثَقَافتنَا الإِسلاميَّة ؛هذا المنهج القائم على إِعمالِ مجموعةٍ مِن الخُطُواتِ التَّطبيقيَّة المتنوّعة والآليات الإِجرائيَّة المتلوّنة الَّتي تتضافرُ في الوصولِ إِلى أَعلى درجاتِ فَهْم الخِطاب القُرآنيّ، وبلوغ حقائقِهِ ومراميهِ ومقاصدِهِ.

ولما كانَ هَذا المنهج مُتْشَعبًا في خطواتِهِ واسعًا في إِجرَاءاتِهِ التَّطبيقيَّة، فإِنَّ التَّطبيقَ كانَ مقصورًا عندَ الَّذينَ مَارَسُوا هذا المنهج في تفسير القُرآن الكريم على السَّورِ القِصارِ مِن جهةٍ وعلى السّورِ ذَات الآياتِ القِصَار من جهةٍ أُخرى خَشية الضَّياع في تشابُك الخُطُوات المعرفيَّة وتداخلها في ممارسةِ القِراءة البيانيَّة للنَّصِّ القُرآنيّ.

فوقعَ الاختيارُ بالتَّشاورِ مع مشرفتِي على البحث الدُّكتورة إِيمان عبد الحسن المُوقَّرة أَنْ تكونَ سُورة الصَّافَّات المباركة محلَّ البحثِ ومناطَ الدَّرسِ، هذه السَّورة مِن السُّورِ الَّتي لَمْ يَقِفْ عليها مَن مارسَ هذا المنهج توظيفًا وتطبيقًا، فوجدنَا أَنْ يكونَ عنوان البحث: التَّفسيرُ البيانيُّ للقُرآنِ الكريم (سُورةُ الصَّافَّاتِ اختيارًا).

وبَعدَ قراءةِ المصادرِ والمراجعِ المُتصلة بالمنهجِ التَّفسيريّ البيانيّ من جهةٍ والوقوفِ على بياناتِ المفسّرينَ والبيانينَ ممَّن كتبوا في معانِي القرآن ومجازه وغريبه وإِعرابه ومُشكله وتَأْويله بقدرِ الوُسْع والمُكنة ولاسيما المتصلة بسورة الصَّافات، شَرَعْتُ برسم هَيكليَّة خُطَّة البحث فجاءت في مقدِّمةٍ وتمهيدٍ ومبحثَينِ، جاء التَّمهيد بعنوان:(التَّفسيرُ البيانيُّ وسُورةُ الصَّافَّاتِ-مقارباتٌ تأصليَّةٌ-)، فكان مدخلًا عامًّا خصصناهُ للتَّفسير والبيان

وتعريف بسورةِ الصَّافَّاتِ المُباركة فتحدَّثْتُ فِيهِ عَن مَفْهُوم التَّفسير في محاورَ ثلاثة، اللُّغة والاستعمال القُرآنيّ والاصطلاح، ثُمَّ تحدَّثْتُ عَن مَفْهوم البيانِ في محاورَ ثلاثةٍ أيضًا اللُّغة والاستعمال القُرآنيّ والاصطلاح ومن ثُمَّ تعريف التَّركيب الوصفيّ (التَّفسير البيانيّ) بوصفِهِ مركَّبًا وخَتَمْتُ التَّمهيدَ بكَشْفٍ موجزٍ عَن سُورةِ الصَّافَّاتِ المُباركةِ: اسمها ونوعها وعدَّد آياتها وتسلسلها ثُمَّ تبيان مضامينها وفضائلها.

وانعقدَ المبحثُ الأَوَّل بعنوان:(المنابعُ الأُولى للتَّفسيرِ البيانيِّ وخُطُواتُهُ الإجرائيَّةُ) وجاءَ في مطلبينِ، الأَوَّل: المنابعُ الأُولى للتَّفسيرِ البيانِيِّ (كتبُ مَعانِي القُرآنِ، كتبُ مَجازِ القُرآنِ وغَريبُهُ ومُشكلُهُ، كتبُ بلاغةِ القُرآنِ وإعجازهُ، كتبُ التَّفسيرِ)، والثَّاني: الخُطُواتُ الاجرائيَّةُ للتَّفسيرِ البيانيِّ، وقد تلمَّسْنَاهَا فِي ظلِّ معاينةِ أَعلامِ المدرسةِ التَّفسيريَّةِ البيانيَّةِ، ولاسيما الشَّيخُ محمَّد عبدُهُ والشَّيخُ أَمينُ الخُولي وجماعةُ الأُمناء والدُّكتورة عائشة عبد الرَّحمن والدُّكتور فاضل السَّامرائِيّ.

واختصَّ المبحثُ الثَّاني بدراسةِ:(توظيفُ خُطُوات التَّفسير البيانيّ في سُورةِ الصَّافَّاتِ) وانعقدَ في مطلبين، الأَوَّل: خُطُوات التَّفسير البيانيّ المتعلِّقة بخارجِ النَّصّ وهي: أَسباب النُّزول والواقع البيئيّ وأَثره في توجيه الدَّلالة، والقَصص القُرآنيّ، القِرَاءات القُرآنيَّة، مرويات النَّبي(صلى الله عليه وآله) وأَهل بيته (عليهم السلام) وصحبه المنتجبينَ، والاستدلال بالشِّعر العربيّ، وتَفرَّدَ المَطلبُ الثَّاني بتبيان: خُطواتُ التَّفسيرِ البيانيِّ المتعلِّقةُ بجوهرِ النَّصِّ وصَميمِهِ وهي: النِّظامُ اللُّغويُّ وتفرعاته (الجانبُ الصَّوتيُّ- الجانبُ الصَّرفيُّ- الجانبُ النَّحويُّ)، البلاغةُ(البيان- البديع)، التَّفسيرُ الموضوعيُّ، مُراعاةُ سِياق النَصّ القُرآنيّ، عِلم المناسبة التَّرابُط بينَ الآياتِ والسُّور، أمَّا الخاتمة فقد ضمَّنَاهَا النَّتائج الأَساسيَّة الَّتي اسْتَحْصَلْنَاها في التَّمهيدِ والمبحثَينِ.

وكانَ المنهجُ العلميّ المتَّبع في بحثِي هو المنهج: (الوصفيّ التَّحليليّ) القائم على الوقوفِ على الخطوات الَّتي ارتكز عليها منهج التَّفسير البيانيّ سواءٌ أَكانت المتعلِّقة

بخارج النَّصّ القُرآنيّ أم المتعلّقة بداخلِ النَّصّ القُرآنيّ ومحاولة تحليل النُّصوص في ضوء تَوظِيفهَا في فَهْمِ النَّصِّ القُرآنيّ.

ولابُدَّ مِن القولِ: إنَّ هذا البحثِ هو ثمرةُ جَهْد السَّنوات الأَربع الَّتي قضيتها في كُلِّيَّةِ العُلُوم الإِسلاميَّة العامرة، ولا سيما في قِسم عُلُوم القُرآن المُبارك، هذا البحث الَّذي استمدَّ من فِكَرِ أَساتيذي الكِرَام السَّديدة والقَيِّمة في تخصّصاتِهم كافَّة، فَقَدْ استمدَّ هذا البحثُ من تخصّص التَّفسير وعُلُومه وتخصّص الصَّوت والصَّرف والنَّحو والبلاغة فضلًا عَن الحديثِ الشَّريف، زِدْ على ذلكَ التَّشابك المعرفيّ والتَّداخل البَينيّ للعُلُوم الإِسلاميَّة الَّتي استمدَّ منها البحث ؛لأَنَّ هذا المنهج التَّفسيريّ البيانيّ قائم على هذا الاستمداد والاسترفاد من الفِكَرِ المتنوعةِ والمنابع المتلوّنة.

وكانت الطَّريق محفوفةً بالصِّعاب ولاحت في الأُفقِ العقباتُ، ولولا رَحمة الله(جل جلاله) وتشجيعُ مشرفتي، لتوقَّف العمل ولما وصلَ إِلى هذه الصُّورة الَّتي أَسأل الحَقَّ(جل جلاله) أَن تكونَ مرضيَّةً مقبولةً.

ويطيبُ لي وأَنا أَكْتِبُ السُّطور الأَخيرة من هذه المقدِّمة أَن أَتقدَّم بخالصِ الشُّكر وعظيم الامتنان إِلى أَساتذتي كافَّة في كُلِّيَّة العُلُوم المبارك ممَّن عَلموني وإِن كلمةً فالفضلُ لله (جل جلاله) ولهُم على مَا وصلتُ إِليهِ وأَتقدَّم بالشُّكر لمشرفتي الدُّكتورة إِيمان عبد الحَسن على رعايتِها العِلميّة والتَّربويَّة سائلًا الله (جل جلاله) أَن يحفظها ويُنير دَرْبَها في العِلم والتَّزوّد بالمعرفةِ.

وأَضعُ جَهديَ هذا بين يَدَي لجنة المُناقشة فإِنَّ كانَ خيرًا ومباركًا فأَحمد الله (جل جلاله)، وإِن كانَ فِيهِ قصورٌ وتقصيرٌ فإِنّي اجْتهدتُ ولَمْ أَدَّخر جَهْدًا فِي البحثِ والقِراءةِ والمُدراسةِ فكانَتْ قُطوفُ هذا العَمل الَّذي أَحَسْبُه يَسيرًا قالَ اللهُ (جل جلاله): ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[1].

(١) سورة النجم: ٣٩-٤١.

الكلماتُ المفتاحيَّة: التَّفسير، البيان، الصَّافات، معاني القرآن، إعجاز القرآن، بلاغة القرآن، الشيخ محمّد عبدُه، - جماعة الأمناء - الخطوات المتعلقة بخارج النّص، - الخطوات المتعلقة بداخل النَّص، النّظام اللغويّ، التَّفسير الموضوعيّ.

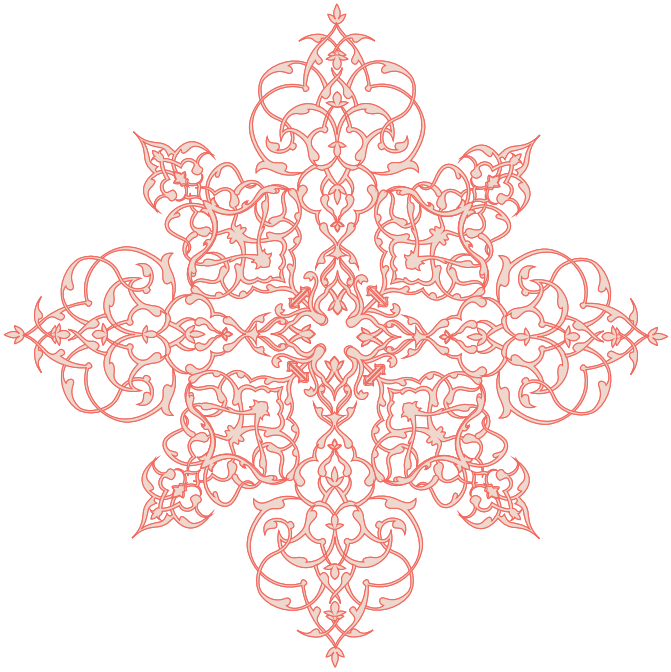

التَّمهيدُ: التَّفسيرُ البَيَانِيُّ وسُورةُ الصَّافَّاتِ (مُقَارَبَاتٌ تَأصيليَّةٌ)

المطلبُ الأوَّلُ: التَّفسيرُ البيانيُّ مُقارباتٌ تأصيليَّةٌ

سأَعرضُ في هذا المطلبِ المَسَارَاتَ التَّعريفيَّةَ للمُركَّبِ الوَصفيّ (التَّفسير البيانيّ) بتجزئتِهِ لجزأَينِ (التَّفسير، البيان) واستِظهارِ الاسْتعمَالَات اللُّغويَّة والقُرآنيَّة والاصْطِلَاحِيَّة ؛لِنستحصِلَ فِي كُلِّ مسارٍ مُؤشراتٍ مَفهوميَّةً لهذينِ المصطلحينِ ومِن ثُمَّ نَتَوصلُ لِتعريفِ المركَّب الوَصفيّ.

أوَّلًا: التَّفسيرُ تعريفًا:

١. التَّفسيرُ في الاستعمالِ اللُّغويّ:

صيغَ هذا المُصطلحُ صَرفيًّا على وزنِ التَّفعيلِ دَلالةً على المُبالغةِ فِي اسْتِحْصَالِ مَا فِي معنَاهُ، التَّفسيرُ مُشتقٌّ مِنِ الفَسْرِ عندَ الخَليلِ (ت١٧٠هـ) قالَ: «التَّفسيرُ وهو بيانٌ وتفصيلٌ للكِتابِ، وفَسَرَه يُفسِره فَسْرًا، وفَسَّرَه تَفسِيرًا»[١]، فدلالةُ التَّفسيرِ عنده مُنحصرةٌ بينَ البيانِ والتَّفصيلِ.

وأَيدَ ابنُ فارس (ت٣٩٥هـ) أَنْ يكونَ مَعنى التَّفسيرِ هُو التَّفصيلُ[٢]، وأَضافَ

(١) العين: ٧/ ٢٤٧، مادَّة(فسر).

(٢) يُنظر: الصَّاحبي في فِقه العربيَّة ومَسائِلُها وسُنن العرب في كلامها: ١٤٥.

في معجمِهِ دَلَالةً أُخرى بقولِهِ:«الفاءُ والسِّينُ والرَّاءُ كلمةٌ واحدةٌ تدلُّ على بيانِ شيءٍ وإيضاحِهِ. مِن ذلكَ الفَسْرُ، يُقالُ: فَسَرْتُ الشَّيءَ وفَسَّرْتُهُ والفَسْرُ والتَّفْسِرَةُ: نظرُ الطَّبيبِ إلى الماءِ وحكمُهُ فِيهِ»[١]، فالمعنى الجديدُ الَّذي أَضافَهُ هو الإيضَاح. وأَشارَ الرَّاغبُ الأَصفهانيُّ(ت٥٠٢هـ) إلى أَنَّ دلالةَ (الفَسْر) تظهرُ المعنى العَقليّ[٢].

ولمْ يبتعدْ ابنُ منظور (ت٧١١هـ) كثيرًا عَن المُتقدمِينَ فالفَسْر عنده البيان وفَسَرَ الشَّيءَ أَبانَه ووسَّعَ دائرةَ المعاني بدَلالةِ الكَشفِ بقولِهِ: «الفَسْرُ: كَشْفُ المُغَطّى، والتَّفْسير كَشف المُراد عَنِ اللَّفْظِ المُشْكل»[٣].

وعَدَّتْ طَائفةٌ التَّفسير مشتقٌ مِن (السِّفَر) مَقلُوبُ الجذر الأَوَّل (الفَسْر)[٤]، فعندَ معاينةِ البياناتِ اللُّغويَّة لمادة (سفر)نراهَا تُشيرُ إلى الدَّلالاتِ الحسيَّة لمادَّةِ وهي تُعين على الوصولِ إلى الدَّلالةِ المعنويَّةِ المُرَادة، منها: سَفَرَ البيتَ، كَشْفُهُ وتَنْظِيفُهُ، وسُقوط الأَوراقِ التَّسفير، وسَفَرَتْ الرِّيحُ الغَيمَ، أَي: قَشَطَتْهُ عنه، ومنه السَّفر لأَنَّه يُسْفِرُ عَن الأَماكنِ ووجوهِ المُسَافرِينَ وأَخلاقهم، ومنه سَفَرَ البعيرَ والفَرس أَي: تعريته وتجريده كي يَنْطلق[٥]. وإِسفَارُ الوَجهِ أَي: إِشراقهُ[٦]، والسَّفْر الكَشْفُ والإِيضاح أي: سَفَرْتُ الشَّيءَ كَشَفته وأَوضحته وكذلكَ سَفَرَتْ المَرأةُ كشفَتْ وجهَها وأَسْفَرَ الصُّبح أي: أَضاء[٧].

ويَرَى أَمينُ الخُولي(ت١٣٨٥هـ) أَنَّ مادتي (ف،س،ر) و(س،ف،ر) تلتقيان في معنى الكَشفِ، إذ أَنَّ مادةَ (ف،س،ر) كاشفةٌ عن المعنى الماديّ، أَمَّا مادَّة (س،ف،ر)

(١) يُنظر: مقاييس اللُّغة:٧١١، مادَّة (فسر).
(٢) يُنظر: مُفردات ألفاظ القُرآن: ٦٣٦.
(٣) لِسانُ العربِ:٦/ ٣٦١، مادَّة(فسر).
(٤) يُنظر: المبادئ العامة لتفسير القُرآن الكريم، الدُّكتور محمَّد حسين الصَّغير :١٥.
(٥) يُنظر: تهذيب اللُّغة، الأَزهريّ: ١٢/ ٢٧٩، مادَّة (سفر).
(٦) يُنظر: مختار الصِّحاح، الرَّازيّ: ١٤٨، مادَّة (سفر).
(٧) يُنظر: المُصباح المنير، الفَيوميّ:١٨٧، مادَّة (سفر).

كاشفةٌ عن المعنى المعنويّ[١].

وهذا ما أَيّده الدُّكتور محمَّد الصَّغير أَنَّ التَّفسيرَ سواءٌ كانَ مشتقًا مِن الفِسْر أَم السَّفْر فدلالتِهما لا تخرجُ عن الكَشفِ والبيانِ والإظهارِ[٢].

ممَّا تَقدمَ يتبيَّنُ: أَنَّ معنى التَّفسيرِ دالٌّ على (البيانِ، التَّفصيلِ، الإيضاحِ، الكَشفِ، الإظهارِ) وفي المعجمِ الوَسيطِ فَسَّر بمعنى: شَرَح فنضيفُ دلالةَ الشَّرح[٣]، بذلِكَ نَخْلُصُ أَنَّ التَّفسيرَ يتمحورُ حولَ ستِّ دلالاتٍ في مسارِه اللُّغويَّ.

٢. التَّفسيرُ في الاستعمالِ القُرآنيّ:

وردَتْ لَفْظَةُ (التَّفسير) فِي القُرآنِ العَظيمِ مَرةً وَاحِدَةً فِي قولِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[٤] ورغمَ ورود هذه اللَّفظة مرةً واحدةً فِي القُرآنِ العَظيمِ إِلَّا أَنَّ المفسرينَ لَمْ يَخُوضُوا في البحثِ فيها على وجهٍ يُبْرز دَلالة التَّفسير القُرآنيّة بَلِ اقْتصروا على تبيانِ معناهَا مفردةً تارةً ومرتبطةً بالسِّياقِ تارةً أُخرى ولَم يَبتعدوا في عملهم هذا عَنِ اسْتحصالِ ما في اللَّفظةِ مِن مَعْنَى لُغويّ وهذا أَمرٌ مُستغربٌ كَون اللَّفظة مرتبطةٌ بمجالِ بَحثِهم وتخصصِهِمْ بوصفِهِمْ مُفسرينَ للقُرآنِ العَظيمِ[٥]؛من هُنا فإِنَّ الدَّعوةَ حاضرةٌ للوقوفِ على هذا المَفْهُوم القُرآنيّ في ظلِّ النَّصّ القُرآنيّ الوارد فِيه، الَّذي ذكرتُهُ آنفًا في ضوءِ ملاحظة السِّياق الوارد فيه وهو السِّياق الجزئيّ (غير الكامل) باستشرافِ دَلالة مَفْهُوم (بِمَثَلٍ)، ودَلالة مفهوم (بِالْحَقِّ) ودراسة هذا التَّدرج البيانيّ للوصولِ إِلى مقاربةٍ تأَصيليَّةٍ لمفهوم (تفسيرًا)، ثُمَّ الوقوف على السِّياقِ

(١) يُنظر: مناهجُ تجديد في النَّحو والبلاغة والتَّفسير والأدب:٢٧١.

(٢) يُنظر: المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم: ١٧.

(٣) يُنظر: د.نصَّار سيِّد أحمد وزملاءه: ٤٠٣، مادَّة(فسر).

(٤) سورة الفرقان: ٣٣.

(٥) يُنظر: مفاتيح الفَهم القُرآنّي لمفهوم التَّفسير من خلال ثلاثيَّة آية الفُرقان(بحث منشور)، صورية شرفاويّ، د.عمر حيدوسيّ، مجلة العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، العدد ٢٣ جوان(٢٠١٥م): ٩٨.

الكُلّيّ (الكامل) فِي ظلالِ النَّظر إلى أَسرار التَّراكيبِ الَّتي سَبَقَتْ النَّصَّ المُبَارَك.

وسنحاولُ أَنْ نقفَ على بياناتِ العلماءِ فِيمَا يَخُصُّ النَّصّ المُبارك ولاسيما مَفْهُوم(التَّفسير) في ضوءِ الاستعمال القُرآنيّ لهذا المَفْهوم الَّذي ورد مرةً واحدةً في في قولِهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[1] قَالَ ابنُ عبَّاس (ت٦٨ه):«{ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ أَي: تفصيلًا»[2].

وقالَ الفرَّاءُ (ت٢٠٧هـ): «﴿ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ أي: في معنى الكلام والنَّصب»[3]، وأَشارَ النَّحَّاسُ(ت٣٣٨هـ) في تبيانِ معنى هذه اللَّفظة عَن الضَّحاكِ: «أَي: تفصيلًا»[4]، والتَّفسير ما اختصَ بالمفرد من اللَّفظ وغريبهُ كما يَرَى الرَّاغبُ الأَصفهانيّ(ت٥٠٢هـ) وقوله هذا رده إلى معنى الآية ﴿ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[5].

ووجَّهَ الزَّمخشريُّ (ت٥٣٨هـ) دَلالةَ لفظةِ التَّفسيرِ بالتَّكشيفِ عمَّا يدلُّ عليهِ الكَلَام والحُسْن في المعنى ومؤَدَّى الكلام(٦)، ونحَا ابن عطيَّة الأَندلسّي (ت٥٤٢هـ) نحو سبقَه إِذْ قَالَ في معرضِ تفسيرِهِ للآيةِ:«هو أَحْسَنَ تَفْسِيراً وأَفصح بيانًا وتفصيلًا»[7]، وأَلمحَ الزَّمخشريُّ لأَمرٍ هُو أَنَّ الآيةَ المباركة فيها تحدٍّ أَنْ جيؤُوا بمِثلِ هذا الكتابِ بفصاحتِهِ ولَمَّا كان نُزُولُ القُرآنِ مُفرقًا تَحداهم بأَن يأَتوا ببعضِ تِلكَ التَّفاريقِ[8]، وهذا التَّحدي في الآيةِ المباركةِ أَشَار لَهُ ابنُ كثير (ت٧٧٤هـ) في تفسيرِهِ للآيةِ المباركةِ قَالَ «سَعِيدُ بْنُ جُبَيرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿ وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ ﴾ أَيْ: بِمَا يَلْتَمِسُونَ بِهِ عَيْبَ القُرْآنِ وَالرَّسولِ

(١) سورة الفرقان: ٣٣.

(٢) الصَّاحبي في فِقه العربية ومسائلها وسُنن العرب في كلامها، ابن فارس :١٤٥

(٣) معاني القُرآن: ٢/ ٢٦٨.

(٤) معانّي القُرآن:٢/ ٨٢٩.

(٥) يُنظر: مُفردات أَلفاظ القُرآن:٦٣٦.

(٦) يُنظر: الكشَّاف عن حقائق التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل:٣/ ٣٨٤.

(٧) المحرَّر الوجيز في تفسير الكِتاب العزيز:٤/ ٢١٠.

(٨) يُنظر: الكشاف عن حقائق التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل:٣/ ٣٨٤.

﴿إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ أيْ: إِلَّا نَزَلَ جِبْرِيلُ مِنَ اللهِ بِجَوَابِهِمْ. ثُمَّ فِي هَذَا اعْتِنَاءٌ كَبِيرٌ؛ لِشَرَفِ الرَّسُولِ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، حَيْثُ كَانَ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ اللهِ بِالْقُرْآنِ صَبَاحًا وَمَسَاءً، لَيْلًا وَنَهَارًا، سَفَرًا وَحَضَرًا، فَكُلُّ مَرَّةٍ كَانَ يَأْتِيهِ الْمَلَكُ بِالْقُرْآنِ كَإِنْزَالِ كِتَابٍ مِمَّا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَهَذَا الْمَقَامُ أَعْلَى وأجلُّ، وَأَعْظَمُ مَكَانَةً مِنْ سَائِرِ إِخْوَانِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. فَالْقُرْآنُ أشرف كتاب أنزله الله»[1].

وعدَّ الفيروزآباديّ (ت٨١٧هـ) لَفْظَةَ التَّفسيرِ في الآيةِ المُباركةِ اسمًا للقُرآنِ[2]، وقَدْ نَجِدُ هذا الأمر مُستغربًا إِلَّا أَنَّ إِشارتي الزَّمخشريِّ وابنِ كثير للدَّلالةِ الآية تُعَضِّد هذا القَول.

ومِنَ المُحدثينَ مَن قالَ: أَنَّ دَلالةَ اللَّفظةِ بِمَعْنَى الشَّرحِ مع التَّوضيحِ أَمَّا دَلالة البيانِ والكَشْفِ تَعريفٌ تقريبيّ للَّفظةِ[3]، وقال محمَّد الطَّاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ) أَنَّ دَلالةَ التَّفسير هي الكَشفُ عَنِ الحُجَّة والدَّليل وكونه ﴿بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ أي: أَحقُّ فِي الاستدلال وصيغة أَحسن هي أَسْمَى صورة للتَّفضيل جاء للمبالغةِ إذ ليس في حجَّةِ من ابتدأت بهم الآية الحسنُ أَمَّا الكشف عن الحقِّ فأحسن وقعًا في النُّفوسِ والتَّفضيل هُنا حقيقيٌّ وهذا مِنْ دقائقِ الاستعمالِ القُرآنيّ[4].

مِمَّا تَقدَّمَ يتبيَّن: أنَّ دلالَةَ لفظةِ التَّفسيرِ وإِن كانَتْ قَد وردَتْ مرةً واحدةً إِلَّا أَنَّ المفسرينَ لَمْ يَقِفُوا عندها طويلًا على الرَّغمِ مِن أَنَّها تُمثِّلُ مَجال مُمارستِهم العلميَّة ووجَّهوا دَلالتها بمعنى لَمْ يَبتعِدْ كثيرًا عَن الدَّلالة اللُّغويَّة، والدَّلالات القُرآنيّة الَّتي أَحْصَوها تركز على هذه المعانِي: (التَّفصيلُ، التَّكشيفُ، البيانُ، المعنى ومؤدَّى الكلامِ، اسمٌ

(١) تفسير القُرآن العظيم:٦/ ١٠٩.

(٢) يُنظر: بَصائِرُ ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز:١/ ٩٥.

(٣) ينظر: التَّحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن مصطفويّ:٩/ ٩٤، مادَّة(فسر).

(٤) يُنظر: التَّحرير والتَّنوير، ١٩/ ٢٣.

للقُرآنِ، الشَّرحُ مع التَّوضيحِ، الكَشفُ عَنِ الحُجَّة والدَّليل).

والذي يبدو لي كما أشرت من قَبْلُ أَنَّ النَّظر في السِّياق التَّكامليّ والجُزئيّ إلى فَهْم مفهوم التَّفسير الَّذي وردَ مرةً واحدةً في الاستعمالِ القُرآنيّ، ويُمْكُن تقريب هذا التَّصور في ظلِّ المُخطَّط الآتي:

٣. التَّفسيرُ في الاستعمالِ الاصطِلاحيّ:

لا رَيبَ أَنَّ كُلَّ علمٍ يُرادُ تَعريفهُ ودِرَاستهُ يَكْتَسِبُ تَطَورًا تَعريفيًّا بِتطورِ مَنَاهِج البحثِ فِيهِ ولأَنَّ مباحثَ الدَّرسِ التَّفسيريُّ شَغلت عُقول المسلمينَ مِن زمنِ البِعثةِ ليومنَا هذا فكان المفهومُ التَّعريفيّ له مرتبطًا بتطورِ مناهجِ البحثِ في العُلُومِ الإسلاميَّةِ.

وعندَ التَّأصيل اللُّغويّ لمصطلح التَّفسير لا نَرَى خلافًا بين اللُّغويِّينَ فاتَّفق الأَغلب منهم أَنَّ التَّفسيرَ لغةً هو البيانُ والكَشفُ، أَمَّا التَّوسع المَفهوميّ فظَهَرَ جليًّا في التَّعريف الاصطلاحيّ إِذْ ذَهَبَ كُلّ من عرَّف التَّفسير اصطلاحًا بحسبِ عقليَّتِهِ ومرجعيَّتِهِ فالدَّلالةَ المفهوميَّة الاصطلاحيَّة للتَّفسير أَخذت مناحي شَتَى فبعض العُلماء خَلَطُوا بينَ تعريفِ التَّفسيرِ وعُلُومِ القُرآنِ وبعض منهم خَلط بَينَهُ وبينَ علمِ القِراءاتِ وبعض عَرَّف القُرآن وعلوم اللُّغة، إِنَّ التَّعريفاتِ كانتْ منسجمةٌ مَع البيئةِ الفِكريَّةِ لكُلِّ باحثٍ عَرَّفَ التَّفسير وهذه نتيجةٌ طبيعيةٌ لحيويَّةِ القُرآن العَظيم فهو نَصٌّ خالدٌ، وهُو ما إِلتَفَت إِليه أَمين الخولي بأَنَّ القُدماءَ لمْ يُولُوا عنايةً بتعريفِ التَّفسير ولم يكن من العُلُوم العقليَّة المعروفة لدَينَا الآن واكتفوا بوصفِهِ بيان لكلام الله تعالى ويرى أمين خوليّ هذا الوصف

أَسلم طريق للتَّعريف به عُوضًا عَن الإِطالةِ[1]، لذَلِكَ نرى مجموعةً من أَشهر التَّفاسير الَّتي يُشَار إليها بالبنانِ لَمْ تُقدِّم للتَّفسير تعريفًا منطقيًّا جامعًا مانعًا له.

ولابدَّ لي مِن عَرضِ أَهمِّ التَّعريفاتِ الَّتي أَورَدَها العُلَمَاءُ في كتبِهِم أَكانَتْ تَفسيريَّةً أَو مختصةً بعُلُوم القُرآن وأَوَّل ما نبدأ بهِ تعريفُ الطَّبرسيّ (ت٥٤٨هـ) قالَ: «هُو علمٌ بأُصولٍ تُعرف بِهِ معاني كلام الله تعالى مِن الأَوامر والنَّواهي وغيرها»[2]، إذْ قصرهُ على تَعرّف أَوامر الله تعالى ونواهيه وغيرها.

ونقلَ محمَّد حسن صدِّيق خان عَن فخرِ الدِّين الرَّازيّ (ت ٦٠٦هـ)إذ عرَّف التفسير قائلًا: «هُو ما يُبحثُ فِيه عَن مرادِ الله تَعالى من قُرآنِهِ المَجِيد»[3] ولا يخفَى الميل إلى الإِيجاز في وظيفةِ هذا العلم البحث عَن مرادِ الله تعالى.

وذكرَ أَبُو حيانٍ الأَندلسيّ (ت٧٤٥هـ): «عِلمُ يَبحثُ عَن كيفيةِ النُّطقِ بأَلفاظِ القُرآنِ، ومدلولاتِهَا، وأَحكَامِها الإِفرادِيَّةِ والتَّركيبيَّةِ، ومَعانِيها الَّتِي تحمل عليها حالةُ التَّركيبِ، وتتماتُ ذَلِكَ»[4]، ونلمحُ توسّعًا في التّصور التَّعريفيّ عندَ أَبِي حيانٍ ولا سيما الوقوف على الأَداءِ القُرآنيّ(القِراءات القُرآنيَّة) فضلًا عن تبيانِ معاني الأَلفاظ وأَحْكَامِها قَبل أَن تصيرَ في التَّركيبِ أَي: مفردة ومعانيها وهي في النَّظم والتَّأليف من جهة، وإغفال السِّياق التَّكامليّ وعِلم المناسبة بينَ الآيات والسُّور من جهةٍ أُخرى.

وعرَّفه الزَّركشيُّ (ت٧٩٤هـ): « التَّفْسِيرُ عِلْمٌ يُفْهَمُ بِهِ كِتَابَ اللهَّ الْمُنَزَّلِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيَانَ مَعَانِيهِ، وَاسْتِخْرَاجِ أَحْكَامِهِ وَحِكَمِهِ، وَاسْتِمْدَادِ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ وَعِلْمِ الْبَيَانِ وَأُصُولِ الْفِقْهِ وَالْقِرَاءَاتِ، وَيَحْتَاجُ

(١) يُنظر: مناهج تجديد في النَّحو والبلاغة والتَّفسير والأدب:٢٧١.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن:١/ ١٧-١٨.
(٣) أبجد العُلُوم:٣٣٧.
(٤) البحر المحيط في التَّفسير:١/ ١٣.

لِمَعْرِفَةِ أَسْبَابِ النُّزُولِ وَالنَّاسِخِ»[1]، وتتسع الرُّؤية التَّصوريَّة عند الزَّركشيِّ في تعريفه للتَّفسير إِذْ أَشارَ إِلى قضيتَينِ محوريتَينِ في التَّعريف الأُولى: الفَهْم الَّذي يَقُود إِلى بيانِ المعاني واستظهار الأَحكام الشَّرعيَّة والحِكَم الأَخلاقيَّة والإِرشاديَّة والتَّربويَّة والثَّانية: استمداد هذا العلم(منابعه وجذوره) بمعنى: العُلُوم والمَعارفُ الَّتي يَسْتَعِينُ بِها المُفَسِّر في سبيلِ أَداءِ المُهمة العظيمة فَهْم كلام الحقِّ عزّ وجل وذكرَ قسمًا منها (عِلم اللُّغة والنَّحو والتَّصريف وعلم البيانِ وأَصول الفِقْه والقِراءات وأسباب النُّزول والنَّاسخ والمنسوخ).

وقالَ الفيروزآباديّ عَن التَّفسيرِ: «وكأَنَّ المفسِّر يتَّبعُ سورةً سورةً، وآيةً آيةً، وكلمةً كلمةً، لاستخراجِ المعنى. وحقيقته كشف المُتغلِّق من المراد بلفظهِ، وإِطلاق المحتبس عن الفَهْم بِهِ»[2]، لا يخفى أَنَّ الفيروزآباديَّ قَدْ أَشار إِلى وظيفة المفسرِّ وحصرها في الكشفِ عن معانِي الأَلفاظ في ضوءِ تتبع السُّور والآيات والكلمات ولاسيما المُستغلق من الألفاظِ وإِطلاق العِنان للمحتبسِ منها، إِذْ نلحظ غياب النَّسق المفهوميّ للمفهوم القرآنيّ.

وقَالَ الفَنَارِيُّ(ت ٨٣٥هـ): «هُو مَعرفةُ أَحوالِ كلامِ الله تَعَالى مِن حيثُ القُرآنِيَّة، ومِن حيثُ دَلالتِهِ على ما يُعلمُ، أَو يُظنُ أَنَّهُ مرادُ الله تعالى، بقدرِ الطَّاقةِ البَشريَّةِ»[3]، في هذا التَّعريف نُبصر قيدًا في التعريف(بقدر الطَّاقة البشريَّة)، أي: أَنَّ هذه المهمة هي جَهد بشريّ مهما بلغتْ تبقَى عاجزةً عَن إِدراكِ مراد الله تعالى المُراد نفسه.

وقَالَ جلالُ الدِّين السُّيوطيّ (ت٩١١هـ) نقلًا عَن الزَّركشيّ: «التَّفْسِيرُ فِي الِاصْطِلَاحِ عِلم نزول الآيات وشئونها وَأَقَاصِيصِهَا، وَالْأَسْبَابِ النَّازِلَةِ فِيهَا ثُمَّ تَرْتِيبِ مَكِّيِّهَا وَمَدَنِيِّهَا، وَمُحْكَمِهَا وَمُتَشَابِهِهَا، وَنَاسِخِهَا وَمَنْسُوخِهَا، وَخَاصِّهَا وَعَامِّهَا،

(١) البرُهان في علوم القُرآن:٢/ ١٤٨.

(٢) بَصائِرُ ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز:١/ ٧٩.

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، محمَّد حسن خان:١/ ١١.

وَمُطْلِقِهَا وَمُقَيِّدِهَا، وَمُجْمِلِهَا وَمُفَسِّرِهَا، وَحَلَالِهَا وَحَرَامِهَا وَوَعْدِهَا وَوَعِيدِهَا، وَأَمْرِهَا وَنَهْيِهَا، وَعِبَرِهَا وَأَمْثَالِهَا»[1]، في هذا التَّعريف جُعِلت العلوم كلها خدمٌ لعلم التَّفسير، فهو الطَّريق المُوصِل إلى علمِ نزولِ الآياتِ والقَصص القُرآنيّ وأسباب النُّزول والمكيّ والمدنيّ والمحكم والمتشابَه وغيرها.

وقالَ عبدُ العظيمِ الزُّرقانيّ (ت١٣٦٧هـ): «علمٌ يُبحثُ فيهِ عَنِ القُرآنِ الكريمِ مِن حيثُ دَلالتِهِ على مرادِ الله تعالى بقدرِ الطَّاقةِ البَشريَّةِ»[2]، إذ بدَا الإيجاز في هذا التَّعريف ففِيه وصف وظيفةِ علم التَّفسير بالبحثِ عَن مرادِ الله تعالى بقدرِ الطَّاقةِ البشريَّةِ مِن دونِ ذِكْر كَيفية البحث عن المُراداتِ الإلهيَّة في الكِتابِ العزيزِ.

ومِن المُتأخرينَ قالَ ابن عاشور: «هُوَ اسْمٌ لِلْعِلْمِ الْبَاحِثِ عَنْ بَيَانِ مَعَانِي أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهَا بِاخْتِصَارٍ أَوْ تَوَسُّعٍ وَالْمُنَاسَبَةُ بَيْنَ الْمَعْنَى الْأَصْلِيِّ وَالْمَعْنَى الْمَنْقُولِ إِلَيْهِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَطْوِيلٍ. وَمَوْضُوعُ التَّفْسِيرِ: أَلْفَاظُ الْقُرْآنِ مِنْ حَيْثُ الْبَحْثِ عَنْ مَعَانِيهِ وَمَا يُسْتَنْبَطُ مِنْهُ»[3].

وعندَ النَّظرِ الفاحص في تعريفِ ابن عاشور نَرى أَنَّه لَمْ يطلقْ عليهِ(علمًا) بَلْ هُو اسمٌ للعلمِ أَي: أَنَّه وقف موقف الوسط بينَ الَّذين وَصفوه بالعلم، وبين الذين قالوا: إِنَّه فَهْم مراد الله تعالى، فَضلًا عن ذلك أبان عن وظيفة المفسّر وهو يمارسُ هذه المهمة التَّفسيريَّة، وتتجلَّى في بيان معاني ألفاظ القُرآن إنِ اختصارًا وإن توسّعًا، والوقوف على المناسبات والرَّوابط بين الدَّلالات الحسيَّة والمعنويَّة، ورصدَ ما يُستنبط مِن أَلفاظ القُرآن الكريم.

وعرَّفَهُ مُحَمَّد بَاقر الصَّدر(ت١٤٠٠هـ): «هُو علمٌ يُبْحثُ فيهِ عَنِ القُرآنِ الكَريمِ

(١) الإتقان في علوم القرآن:٢/ ١٧٤.
(٢) مناهلُ العرفانِ في عُلُوم القُرآن:٢/ ٣.
(٣) التَّحرير والتَّنوير:١/ ٢٧-٣٣.

بوصفِهِ كلامًا لله تَعَالَى»[1]، لا يخفى الاقتصاد اللَّفظيّ والدَّلالّي في تعريف الصَّدر ؛إذْ قصره على البحثِ في القُرآنِ الكريمِ بِوصفِهِ كلام الله تعالى ؛من دونِ تبيان مَاهيّة هذا البحث وكيفيته.

وعرَّفه محمَّد حُسين الطَّباطبائيّ (ت١٤٠٢هـ): «وهُو بيانُ مَعانِي الآياتِ القُرآنيَّةِ، والكَشفُ عن مَقَاصِدِهَا ومَدَالِيلِهَا»[2]، وهُو تعريف باصُر معجبٌ فالطَّباطبائيّ أشار في تعريفه إلى وظيفتَينِ محوريتَينِ في هذه الممارسة النَّقديَّة للتَّفسير، الأولى: (الَّتي حصل الإجماع عليها) بيان معاني الآيات القُرآنيَّة الأَلفاظ وتراكيب، والثَّانية: الَّتي تُعدُّ فتحًا طَرِيفًا ونُكة لَطيفة واستباقيَّة وهي: الكشف عَن مقاصيد الآيات ومداليها أي: تبيان مقاصيد الآيات القرآنيّة بعد تبيان معاني أَلفاظها وتعرف أَغراضها ومراداتها من جهةٍ تعرضها لأَركان الدِّينِ وحفظ الشَّريعةِ والنُّفوسِ والمالِ والأَخلاقِ والتَّربية وغيرها[3].

وقالَ الخُوئيُّ (ت١٤١٣هـ): «هو إِيضاحُ مُراد الله تَعَالى مِن كتابِهِ العَزيز»[4].

وبعدُ، فإنَّ هذه التَّعريفاتُ فِيها شيءٌ مِن تحديدِ المَفهُومِ العِلميّ للتَّفسيرِ وتَقتَرِب من الجمع والمنع[5]، ويُمكن لي أَن استجمعَ ما جاءَ في التَّعريفاتِ في تعريفٍ واحدٍ هُو أَنَّ: التَّفسير عِلمٌ يُفهمُ بِهِ القُرآن العَظيم وتَتكشف من خلالِهِ أَلفاظه وتراكيبه بقدر ما آتى الله العقل البشريّ من إمكانيَّة ويحتاج هذا العلم لمجموعة من الآلياتِ والأَساليبِ ويحتاجُ لتَضَلُّعٍ بعُلُومِ القُرآنِ وعُلُوم اللُّغةِ والوقوف على مقاصدِ الله تعالى في كلامِهِ ومداليل أَلفاظه وتراكيبه.

(١) المدرسةُ القرآنيَّةُ:٢٨٩.

(٢) الميزانُ في تفسيرِ القُرآن: ١/ ٤.

(٣) يُنظر:التفسير الموضوعيّ للقرآن الكريم وموضوعاته، د. حكمت الخفاجي: ٢٧.

(٤) البيانُ في تفسيرِ القُرآن: ٣٩٨.

(٥) يُنظر: المَبادئُ العامَّة لتفسيرِ القُرآن الكريم: ١٩.

ثَانِيًا: البَيانُ تعريفًا:

١. البَيانُ في الاستعمالِ اللُّغويّ:

اشْتُقَ هَذَا اللَّفظ مِن مَادَّةِ (ب، ي، ن) والفِعلُ بَانَ يَبِينُ بَيَانًا فَهُو بَائِنٌ ومُبِينٌ واستِبَانَةُ الشَّيءِ تَأْمُلُهُ وتَبَيَنَت الأَمرُ تَأَمَلْتُهُ أَيضًا والبَينُ يُحمَلُ على معنينِ مُتَضَادَينِ هُما: (الفِرَاقُ، الوَصلُ) ونَعتُ الرِّجلِ بِأَنَّهُ بَيِّنٌ بِمعنَى أَنَّهُ فَصِيحٌ والبَيانُ الفَصَاحةُ والكَلَامُ البَينُ بِمعنَى أَنَّه فَصيحٌ والبَيَانُ بِمَعنَى الفَهمِ وذَكَاءِ القَلبِ مَع اللَّسنِ[١].

والبَيانُ بِمعنى الانكشافِ والوُضُوحِ قَالَ ابنُ فَارس: «وَبَانَ الشَّيءُ وَأَبَانَ إِذَا اتَّضَحَ وَانْكَشَفَ وَفُلَانٌ أَبْيَنُ مِنْ فُلَانٍ: أَيْ أَوْضَحُ كَلَامًا مِنْهُ»[٢].

ووجَّهَ ابنُ منظور :دلالةَ لَفظة البيان لمعنى التَّوضيح والإظهار وكذلك الكَشف مع الظُّهور[٣] ورُوِيَ عَن ابنِ عباس: «البَيان إِظْهَارُ الْمَقْصُودِ بِأَبلغ لفظٍ، وهو من الفَهْم وذكاءِ القلْب مَعَ اللَّسَن، وأَصلُه الكَشْفُ والظهورُ»[٤].

وأَشار الفَيوميُّ (ت٧٧٠هـ) إِلى أَنَّ مشتقات مادَّة (ب،ي،ن) كُلُّها تدور حَول معنى الوُضوحِ والانكشافِ قَال: «بَانَ الْأَمْرُ يَبِينُ فَهُوَ بَيِّنٌ وَجَاءَ بَائِنٌ عَلَى الْأَصْلِ وَأَبَانَ إبَانَةً وَبَيَّنَ وَتَبَيَّنَ وَاسْتَبَانَ كُلُّهَا بِمَعْنَى الْوُضُوحِ وَالِانْكِشَافِ وَالِاسْمُ الْبَيَانُ»[٥]. أَمَّا دَلالةُ البَيَانِ في المعجمِ الوسيطِ بمعنى: «الحُجَّةُ المَنْطِق الفَصيح التَّوضيح»[٦].

ممَّا تقدَّم يَتَبَيَّنُ: أَنَّ دَلالةَ البَيانِ لُغَويًّا تَدُورُ حَولَ مَعَانٍ مُتعدِّدة هي: (الفَصَاحةُ، الفَهْمُ، الانْكِشَافُ، الوُضُوحُ، التَّوضِيحُ، والإِظْهَارُ، الكَشْفُ، الحُجَّةُ).

(١) يُنظر: تهذيبُ اللُّغةِ: ١٥/ ٤٩٥-٥٠٢، مادَّة(بين).
(٢) مقاييسُ اللُّغةِ:١٢١، مادَّة(بين).
(٣) لِسانُ العربِ:١٣/ ٦٧، مادَّة(بين).
(٤) المصدر نفسه: ١٣/ ٦٩، مادَّة(بين).
(٥) المصباحُ المنيرُ:٤٩-٥٠، مادَّة(بين).
(٦) د.نصَّار سيد أحمد وزملاءه: ٩٨، مادَّة(بين).

٢. البَيانُ في الاستعمالِ القُرآنِيّ:

وَرَدَتْ مادَّةُ (ب،ي،ن) في القُرآنِ العَظيمِ في مواردَ عِدَّة وتَنوعَتْ مُشتقَاتِها وكانَتْ على النَّحْوِ الآتِي: (بَيَّنَّاه، بَيَّنُوا، لأُبَيِّن، لتُبَيِّن، لتُبَيِّنَّه، نُبَيِّن، يُبَيِّنّ، يُبيِّنُها، يُبينُ، تَبيَّن، تَبيَّنت، يَتَبيَّن، تَبيَّنُوا، تَسْتَبِين، بَيِّن، بَيِّنة، بَيِّنات، مُبيِّنة، مُبين، مُبينًا، المُستبِين، بَيان، بيانُه، تِبيانًا، بَيْن) والمُشْتَق الَّذي هُو مَدَار بَحثِنَا هُو (البيان) الَّذي وَرَدَ على هِذه الصِّيغة ثلاث مراتٍ في قِوله تعالى: ﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[١]، ﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾[٢]، ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾[٣]،[٤].

وَجَّه العلماءُ الَّذينَ تَنَاولُوا هاتِه اللَّفظة القُرآنِيَّة سواء كانوا مُفسرينَ أَو عُلماء مَعَانِي القُرآن لفظة (البيان) إِلى دَلالات، منها ما ذهب إِليه الزَّجاج (ت٣١١هـ) أَنها بمعنى (القرآن) في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾[٥]، وهذا مُطابق لما ذهب إليه الفيروزآباديّ حينَ عدَّ البيانَ في قِولِهِ تَعَالَى: ﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾ أَنَّه: اسمٌ للقُرآنِ[٦]، أَمَّا الرَّاغب الأَصفهانيّ فَقد قدَّم لنا معنى قرآنيّ للَفظةِ البيانِ صاغَهُ على النَّحو الآتي قال هو: «الكشف عن الشَّيء، وهو أعمّ من النُّطق، لأنّ النُّطقَ مختص بالإنسان، ويسمَّى ما بيّن به بيانًا»[٧]، فأعطى له مجالاً وسيعًا إذ لم يقصْره على النُّطق.

وفَسَّرَ الزَّمخشريُّ (ت٥٣٨هـ) لفظة البيانُ في قوله تعالى: ﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾ بالإِيضاح[٨]، وفي موردِ مجيءُ لفظة البيانِ في قولِه تعالى: ﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾، قال

(١) سورة آل عمران: ١٣٨.

(٢) سورة الرحمن: ٤.

(٣) سورة القيامة: ١٩.

(٤) يُنظر: المعجمُ المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمَّد فؤاد عبد الباقي: ١٥٣-١٦٠، مادَّة(بين).

(٥) يُنظر: مفرداتُ الرَّاغب الأصفهانيّ مع ملاحظات العاملّي، الرَّاغب الأصفهانيّ:١٦٢،مادَّة(بين).

(٦) يُنظر: بَصائِرُ ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز:١/ ٩٠.

(٧) مفردات الرَّاغب الأَصفهانيّ مع ملاحظات العاملّي: ١٥٩، مادَّة(بين).

(٨) يُنظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:١/ ٤٤٥.

الزَّمخشريّ: «وهُو المنطق الفصيح المعرب عما في الضَّمير»[١]، ونقلَ ابن عطيَّة (ت٥٤٢هـ) عن ابن إسحاق في تفسير قوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ قال: «المعنى هذا تَفسير للنَّاس إن قبلوه»[٢]، أَمَّا ابن عربّي (ت٦٣٨هـ) فالبيان عنده هو النُّطق[٣].

وقَالَ البيضاويُّ (ت٦٨٥هـ): «عَلَّمَهُ الْبَيانَ إيماء بأَنَّ خلقَ البشرِ وما يميز به عن سائر الحيوان من البيان، وهو التعبير عما في الضمير وإفهام الغير لما أدركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشّرع»[٤] وهو توسّعٌ في تبيان المجال الدَّلالّي لـ(البيان) إذ هو تعبيرٌ عمَّا يجيشُ في النَّفسِ وإرادة الإبلاغ والقَصد للمخاطَبينَ، للظَّفر بالحقّ وتعلّم الأحكام الشَّرعيَّة، ولا يخفى أَنَّ هاته المهمة(البيان) تتطلَّب أَداءً عاليًا واستعمالًا فريدًا مؤثرًا في المتلقِّينَ.

و قَالَ ابن عاشور البيان هو: «الْإِعْرَابُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ مِنَ الْمَقَاصِدِ وَالْأَغْرَاضِ وَهُوَ النُّطْقُ وَبِهِ تَمَيَّزُ الْإِنْسَانِ عَنْ بَقِيَّةِ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ فَهُوَ مَنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ»[٥]، يتضحُ من هذا أنَّ البيانَ هو إيضاح ما في الضَّمير من مقاصدَ وأغراضٍ وموضوعاتٍ، وأنَّ هذه الممارسة البيانيَّة تميز بها الإنسان دون سائر الكائنات،و البيان في موارده الثَّلاثة بمعنى الإيضاح والكَشف كما جاء في معجم ألفاظ القُرآن الكريم: «البيانُ: الإيضاح والكَشف عن المعنى المَقصود وإظهاره ويسمَّى ما يشرح به المُجمل والمُبهم من الكلام بيانًا»[٦].

وقالَ حسن المُصطفويّ عَن المعنى القُرآنيّ للفظةِ البيانِ في مواردِه الثَّلاثة أَنَّه: «الانكشافُ والوضوحُ والفصلُ عمَّا أُبهم وخَفيَ أَو أُضمر»[٧].

(١) يُنظر: المصدر نفسه:٤/ ٤٤٣.

(٢) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٥١٢.**

(٣) ينظر: تفسير القرآن الكريم: ٢/ ٢٨٤.

(٤) أنوار التَّنزيل وأَسرار التأويل: ٥/ ١٧٠.

(٥) التَّحرير والتَّنوير:١/ ١٧-١٨.

(٦) مجمع اللُّغة العربيَّة: ١/ ١٥٩، مادَّة(بين).

(٧) التَّحقيق في كلمات القرآن الكريم: ١/ ٣٩٦، مادَّة(بين).

ممَّا تَقدَّم يَتَبيَّنُ: أَنَّ البيانَ في استعماله القُرآنيُّ ينطبق على معانٍ عدّة إذْ توسّعت الدَّلالة اللُّغويّ للفظِ بسببِ تنوعِ مُشتقات مادَّة(ب،ي،ن) ولفظة البيانِ في مواردِها الثَّلاث انطبقَتْ على هذه المعانِي أَنَّها: (اسمٌ للقرآنِ، الكشف، الإيضاح، المَنطِق، النُّطق، الحجَّة، التَّعبير عمَّا في الضَّمير، الشَّرح، الانكشاف، الوُضُوح، التَّفسير).

٣. البيانُ في الاستعمالِ الاصطِلاحيّ:

مِنْ أَجلِ صياغةِ تعريفٍ للبيانِ فِي الاستعمالِ الاصْطلاحيّ ثَمَّة حاجةٌ إِلى القَولِ: أَنَّ البيانَ يُمثِّلُ نظامًا معرفيًّا في اللُّغةِ وهذا النِّظام يُشملُ عُلُومَ اللُّغةِ والبلاغة والأُصُول فـ(علماء البيان) هم اللُّغويّونَ والبلاغيّونَ والأُصوليّونَ والفُقهاء وغيرهم ممَّن أنتجوا الثَّقافة الإسلاميَّة ومِن الخَطأ أَنْ نتصورَ أَنَّ البيانَ هو أَحد أَقسام البلاغة بَل هو أَعمُّ واشمل ويُعْنَى بأَمرَينِ: تَفسِيرُ الخِطابِ وانْتاجُ الخطابِ[١] لذلكَ عرَّف محمّد الشَّافعيُّ (ت٢٠٤هـ) البيان أَنَّه: «اسمٌ جامعٌ لمعانٍ مجتمعةِ الأُصُول، مُتَشعبةِ الفُروع»[٢]، وهُو دليل على جامعيَّته بحسبِ الأُصُول والفُروع.

وقالَ عمرو الجَاحظ (ت٢٥٥هـ) معرِّفًا البيان أَنَّهُ: «اسمٌ جامعٌ لكُلِّ شيءٍ كشفَ لكَ قناع المعنى، وهتكَ الحُجب دونُ الضَّمير، حتَّى يُفضي السَّامعُ إلى حقيقتِهِ، ويهجم على محصولِهِ كائنًا ما كان ذَلك البيان، ومن أيّ جنسٍ كان ذلك الدَّليل، لأَنَّ مدارَ الأَمرِ والغاية الَّتي إليها يجري القارئ والسَّامع إِنَّما هو الفَهم والإِفهام، فبأي شيءٍ بَلغتْ الإِفهام وأوضحتْ المعنى فذاك هو البيان في ذلكَ المَوضع»[٣]، إِذْ اجتمعَ في هذا التَّعريف المعجب قيودٌ مِنها: جامعيَّته لكُلِّ ما يَكْشِف المعنى، ويَرفع الخَفاء والغُموض، مع إِرادة المتكلِّم في الإِبلاغ وإِيصال المُراد إِلى المتلقِّينَ فتتسارعُ الفُهوم إِلى فَهمِه وتميزه.

(١) يُنظر: بنيةُ العقل العربّي، محمد عابد الجابريّ: ١٣.

(٢) الرِّسالة: ٢٠.

(٣) البيان والتَّبين: ١/ ٧٦.

وقَالَ الشَّريفُ الجرجانيُّ (ت٨١٦هـ): «البيانُ: عبارةٌ عن إظهارِ المتكلِّم المَراد للسَّامعِ»[١]. وعرَّفه الأحمد نكريّ (من علماء القرن الثاني عشر الهجري): «عبارَة عَن إِظْهَار المُرَاد للمخاطب مُنْفَصِلا عَمَّا يستر بِهِ»[٢].

وقَالَ زكريا الأنصاريّ (ت٩٢٦هـ): «الْبَيَان إِخْرَاج الشَّيْء من حيّز الْإِشْكَال إِلَى حيّز التجلي»[٣]، وعرَّفه الكَفويُّ (ت١٠٩٤هـ): «هُوَ التَّعْبِير عَمَّا فِي الضَّمِير»[٤].

وبعدُ فإنَّ البيانَ في تعريفِه الاصطلاحيّ أكثر تحديدًا ودقَّة ووظيفتُهُ تتجلَّى في إنتاجِ العبارةِ وتفسير العبارةِ وعليه فيمكن أَنَّ نُعرف البيانَ بأَنَّه: نظامٌ معرفيٌّ لُغويٌّ قائمٌ على وظيفتينِ، إنتاج الخِطابِ وتَفسيرُهُ وفي الوظيفة الأولى تتولد العبارة أَمَّا في الثَّانية يُزاحُ الإبهام والإشكال عن الألفاظِ ويُدرِكُ المُتَلَقِّي المَقاصد ويَفهمُهَا.

ثَالِثًا: التَّفسِيرُ البَيانيُّ تعريفًا:

حَظِيَ هذا المَنْهج التَّفسيريّ بإشاراتٍ تعريفيَّةٍ لخُطواتِهِ كمَا سيأتِي في هذا البحث إلَّا أَنَّه لَمْ يَحْظَ بتعريفٍ جامع مانع لأَسبابٍ مِنها: إنَّه وإن كانَتْ لَهُ جُذُورٌ قَدِيمةٌ إلَّا إنَّه حديثُ النَّشْأَةِ والتَّأْصِيلِ ومِن المُلاحظِ أَنَّ مَن تَصدَّوا لِعرضِ خُطُواته وتَطْبِيقها لَمْ يَضَعُوا تَعْرِيفًا وَاضِحًا لِهَذَا المُرَكَّب الوَصْفِيّ.

قالَتْ الدُّكتورةُ عائشة عبد الرَّحمن: «هو التَّناولُ الموضوعيُّ الَّذي يَفرغُ لِدراسةِ الموضوعِ الواحدِ فِيهِ، فيجمعُ كُلّ ما في القُرآن منه، ويهتدى بمألوفِ استعمالِه للألفاظِ والأساليبِ، بعد تحديدِ الدَّلالة اللُّغويَّة لِكُلِّ ذاك... وهو منهجٌ يختلف والطَّريقة المعروفة في تفسيرِ القُرآنِ سورةً سورةً، يُؤخَذُ اللَّفظ أَو الآية فيهِ، مقتطعًا من سياقِهِ العامِّ

(١) التَّعريفات: ٤٧.

(٢) دستور العلماء: ١/ ١٧٤.

(٣) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة:٦٩.

(٤) الكُلِّيَّات:٢٣٠.

في القُرآن كُلّه، ممَّا لا سبيل معه إلى الاهتداءِ إلى الدَّلالةِ القُرآنيَّة لألفاظِه، أَو لمح ظواهره الأُسلوبيَّة وخصائصه البيانيَّة»[1]، وهذا لا يَعدو أَن يَكون وصفًا للخُطُواتِ لا تعريفًا للمفهومِ.

وقال الدُّكتور محمَّد الصَّغير عند حديثه عَنْ المَنهج البيانيّ: «هو المنهجُ الَّذي تُدور مباحثُهُ حولَ بلاغةِ القُرآنِ في صورِهِ البيانيَّة من تشبيهٍ واستعارةٍ وكنايةٍ وتمثيلٍ ووصلٍ وفصلٍ، وما يتفرعُ من ذلكَ من استعمالٍ حقيقيّ أو استخدامٍ مجازيّ أو استدراكٍ لفظيّ، أو استجلاءٍ للصورةِ أو تقديمٍ للبيّنةِ، أَو تحقيقٍ في العلاقات اللَّفظيّة والمعنويّة، أو كشف للدَّلالاتِ الحاليَّة والمقاليّة والبحث في هذا الجانب يُعدُّ بحثاً أَصيلاً في جوهر الإعجاز القُرآنيّ، ومؤثراً دقيقًا في استكناه البلاغة القُرآنيّة»[2]، وهذا التَّعريف لا يَعْدُو أَنْ يَكون وصفًا للمنهجِ أَكثر مِن أَن يكون تَعْرِيفًا لمَفْهُوم المُركَّب الوصفيّ.

وقَالَ الدُّكتورُ فاضل السَّامرائيّ: «هو التَّفسير الَّذي يبيِّنُ أَسرار التَّركيب في التَّعبيرِ القُرآنيّ. فهو جزءٌ من التَّفسيرِ العامّ تُنصبُ فيهِ العنايةُ على بيانِ أَسرارِ التَّعبير من النَّاحيةِ الفنيَّة كالتَّقديم والتَّأخير والذِّكر والحذف واختيار لفظة على أُخرى وما إلى ذلك ممَّا يَتعلقُ بأَحوالِ التَّعبير»[3]، يَصفُ السَّامرائيُّ هُنا الخُطُوط العَامَّة للمنهجِ لا تعريف الآليات الَّتي يَقومُ عليها هذا المَنهج.

وقال حاجي خولة: «التَّفسير الَّذي يُعنى بأَسرار التَّعبير القُرآنيّ والنَّظم الفَريد من ناحية عنايتِهِ بالتَّقديم والتَّأخير، والذِّكر والحذف، والمُختلف والمُتشابَه وغيرُ ذَلكَ، ويُعنى بالأَلفاظِ الجَزِلةِ والمعانِي الحسنة من ناحيةِ اهتمامه بالصّور البيانيَّة»[4]، نلمحُ قُصورُ التَّعريفِ على النَّظرِ في أَسرارِ التَّركيب القُرآنيّ من جهةِ الأَلفاظ والأَساليب

(١) التَّفسير البيانيّ للقرآن الكريم:١٧-١٨.

(٢) المبادئُ العامَّة لتفسير القرآن الكريم: ١٠٣.

(٣) على طريق التَّفسير البيانيّ:٧-٨.

(٤) التَّفسير البيانيّ عند القدامى والمحدثين، المجلد(١٩)،العدد٣٩(ديسمبر ٢٠١٨م): ٢٠٤.

والعِناية بالفنونِ البلاغيَّةِ.

وعرَّفه الدُّكتور رحيم الشَّريفيّ: «التَّفسيرُ البيانيُّ بوصفِهِ مركّبًا وصفيًّا هو مصطلحٌ عامٌّ يشتملُ على كُلِّ ما يضيءُ النَّص ويستجلي دلالات أَلفاظه فكُلّ البياناتِ سواء أَكانت بلاغيَّة أَم نحويَّة أم معجميَّة أَم عُلُوم قُرآن تَسعى جاهدةً في إِضاءةِ النَّصِّ وتبيانِه فهي خدمٌ لَهُ في البيانِ فالتَّفسير البيانيّ هو أَعمُّ من التَّفسيرِ البلاغيّ ومن النَّحويّ والتَّرابطيّ السِّياقيّ وغيرهُ من ضروبِ التَّفسيرِ وأَلوانه، إِذْ لا يكتفي بالاستعانةِ بعلم البلاغةِ أو المعجمِ أو الصَّرفِ إِذْ أَنَّها تتشابكُ وتتعاونُ من أَجلِ إِضاءة النَّصِّ وتبيانِ دَلالاتِهِ»[1]، يُظْهِرُ هذا التَّعريف الفَرق الجَوهريّ بينَ المنهجِ البيانيّ وباقي المناهجِ التَّفسيريَّة مع الإِلماحِ لبعضِ الآلياتِهِ دون التَّفصيل.

وبعدُ ذكر ما تَقدَّم، نستطيع أَن نُدْلِي بدلونَا في ذكرِ تعريف نَسْتَجْمِعُ ما قِيلَ مِن أَماراتٍ وقيودٍ للمنهجِ التَّفسيريّ البيانيّ فهو :منهجٌ يكشفُ ويُظهرُ كلامَ الله تعالى بقدرِ الطَّاقة البشريّة مستعينًا بمنظومة معرفيّة تشتملُ على عُلُوم عدَّة تكونُ عونًا للمُفَسِّر كعُلُومِ اللُّغة والبلاغةِ وعلمُ الأُصول، للوصولِ لمرادِ الله تعالى فيضيءُ هذا النِّظام المعرفيُّ النَّصّ المقدَّس ويَكشفُ دَلالاتَهُ متَسلحًا بآلياتٍ بَيانيَّةٍ ليكشفَ ما في النَّصّ من دَقائقِ الاستعمال وغرائب الأَلفاظِ ومرامي الأغراض وأَسرار المقاصد.

المطلبُ الثَّاني: سُورةُ الصَّافَّاتِ مُقَارَبَاتٌ تَأصيليَّةٌ

أَوَّلًا: اسمُهَا:

تُسمَّى هذه السُّورة بـ(الصَّافات) والسَّببُ لافتتاحِهَا بالقَسَمِ بـ(الصَّافات) في قولِهِ تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾[2]، والجدير بالذِّكرِ أَنَّ هذه السُّورة أَوَّل سورة تبدأ

(١) محاضرات في التَّفسير البيانيّ (المحاضرة- الخامسة- التَّفسير البيانيّ مهادٌ وإشراق) لطلبة الماجستير للعام الدراسّي (٢٠٢٠ م)، الدُّكتور رحيم كريم الشَّريفيّ، (مخطوط).

(٢) سورة الصَّافات: ١.

بالقسم في التَّرتيب المُصحفيّ وهو الاسم الأَشهر لها والمعتمد في المَصاحف[١]، وتُسمَّى بسورةِ (الملائكة) كما أَوردها الزَّيديّ (ت٢٣٧هـ) في مطلع تفسيره لهذه السُّورة[٢]، وتُسمَّى بسورة (الزِّينة) لورودِ هذه اللَّفظة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾[٣][٤]، وقال السَّيوطيّ (ت٩١١هـ): «وَرَأَيْتُ فِي كَلَامِ الْجَعْبَرِيِّ أَنَّ سُورَةَ الصَّافَّاتِ تُسَمَّى سُورَةَ الذَّبِيحِ وَذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى مُسْتَنَدٍ مِنَ الْأَثَرِ»[٥]، فالتَّسمية الرَّابعة هي سورة (الذَّبيح) واختَلفُوا مَنْ هو الذَّبيح والرَّأي الأَرجح أَنَّه إِسماعيل عليها السلام[٦].

ثَانيًا: نَوعُها وعدَّدُ آياتِهَا وتَسلسلُهَا:

سورةُ الصَّافاتِ مِنَ السُّور المكِّيَّة وعَدَّدُ آياتِها مئةٌ وثنتانِ وثمانونَ آية[٧]، وعَدَّدُ حُروفِها ثلاثةُ الآلف وثمانمئة وستة وعشرون (٣٨٢٦) حرفًا، أَمَّا فواصل آياتها تُجْمَعُ في عبارةِ «قدم بنا»[٨] وتُصنَّفُ بحسبِ طُولِ آياتِها في المرتبة الثَّالثة من بين السُّورِ المَكِّيَّةِ، لا يُدانها في عَدَّد الآيات سُوى سورتَي الأعراف والشُّعراء[٩]، وهذه السُّورة تُصنَّف على أَنَّها من السُّور المِئينَ[١٠]، تسلسلها بحسبِ النُّزول السُّورة السَّادسة والخمسونَ (٥٦)

(١) يُنظر: بَصائِرُ ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز:١/ ٣٩٨. والأَمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازيّ:٢٢/ ١٩٥.

(٢) يُنظر: غريب القرآن وتفسيره:٣١٤.

(٣) سورة الصَّافات: ٦.

(٤) يُنظر: مصاعد النَّظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعيّ: ٢/ ٤٠٨.

(٥) الإتقان في علوم القرآن: ١/ ١٩٩.

(٦) يُنظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازيّ:٢٦/ ٣٤٧. والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:٢٢/ ٢٦٢.

(٧) يُنظر: التِّبيان في تفسير القرآن، الطُّوسّي:٨/ ٤٨٠. والمحرر الوجيز، ابن عطية:٤/ ٤٦٥. وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ:٥/ ٥.

(٨) يُنظر: بَصائِرُ ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز:١/ ٣٩٣.

(٩) يُنظر: التَّفسير الوسيط، طنطاويّ: ١٢/ ٦٣.

(١٠) يُنظر: التَّمهيد في علوم القرآن، محمَّد هادي معرفة: ١/ ٣١٣.

أما بحسبِ التَّرتيب المُصحفيّ الحالي فتسلسلها السَّابع والثَّلاثين (٣٧) تقعُ ضِمنَ الجزء الثَّالث والعشرينَ(٢٣)[١].

ثَالِثًا: مضامينُ السُّورةِ:

تَتَجلَّى في سورةِ الصَّافَّاتِ مجموعةٌ من المَضامين تُشكلُ سُورةً تَزْخرُ بمضمونِهَا على قِصر عِباراتِها ويُمكنُ لِي أَنْ أقسمَ هذه المضامينَ إلى ثلاثة، هي:

* المَضمونُ الأَوَّل: الإشارة إلى طوائفَ من الملائكة وتُتبعُ بالحديث عن الشَّياطين المرجومينَ وتتعرض السُّورة لقضية البعث والحساب والجزاء وقضية الوحي والرِّسالة وتعرج على مجموعة من مشاهد يوم القيامة[٢].

* المضمونُ الثَّاني: يَبرزُ الأسلوبُ القَصصيُّ في هذه السُّورة بعباراتٍ قصيرةٍ دالةٍ على المعنى مع قصرِها وتتوزع القَصص النَّبويَّة بين الايجاز والإطناب فذكرت السُّورة معجزة نوح عليه السلام، وبشارة إبراهيم عليه السلام بإسحاق عليه السلام، فداء إسماعيل عليه السلام، وموسى عليه السلام وهارون عليه السلام، وهلاك قوم لوط، وإلتِقَام الحوت ليونس عليه السلام، وذكر إلياس عليه السلام ونفي نِسبة الجِنَّة والملائكة عن الله عزّ وجل[٣].

* المَضمونُ الثَّالث: تحتج السُّورة المباركة على التَّوحيد، وتنذر المشركين وتبشّر المُخْلِصِينَ من المؤمنين، وتبيِّن ما يؤول إليه حال كلا الفَريقَينِ، وتذكر السُّورة عبادة المؤمنين الذين نصرهم الله عزّ وجل ومنَّ عليهم وتختم السُّورة بتنزيه الله عزّ وجل والسلام على عباده المرسلين والْحَمْدُ للهِ ربِّ العالمِينَ[٤].

(١) يُنظر: المصدر نفسه:١/ ١٩٦.

(٢) يُنظر: في ظلال القرآن، سيد قطب: ٢٩٨٠-٢٩٨١.

(٣) يُنظر: بَصائِرُ ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز:١/ ٣٩٣. وتفسير سورة الصافات (دراسة تحليلية)،زكي خليل إبراهيم:٩.

(٤) يُنظر: الميزان في تفسير القرآن، الطَّباطبائي: ١٧/ ١٢٠.

رَابِعًا: فَضائِلُ السُّورةِ:

وردَتْ في فضلِ هَذه السُّورة فَضائلُ وآثارٌ عدَّة لقارئِهَا ونَذكرُ من هذه الفَضائِل الآتي:

١. عن النَّبيِّ محمدٍ صلى الله عليه وآله: «**مَن قرأَ ﴿والصَّافَّاتِ﴾ أُعطِي من الأَجر عشرَ حسنات، بعدد كلّ جِنِّي، وشيطان، وتباعدت منه مَرَدة الشَّياطين، وبَرِئ من الشِّرْك، وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمنًا بالمرسلين**»[١].

٢. وروِيَ عن الإمام عليّ عليه السلام أَنَّه قال: «**مَن أَراد أَن يكتالَ بالمكيالِ الأَوفى فليكنْ آخرُ قولِهِ: ﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾**[٢]، **فإنّ له من كلّ مسلم حسنة**»[٣].

٣. وجاءَ في الكَافي الشَّريف عَن سليمان الجَعفريّ قال: رأيتُ أَبا الحسنِ يَقولُ لابنِهِ القاسم: «**قُمْ يا بني فاقرأْ عندَ رأس أَخيكَ: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ حتَّى تستتمهَا**، فقرأْ فلما بلغ ﴿هُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ قضى الفتى فَلما سجي وخَرجُوا أَقبل عليه يعقوب بن جعفر فقالَ لُه: كنا نعهدُ الميت إِذا نزل به يقرأ عنده ﴿يس ۝١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾[٤] وصرت تَأمرنَا بالصَّافَّات، فقال: **يا بني لَم يقرأْ عبد مكروب من موتٍ قط إِلَّا عجَّلَ اللهُ راحتَهُ**»[٥].

٤. وروِيَ عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «**مَنْ قَرَأَ سورة الصافات فِي كُلِّ جُمُعَةٍ لَمْ يَزَلْ مَحْفُوظاً مِنْ كُلِّ آفَةٍ، مَدْفُوعاً عَنْهُ كُلُّ بَلِيَّةٍ، مَرْزُوقاً بِأَوْسَعِ مَا يَكُونُ مِنَ الرِّزْقِ، وَلَمْ**

(١) جوامعُ الجَامع، الطَّبرسّي: ٣/ ١٥٦.
(٢) سورة الصَّافات: ١٨٠-١٨٢.
(٣) نورُ الثّقلين، الحويزيّ: ٦/ ٢٣٩.
(٤) سورة يس: ١-٢.
(٥) الكُليني:٣/ ١٢٦/ حديث(٥)/ باب: إذا عسر على الميت الموت/ كتاب الجنائز.

يُصِبْهُ اللهُ فِي مَالِهِ وَ لَا وُلْدِهِ وَ لَا بَدَنِهِ بِسُوءٍ مِنْ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ وَ لَا جَبَّارٍ عَنِيدٍ، فَإِنَّ مَنْ مَاتَ فِي يَوْمِهِ أَوْ فِي لَيْلَتِهِ بَعَثَهُ اللهُ شَهِيداً مَعَ الشُّهَدَاءِ وأَمَاتَهُ شَهيدًا وأَدخلهُ الجَنَّة شهيدًا في درجةٍ مَنَ الجَنَّةِ»[1].

٥. وعن الإمام الكَاظم عليه السلام في فضلِ هذه السُّورة قالَ: «**إِنَّها لَم تُقْرَأْ عندَ مكروبٍ مِن موتٍ قط إِلَّا عجَّلَ اللهُ تعالى رَاحَتَهُ**»[2].

ولا يَخْفَى أنَّ هَاتِهِ الفضائلَ الَّتي ذُكرت في حقِّ السُّورةِ المباركةِ، لَمَا تَضمَّنتهُ من استهلالاتٍ عظيمةِ المَضمونِ جليلةِ القَدْرِ، فالأقسام أَمارةٌ إعجازيَّة على عظمةِ الخَالِق، زِدْ على ذَلِكَ شِعَار التَّوحيدالعظيم الَّذي رُفِع فيها، فَضلًا عن القَصصِ القُرآنيّ المتنوع فيها من ذكر الأَنبياء والرُّسُل عليهم السلام.

(١) ثوابُ الأَعمال وعقابُ الأعمال، الصَّدوق:١٣٩.

(٢) الجوهر الثَّمين في تفسير الكتاب المبين، عبد الله شبرّ: ٥/ ١٨٧.

المبحثُ الأَوَّلُ

المَنابِعُ الأُولَى للتَّفسِيرِ البَيَانِيِّ وخُطُوَاتُهُ الإِجرَائِيَّةُ

المنابعُ الأُولى للتَّفسيرِ البيانيِّ:

المطلبُ الأَوَّلُ:

لا رَيبَ أَنَّ النَّصَّ القُرآنيَّ هو الموجِّهُ الإِلهيُّ للبشرِ أَجمع وهُو المَنْهجُ المُنظمُ لكُلِّ مناحِي الحياةِ، مِن هُنا فإِنَّ أَهمَّ قضيةٍ شَغلتْ العقلَ الإِسلاميّ هو تفسيرُ هذا النَّصِّ المقدَّسِ فَتنوعتِ المناهجُ الَّتي تناولتْ تحليلَ هذا النَّصّ وبَيانَهُ لبلوغِ أَسرارِهِ والوصولِ لمرادِ الله عزّ وجل بقدرِ ما يدركُ العقلُ البشريُّ.

إِنَّ الرِّحلةَ التَّفسيريَّةُ لكتابِ الله تَعالى بَدأَتْ بتفسيرِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله للقُرآنِ العظيمِ ومن ثُمَّ من عاصرهُ وسمعَ مِنه حتَّى وَصلت هذا العِلم للنَّضجِ التَّدوينيِّ وتبلورتْ أَدواتُهُ الخَاصَّةُ وخَصائصُهُ العلميَّةُ فأَصبحَ علمًا قائمًا بذاتهِ وصولًا للمناهجِهِ واتجاهاتِهِ المتنوعةِ.

أَمَّا بعدُ، فإِنَّ منهجَ التَّفسيرِ البيانِيّ من المناهجِ الَّتي تناوشهَا القُدماء بإِشاراتٍ ضِمن كتبِهِمْ وَتابعهم المُحدثينَ بترسيمِهم لخَطواتِهِ وآلياتِهِ المَنهَجيَّة للوصولِ إِلى طريقٍ يَكشفُ عَن مرادِ الله بلحاظِ قواعدِ وإِجراءاتِ هذا المنهجِ فالفكرُ متجدّدٌ والرُّؤى العلميَّةُ متغيرةٌ بتغيرِ الظُّروفِ والأَزمانِ، مِن هُنا فإِنَّ الفكرَ التَّفسيريّ فكرٌ متجدِّد وهذا مَا نجدهُ عندَ

دراسةِ منهجِ التَّفسيرِ البيانيِّ.

ومِن أَجلِ التَّأسيسِ والتَّأصيلِ الصَّحيحِ لهذا المنهجِ لابُدَّ مِن تقسيمِ المنابع الَّتي اغترفَ مِنْها المحدَثونَ للوصولِ إلى هذا القالبِ المنهجيّ التَّفسيريّ وسنُبيّنُ قسمًا مِنْها إذْ سَأَقْتَصِرُ على أَربعةِ مَنابع فقط هي:

المنبع الأَوَّل: كتبُ مَعانِي القُرآنِ:

تُعدُّ كتبُ معانِي القُرآن مِن أَوائلِ المُؤلفاتِ الَّتي تناولَتْ اللَّفظةَ القُرآنيَّةَ مع بيانِ سببِ النُّزول تارةً أو مناقشتها لغويًّا وبلاغيًّا وتُعدُّ من أَوائل المدونات الَّتي أَسستْ للتَّفكير التَّفسيريّ الحديث وإِنَّ احتواءَ هذه المُصنفاتِ على حشدٍ مِن العُلُوم جعلهَا تَقتربُ مِن المنهجِ البيانيّ ومعتمدة على الإِعرابِ وبيانِ استعمالِ العَربِ للألفاظِ للوصولِ إِلى المعنى المُراد ويَجبُ التَّأكيد على أَنَّ كتبَ معانِي القُرآن أَخصُّ من كتبِ التَّفسيرِ ؛لأَنَّها تَنْتقي الأَلفاظ انتقاءً على وفقِ متطلبات معينةٌ.

قَالَ النَّحَّاسُ (ت٣٣٨هـ): «فقصدتُ في هذا الكتابِ تفسيرَ المَعَاني، والغريب، وأَحكام القرآن، والنَّاسخ والمَنسوخ عَن المتقدمينَ من الأَئمة، وأَذكر من قولِ الجلَّة من العلماءِ باللُّغة وأَهل النَّظر ما حضرني»[1].

وعرَّفَ الدُّكتورُ عليّ بن سلمان علمُ معانِي القُرآن: «إِنَّهُ علمٌ يشرحُ اللَّفظ القُرآنيّ، والاستدلال عَليه، وفَهم تركيبه اللُّغويّ، وما لَهُ من معانٍ واستعمالاتٍ في اللِّسانِ العربيّ، وبخاصَّةٍ ما أَشكل مِنه، واحتاجَ إِلى فَهمه بعضُ العناءِ، كما يعني ببيانِ غريب إِعراب القُرآن، وإِبراز ما فِيهِ من نكاتٍ وفوائدٍ واستنباطاتٍ»[2].

فتعدُّ هذه الكتب أَقرب للُغةِ منها للتَّفسيرِ إِذْ اسهمتْ في خدمةِ القُرآن العَظيم بما تَضمنته مِن بياناتٍ مُهمة فهي بيانٌ لغويٌّ لأَلفاظِ العربيَّة وأَساليبِهَا الواردة في القُرْآنِ

(١) معاني القرآن:١/ ٤٢.

(٢) إيجاز البيان عن معاني القرآن(مُقدِّمةُ الكِتاب)، النَّيسابوريّ:١/ ١١.

الكريم، تَعتمدُ النَّاحية اللُّغويّة أَساسًا في التَّفسيرِ فتأخذُ هذه الكتب على عاتقِها تقديرَ المحذوفِ والمُضمرِ وتخريج مُشْكلِ الخِطاب وتحليله أو تحليلِ المركبِ في الآية لبلوغِ بيان المَعانِي فالمؤلِّف في مَعانِي القُرآن يَستَعْمِلُ آلياتٍ شَتى لبلوغِ المَعنى[١].

تَشتغلُ كتبُ معانِي القُرآنِ على آلياتٍ انْتِقَائِيَّة تَظفرُ بدقائقِ المَعانيّ عن طريقِ التَّنسيق مع عُلُوم شتى وهذا ما أَشار إِليه الدُّكتور مساعد الطَّيَّار إِذ عدَّ علمَ غريبِ القُرآنِ ومُشْكِلُه وعِلم الأَساليب العربيَّة مُرتبِطةٌ برابطِ واحدٍ أَلَا وهو بيانُ اللَّفظِ العربيّ للآياتِ القُرآنيَّة وهذا مَا يَصْبُو إِليه عِلمُ مَعانِي القُرآن ولا تَستَوي هَذِه العُلُوم كُلُّها في كتابٍ معينٍ إِلَّا في كُتبِ مَعانِي القُرآن وإِنْ كانَتْ متفاوتةً في الذِّكرِ كمَّا يرى الدُّكتور وأَكثرها ذِكْرًا غريبُ القُرآنِ[٢].

فهذا العِلمُ تتشابكُ فِيه العُلُوم وهذه سِمَةٌ ملاصقةٌ للغةِ العربيَّةِ خاصَّة فهي لُغة تشترك فيها العلوم وتَشتبك تَرمي مِن ذلكَ الوصولِ إِلى الغايةِ الجامعةِ لمعانيها[٣]، وهذا ما أَشارَ إِليه الدُّكتور مولاي المُصطفى قائلًا: « ويتجسدُ هذا الاشتباكُ المَعرفيُّ في كتبِ مَعانِي القُرآنِ الكريمِ، وهي تَربو على خمسةِ عشرةً علمًا، معاني القرآن وسط الدَّائرة، والعُلُوم الَّتي تكون هالة حولَ هذا القمر: القراءات، اللَّهجات، فِقْه اللُّغة، الأَساليب والبلاغة، النَّحو والصَّرف، علم التَّجويد، الصَّوت، غَريب القُرآن... والقائمةُ تطولُ وتعرضُ، فالقُرآنُ هو مركزُ استقطاب، فمعانِي القُرآن هو قُطب الرَّحى، وهذهِ العُلُوم كُلُّها وسائل تخدم هذا الفن»[٤].

ولَمَّا كان منهجُ التَّفسيرِ البيانيِّ عبارةٌ عن منظومةٍ معرفيَّةٍ تَسعى للكشفِ عن اللَّفظِ

(١) يُنظر: التَّفسير اللغويّ للقرآن الكريم، الدكتور مساعد طيَّار: ١/ ٢٦٥.

(٢) يُنظر: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم:١/ ٥٩.

(٣) يُنظر: الخصائص، ابن جني:١/ ٢٤٤.

(٤) محاضرات بعنوان(علم معاني القرآن ومنظومته اللغوية القرآنية .- أ.د. مولاي المصطفى أبو حازم) المحاضرة الثَّانية، سجلت على الإنترنت موقع:(اليوتيوب) بتأريخ (٢٠-٢٢ يناير ٢٠١٥)، واعتمدتْ صوتيًّا إذ لم تطبع - بجسب اطلاعي- إلى الآن.

القُرآنيّ بأَساليبَ بيانيَّةٍ متنوعةٍ كانتْ كُتب معانِي القُرآن السبَّاقة لهذا المنهجِ ولَابُدَّ من ذكرِ مجموعة من المُؤلَّفاتِ الَّتي أُلِّفت في هذا العِلم ونَكتفي بالمطبوعِ مِنْهَا وأَشهرها[1]:

١. معاني القرآن، للفرَّاء الكوفيّ (ت٢٠٧هـ).

٢. معاني القرآن، لأَبي الحسن الأخفش البصريّ (ت٢١٥هـ).

٣. معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزَّجَّاج (ت٣١١هـ).

٤. معاني القرآن، لأبي جعفر النَّحَّاس (ت٣٣٨هـ).

٥. إيجاز البيان عن معاني القرآن، لمحمود بن أبي الحسن النَّيسابوريّ (ت٣٣٥هـ).

وسنعرضُ: بإيجازٍ أَهمَّ الإِشاراتِ الاستباقيَّةِ للتَّفسيرِ البيانيِّ في هاتِه الكتب ولاسيمَا في البيانات التَّفسيريَّة البيانيَّة في سورةِ الصَّافَّات وسنصطفي إِشارتَينِ استباقيَتنِ الأُولى في كتاب معاني القرآن للفرَّاءِ الَّذي يُمثِّل مُدونةً تفسيريَّةً عظيمةَ الشأنِ جلية المَضمون في تَلمس هاتِه الإِشارات، وكذلكَ كتاب مَعاني القُرآن وإعرابه للزَّجَّاج الَّذي يمثِّل هو الآخر منجزًا تفسيريًّا لغويًّا ونحويًّا في الدَّرس القُرآنيّ.

قالَ الفَرَّاءُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾[2]: «بضمِّ الدَّال. ونصبها أَبُو عبد الرَّحمن السَّلمي. فَمَنْ ضمَّها جعلها مصدرًا كقولك: دَحرته دُحُورًا. ومن فَتَحها جعلها اسمًا كأنه قَالَ: يقذفونَ بداحرٍ وبِما يَدْحَرُ. ولست أشتهيها لأنها لو وجِّهت عَلَى ذَلِكَ عَلَى صحة لكانت فيها الباء كما تقول: يقذفون بالحجارة، ولا نقول يُقذفونَ الحجارة. وهو جائز قَالَ الشاعر:

نُغَالِي اللَّحمَ للأضياف نِيئًا ... وتُرخصه إِذَا نِضجَ القُدورُ

والكلام: نغالي باللَّحم»[3]، يَتبينَّ من هذا النَّصِّ أَنَّ الفرَّاء قد مارسَ التَّفسير البيانيّ في ضوءِ تَوجِهِ القِراءةِ القُرآنيَّةِ فقراءةِ (دَحورًا) بالفتح لم يشجع عليها؛ لأَنَّ هذه

(١) يُنظر: أَنواع التَّصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم، الدُّكتور مساعد الطَّيَّار: ١/ ٥٥-٦٥.

(٢) سورة الصَّافات: ٩.

(٣) معاني القرآن: ٢/ ٣٨٣.

القِراءة قَد تَجْعل التَّركيبَ بعيدًا عن دَأب العَرب وسمتهم إِذْ أَنَّ هذه القراءة تُوجب أَن يكونَ القَذفُ متعديًّا بالباءِ وإِنْ كان التَّعدي جائِزًا كقولِ الشَّاعر الذي ذكره وإِن جازَ ذلكَ في كلام العرب، من هنا فإِنَّ الفرَّاءَ قد ذَكر القِراءاتُ القُرآنيَّةُ موجهًا القِرائتَينِ قِراءة الفتح(دَحورًا) والقِراءة الأَصليَّة (دُحورًا) بالضَّمِّ مبينًا صحةَ التَّركيب وكذلكَ الاستدلالُ بكلامِ العَربِ.

وتتجلَّى الممارسةُ التَّفسيريَّةُ عندَ الزَّجَّاجِ في معرضِ تفسيره لقوله تعالى ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾[1]: «وتقرأ (عَجِبْتُ) - بضم التَّاء - ومعناه في الفتح بل عجبتَ يَا محُمد مِن نُزُول الوحي عليك وَيَسْخَرون، ويجوز أن يكون معناه بل عجبتُمْ إنكارِهم البعث ومن قرأ (عَجِبتُ) فهو إخبار عن اللهَّ. وقد أنكر قومٌ هَذهِ القراءةَ. وقالوا: اللهَّ - عزَّ وجلَّ - لا يعجب، وإنكارهم هذا غلط. لأن القراءة والرواية كثيرة والعجب من اللهَّ -عزَّ وجلَّ - خلافُهُ من الآدميين كما قال: ﴿وَيَمْكُرُ اللهُ﴾، و﴿سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ﴾، ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾. والمكر من اللهَّ والخداع خلافه من الآدميين. وأصل العجب في اللغة أن الإنسان إذا رأى ما ينكره ويقل مثله قال:عجبت من كذا وكذا، وكذا إذا فعل الآدميون ما ينكره اللهَّ جاز أن يقولَ فيه عجبتُ واللهَّ قد علم الشيء قبل كونه، ولكن الإنكار إنما يقع والعجب الذي يلزم به الحجة عند وقوع الشَّيء»[2].

يَظهرُ التَّداخلُ المعرفيُّ في النَّصِّ التَّفسيريَّ للزَّجَّاج في ضوء توجيه قراءة ضمّ التَّاء (عَجِبْتُ) الَّتي أَنكرَ على مَنْ غلطها مستدلًا بذلك بنصوصٍ قرآنيَّةٍ تمثِّلُ معلمًا مِن معالمَ تفسير القُرآن بالقُرآنِ ولم يكتفِ بذلك بَلْ أشار إِلى أَصل العُجْب في اللُّغةِ، فتداخلت العُلُوم من القِراءات القُرآنيَّة وتوجيهها وتفسير القُران بالقُران فضلًا عن الإشاراتِ اللُّغويَّة للفظ القُرآنيّ المحوريّ (عَجِبْتَ).

(١) سورة الصَّافات: ١٢.

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٢٦.و(سورة الأنفال:٣٠)، (سورة التَّوبة:٧٩)،(سورة النِّساء:١٤٢).

المنبعُ الثَّاني: كتبُ مَجازِ القُرآنِ وغَريبُهُ ومُشكلُهُ:

يَنشطرُ الكلامُ العربيّ شطرَينِ متلازمَينِ، هما الكلامُ الحقيقيُّ والكلامُ المجازيُّ والَّذي يعنينا في هذه الفقرة هو الكلام المجازيّ الذي يُعرف أَنَّهُ: «الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتَّحقيق استعمالًا في الغير بالنِّسبة على نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إِرادةِ معناها في ذلك النَّوع»[١]، فاللَّفظ الذي يتعدى عن موضوعه إلى غيره لمناسبة بين الموضوعَينِ وهو إِمَّا عقليٌّ أو لُغويٌّ[٢]، وتعدُّ اللُّغةُ العربيَّةُ دون سواها من اللُّغات متزينةً بخصائص البلاغة وخصائص فنيَّة متميزة فكان المجازُ حاضرًا فيها حضورًا مكثفًا لأَنَّ إِنشاء الكلام المجازيّ يحتاج اللُّغة والبلاغة معًا[٣]، بَل عدَّ قسم من البلاغيِّينَ أَنَّ المجازَ هو علم البيانِ[٤] ولَأنَّ أغلبَ المفسِرينَ الأَوائل كانوا لغويِّيَن وظَفُوا هذا الجانب في تحليلهم للنَّصِّ المقدَّس فاعتمدوا فِقه العربيَّة وأَساليبها واستعمالاتها وخصائص التَّعبير فيها من هنا ولم يبتعدْ أَن يكون تفسيرًا بالرَّأي لذلك تحاشاه الكثير[٥]، وتأتي أَهميةُ كتبِ مجازِ القُرآنِ في كونها اشتملتْ على أَساليب بيانيَّة للوصولِ لمرادِ الله عزّ وجل، فانبرت لنا كتب مجاز القرآن الَّتي فسَّرت النَّصَّ القُرآنيّ على وَفقِ ضوابط بيانيَّة تُأصِّل لما وصلَ إِليهِ المنهجُ البيانيّ في يومنا هذا.

وعلى سبيلِ الذِّكر سنكتفي بذكرِ كتابينِ أُلِفا في هذا العلم وهي:

١. مجازُ القُرآنِ، أبي عبيدة معمر بن المثنى التَّميميّ(ت٢١٠هـ)[٦].

٢. تلخيصُ البيانِ في مجازاتِ القُرآنِ، الشَّريف الرَّضيّ (ت٤٠٦هـ)[٧] ويسمَّى

(١) مفتاح العلوم، السَّكاكيّ: ١/ ٣٥٩.

(٢) يُنظر: التَّعريفات، الشرَّيف الجرجانّي: ٢٠٣.

(٣) يُنظر: مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربيَّة، الدكتور محمد حسين الصَّغير: ٨٦.

(٤) يُنظر: فنون بلاغيّة البيان- البديع، أحمد مطلوب: ٨٤.

(٥) يُنظر: مجاز القرآن، أبي عبيدة التَّميميّ: ١/ ١٦.

(٦) يُنظر: طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي: ٣٠-٣١.

(٧) يُنظر: نهج البلاغة، الشرَّيف الرَّضّي(مقدِّمة الكِتاب): ٧-١٢.

أيضًا(مجاز القرآن)[1].

واخترتُ مثالَينِ من سورة الصَّافَّات لِكُلِّ كتابٍ لاستظهارِ الآلياتِ البيانيَّة التي اشتُغِلَ عليها للوصولِ لمعنى المُراد نبدأُ بما قاله أَبو عبيدة في تفسير قَولِه تعالى: ﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ ﴾[2][الصَّافَّات:١٤٥]: «تقول العَرب: نبذته بالعراء أي الأرض الفضاء قَالَ الخزاعيُّ:

رفعــتُ رجلًا لا أخــافُ عِثارَها ونبــذتُ بالبلــدِ العَــراء ثِيــابي

البلد العراء الذي لا يواريه شيء من شجرٍ ولا من غيره..»((٣))،فأبو عبيدة في هذا النَّصّ بيَّن معنى لفظة (العراء) ببيانٍ لغويّ مع الاستدلال بالشَّعر العربي للوصول للمعنى وهذا من صميمِ الاستعمالِ البيانيّ لتكشيف الأَلفاظ وتبيان دَلالتِها.

وامتلكَ الشَّريفُ الرَّضيُّ حسًّا بيانيًّا يُدرِكُ بِهِ مناحي الجمال في كُلِّ لفظ أَثر ذلك في تفسيرهُ حتّى قِيل :إِنَّه امتلكَ الحاسة البيانيَّة وأَفاد من الأدبيَّة الّتي امتلكها إن شعرًا وإِن بلاغةً((٤)) فأَبدعَ في تَفسير قوله تعالى ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾[5]: «وهذه استعارة. والمراد بالقاصرات الطّرف هاهنا: اللواتي جعلن نظرهن مقصورا على أزواجهنّ. أي حبسن النظر عليهم، فلا يتعدينهم إلى غيرهم. وجيء بذكر الطّرف على طريق المجاز. وإلا فحقيقة المعنى أنهن حبسن الأنفس على الأزواج عفّة ودينا، وخلقا وصونا. وإنما وقعت الكناية عن هذا المعنى بقصر الطّرف، لأن طماح الأعين في الأكثر يكون سببا لتتبّع النفوس وتطرّب القلوب، وعلى هذا قول الشاعر:

(١) يُنظر: رجال النجاشّي، النَّجاشّي: ٣٩٨.
(٢) سورة الصَّافَّات: ١٤٥.
(٣) مجاز القرآن:٢/ ١٧٥.
(٤) يُنظر: خطوات التَّفسير البيانّي للقُرآن الكريم، الدكتور محمَّد رجب بيوميّ: ١٨٥.
(٥) سورة الصَّافَّات: ٤٨-٤٩.

وإنّك إنْ أَرْسَـلتَ طَرفَـكَ رَائِدًا لِقَلْبِـكَ يَوْمًـا أَتْعَبَتْـكَ المَنَاظِـرِ

والطَّرف هاهنا واحد في تأويل الجميع :ونظيره قوله سبحانه: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾. أي على أسماعهم، أو مواضع استماعهم»[1]، في هذا النَّصّ تتجلى أَروع الأَساليب البيانيّة لتحليل وتفسير النَّصّ القرآنيّ وتحليله إذْ عَمدَ الشَّريف الرَّضيّ إلى بيانِ المعنى المجازيّ واتبعه بالمعنى الحقيقيّ لـ﴿قَصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ والمعنى المستعمل في الآية هو المجاز وأَشار إلى الكناية أَيضًا ومن ثُمَّ استدلَ بالشِّعرِ العربيّ وعلَّق عليه ومن ثُمَّ استشهدَ بالآيةِ القُرآنيَّة ليجعلها مُناظرةً للآيات الَّتي أَرادَ تفسيرها وهنا يتبيَّن تلوّن الآليات البيانيَّة الّتي مارسَها الشَّريف الرَّضيّ لبلوغِ المعنى، وعلَّق الدُّكتور محمَّد رجب البيوميّ على هذا النَّصَّ الَّتفسيري قائلا: «فهذا شَرحٌ أَدبيٌّ يقدر الاتجاه النَّفسيّ في فَهْم الكِنايَّة البلاغيَّة ونجن نعدُّ ذلكَ من المبتكرات الحديثة لدى ناقد اليوم»[2] وقَالَ أَيضًا: «والرُّجوع إلى أُسلوب الشَّريف الرَّضي في التَّفسير البيانيّ ممَّا يُمْتِعُ الحسّ ويمدُّ اللِّسان!»(٣).

هذا في ما يَتعلق بمجاز القُرآن أَمَّا النَّوع الأخر من المؤلَّفاتِ الَّتي سنُحاول التَّعريج على بيانِه، فهو غريب القرآن هذا العلم الذي جعل اللَّفظة القرآنيَّة مدار بحثه، وأهتم به اللُّغويِّونَ خاصَّةً وتخالف مؤلفات غريب القرآن كتب معاني القرآن بإكثارها من الشواهد الشِّعريَّة أَمَّا الأخيرة فتَصبُ تركيزها على الشَّاهد النحويّ(٤)، وهاتانِ الآليتانِ تصُبَانِ في صلبِ المنهجِ البيانيِّ لتفسيرِ القُرآنِ الكريم ويمكنُ تعريف هذا العلم بأَنَّه: «علمٌ يختصُ بالبحثِ عن الألفاظِ الغامضةِ البعيدةِ عَن الفَهم في القُرآنِ العظيم

(١) تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشرَّيف الرَّضّي: ٢٥٧.

(٢) خطوات التَّفسير البيانّي للقُرآن الكريم: ١٨٥.

(٣) المَصدر نفسه: ١٨١.

(٤) يُنظر: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم، الدكتور مساعد الطَّيَّار: ١/ ٦٤.

وتوضيحها بما جاء في المأثور وفي لغة العرب»[١]، ويمكن القول أَيضًا: إِنَّه«بيان مدلول الكلمات القرآنيّة الَّتي يُصعبُ فَهمها مع ذكر كيفية الدَّلالة عليه أحيانًا»[٢]، وتأسيسًا على ذلكَ فإِنَّ علمَ غريب القرآن يعدُّ بمثابةِ الجزء من الكلِّ من علم التَّفسير يحتاج لأَدوات تُسَاعِد على استجلاء غوامض الأَلفاظ ومن أهم هذه الأدوات علم اللُّغة وعلم النَّحو مع الاستعانةِ بالمأثور من لغةِ العربِ ولابدَّ من ذكر نصّ مصطفى صادق الرَّافعي إذ قال: «وفي القُرآن أَلفاظ اصطلح العلماء على تسميتها بالغرائب، وليس المراد بغرابتها أنها منكرة أو نافرة أو شاذة فإن القرآن منزه عن هذا جميعه وإنما اللفظة الغريبة هاهنا هي التي تكون حسنة مستغربة في التَّأويل بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس»[٣]، فالألفاظ الغريبة ليس مقصودنا أَنها لم تفد معنى أو شاذة عن أَقوال العرب وإنما الألفاظ التي لم يتساوِ سائر النَّاس في فَهمها فهي بحاجة لإيضاح للفئة التي تجهلها، فإِنَّ القُرآن الكريم لم يكن فيه الخفي والغريب فالذي غرب عن الصحابة سالوا عنه المفُسِّر الأَوَّل أَلا وهو رسول الله صلى الله عليه وآله لَمَّا توسَّعت الرُّقعة الجغرافيّة للعرب أَضعف السَّليقة اللُّغويَّة لاختلاط اللِّسان العربيّ بغيره من هُنا نَشأَ هذا العلم[٤] عليه أُلِّفت مؤلفات عدّة بدأت مع بداية القرن الثَّاني إلى عصرنا هذا[٥]، ووقع الاختيار على كتاب الرَّاغب الأَصفهانيّ أو الأَصبهانيّ (ت٥٠٢هـ) في ظلِّ كتابه القيّم (مفردات ألفاظ القرآن)[٦] وسمِّيَ (المفردات في غريب القرآن)[٧]، وقال عنه السُّيوطيُّ: «وَمِنْ

(١) التِّبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم(ت٨١٠هـ)(رسالة ماجستير)، محمد عارف فاروق:٩.
(٢) علم غريب القُرآن الكريم مراحله- ومناهجه-وضوابطه، إبراهيم بن عبد الرحيم حافظ حسين: ٢٢.
(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النَّبويَّة: ٢٤.
(٤) يُنظر: التِّبيان في تفسير غريب القرآن محمّد الشّهرستانّي الحائريّ(مُقدّمة الكتاب): ث.
(٥) يُنظر: علم غريب القُرآن الكريم مراحله- ومناهجه-وضوابطه، إبراهيم بن عبد الرحيم حافظ حسين: ١٠٣،٦٠.
(٦) يُنظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة:٢/ ١٧٧٣.
(٧) يُنظر: تحفة الأريب بما في القرآن من غريب، أبي حيانٍ الأندلسّي: ٢٥.

أَحْسَنِهَا الْمُفْرَدَاتُ لِلرَّاغِبِ»[1] أي: أَحسن ما أُلِّف في علم غريب القُرآن.

استعملَ الرَّاغبُ الأَصفهانيُّ أكثرَ مِن أُسلوبٍ بيانيٍّ في كتابِه وسنقفُ على مثالٍ من كِتابِهِ انْبَرى فيه لتبيان مادَّة (أفك) في ضوء ملاطفته لآليات بيانيَّة عدَّة فقالَ في هذه المادَّة: «الإفك: كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه... وقوله: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾[2] فيصح أن يجعل تقديره: أتريدون آلهة من الإفك، ويصح أن يجعل «إفكا» مفعول «تريدون»، ويجعل آلهة بدل منه، ويكون قد سمّاهم إفكا. ورجل مَأْفُوك: مصروف عن الحق إلى الباطل، قال الشَّاعرُ:

فإن تكُ عن أَحسنِ المروءةِ مَأفو ... كا ففي آخرين قد أَفكوا

وأُفِكَ يُؤْفَكُ: صرف عقله، ورجل مَأْفُوكُ العقل»[3]، في هذا النَّص البيانّي للآية المباركة عمدَ الأَصفهانيّ إلى بيان المادة لُغويًّا ومن ثُمَّ بين تقدير المحذوف، وبيَّن الأوجه الإعرابيَّة واستشهد بالمأثور عن العرب في شعرهم وأَبان عن المادَّة مجددًا في موضع سورة الصَّافَّات وهذه الآليات كلُّها أَدواتٌ بيانية تسبر أغوار النَّصّ وتبيِّنه ولا يَخفى أَنَّ هاته الأَساليب تعدُّ إشاراتٍ إرهاصيَّة استباقيَّة لمنهج التَّفسير البيانيّ.

بقيَ القِسم الأخير في هذه الفِقْرة وهو مشكل القُرآن والمؤلفات فيه ينبغي أن نعرفَ أن مصطلح المُشكل يُبحث في أكثر من علم فاللُّغويِّون وعلماء الحديث والأُصوليِّونَ والبيانيِّونَ والمفسرينَ وعُلَماء علوم القُرآن قَد أفردوا أَبوابًا للبحثِ في هذا المصطلح فالمُشكل يُعبرُ عَن ماخفيَ من الإعرابِ وما خَفِي من الحديثِ وما خفي من النَّصّ القُرآنيّ والنُّصوص البلاغيّة والقِراءات وما يَترتبُ عليه من دَلالة والذي يهمُّنا هو المُشكل في القُرآن وهذا فينبغي تعريفه عند مَنْ فسَّر الأَلفاظ المُشكلة في القرآن فالمشكل عند المفسرين وعلماء عُلُوم القُرآن هو: «الآيات الَّتي التبس معناها واشتبه

(١) الإتقان في عُلُوم القرآن: ٢/ ٣.

(٢) سورة الصافات: ٨٦.

(٣) مفرداتُ أَلفاظ القرآن: ٧٩-٨٠.

فلم يُعْرَف المراد منها عند كثير من المفسرين»[1]، وهو: «الالتباس والاختلاط بين آيتين متقاربتين في المعنى بحيث يصعب التوفيق بينهما دون الإمعان في النظر أو ما اشتبه المراد منه على وجه لا يعرف تأويله إلاّ بدليل يتميّز به من باقي سائر الأَشكال المختلفة»[2]، عليه فإنَّ المؤلَّفات الَّتي أُلفت في هذا الجانب تسلك أكثر من علم للوصولِ إلى إظهار الدَّلالة ولو بقدرٍ يَسير ومن المؤلّفات الَّتي نمثِّل لها بمثالٍ هو كتاب (تأويل مُشكل القرآن) لابن قتيبة الدّينوريّ (ت٢٧٦هـ)[3]، إذْ عمدَ لتَّفسير القرآن بأَساليب بيانيَّة عدَّة ؛ليظهر المعنى معتمدًا تفسير القُرآن بالقُرآنِ والتَّفسير بالأَثر النَّبويّ والصَّحابة والتَّابعين ونقلَ عن العلماءِ السَّابقين له واستدل باللُّغةِ، والشِّعر ويعمد إلى الإطالة والعرض أَحيانًا((٤))، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[5]: «طلعها: ثمرها، سمّي طلعًا لطلوعه كلّ سنة، ولذلك قيل: طلع النخل، لأوّل ما يخرج من ثمره، فإذا انتقل عن ذلك فصار في حال أخرى، سمى باسم آخر. والشَّياطين: حيّات خفيفات الأجسام قبيحات المناظر. قال الشاعر وذكر ناقة:

تُلاعِبُ مَثْنى حَضْرَمِيٍّ كأنَّه ... تَعَمُّجُ شيطانٍ بذي خِرْوعٍ قَفْرِ

عني: زماما، شبّه تلوّيه بتلوّي الحيّة. وقال آخر:

عُجَيِّزٌ تَحْلِفُ حِينَ أَحْلِفُ ... كمِثْلِ شَيْطَانِ الحَمَاطِ أَعْرَفُ

والحَمَاطُ: شجرٌ. والعرب تقول إذا رأت منظرا قبيحا: كأَنَّه شيطان الحماط. يريدون حيّة تأوى في الحماط، كما يقولون: أيم الضّال، وذئب الغضى، وأرنب خلّة، وتيس

(١) مُشكل القُرآن الكريم، عبد الله بن حمد المَنصور، ٦٨.

(٢) مُعجم عُلوم القرآن، إبراهيم محمد الجُرميّ: ٢٧٩.

(٣) يُنظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات الأنباريّ:٢٠٩.و مُشكل القُرآن الكريم: ٢٩.

(٤) يُنظر: كتب مشكل القرآن حتى القرن السادس الهجري دراسة لغوية تحليلية(رسالة دكتوراه)، حامد أديينوي جمعة:٤٦-٥٣.

(٥) سورة الصافات: ٦٤-٦٥.

حلّب، وقنفذ برقة. وذهب بعض المفسرين إلى أنه أراد الشياطين بأعيانها. شبّه ثمر هذه الشجرة في قبحه، برؤوسها، وهي إن لم تر، فإنّها موصوفة بالقبح، معروفة به»[1]، نلاحظُ الإشاراتِ الاستباقيَّةَ البيانيَّةَ عندَ ابن قتيبة في هذا النَّصّ إذ ألمح عن دَلالة طلعها إلماحةً دقيقة ثُمَّ عرَّج إلى تبيان دَلالة لَفظ الشيطان، مستدلًا على إقرار هاته الدَّلالة بكلام العرب، فَضلًا عن ذلك استمد تفسيرًا لها في ظلِّ بيانات المُفسِّرينَ فبدا أَن ابن قتيبة قد وظَّف آلياتٍ بيانيَّة ؛لتوضيح مشكل الألفاظ المحوريَّة في النَّصِّ المُبارك (طلعها، شياطين)، وهذه الآليات إِمَّا لُغويَّة من كلامِ العربِ أَو تَفسيريَّة من أَقوالِ المفسّرِينَ.

المنبعُ الثَّالثُ: كتبُ بلاغةِ القُرآنِ وإعجازهُ:

تتميزُ اللُّغة العربيَّة ببلاغتها وجَمال ألفاظها وتلوّنِ أَساليبها البيانيَّة ولأَنَّ القُرآن الكريم نزل على أمة العرب كان متزينًا بأَفضل الأَساليب البَيانيَّة وأَسمى الأداءات الأُسلوبيَّة وأَمتن النُّظوم التَّركيبيَّة جعل اللُّغة العربيَّة تغترف منه ومن أَلفاظه وتوسعت مباحثها وتوسعت علومها، من هنا كانت البلاغةُ القُرآنيَّة مدخلًا للكشفِ عن وجوه الإعجاز القُرآنيّ قال تعالى في كتابه العظيم: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[2] فالبيان دالٌّ على إيضاح كل شيء من معارف ومعتقداتٍ وغيرها[3]، والبيانُ أَعم من البلاغة والفَصاحة فالفَصاحة الخُلوص من الشَّوائب وأما البلاغة فتهتمُّ بالمعنى وكيفية إيصاله للسَّامع بأوجز عبارة مع مراعاة الخِطاب لمقتضى الحال[4] وخصائص هذا البيان تختلف بطريقة صنعها فقد يكون البيان بالإشارة، بالخط وبالعقد وبالنَّصبة[5].

(١) تأويل مشكل القرآن، ٣٨٨-٣٨٩.
(٢) سورة النحل: ٨٩.
(٣) يُنظر: الميزان في تفسير القرآن، الطَّباطبائيّ:١٢/ ٣٢٥.
(٤) يُنظر: أبحاث في بلاغة القرآن الكريم، محمد كريم الكواز:٤٣.
(٥) يُنظر: البيان والتَّبين:١/ ٥٥-٥٩، ١١٥.

لا جَرمَ أَنَّ مؤلفاتِ البلاغة العربيَّة، ولاسيما الَّتي عُنيت بالبلاغة القُرآنيَّة، وكذلكَ الَّتي اهتمت باستجلاءِ إعجاز القُرآن الكَريم، ومعرفة إِعجازيَّة النَّظم القرآنيّ بلاغيًّا، كان هدفها وغايتها هو استظهار الإعجاز في جانبه البيانيّ خاصَّة.

أَمَّا بعد ؛فإِنَّ المؤلفاتِ في الدَّرس البلاغيّ القرآنيّ وإعجازه تَصبو الوَصول إلى هدف واحد أَلا وهو إِظهار الإِعجاز في جانبه البيانيّ خاصَّةً، مع الكشف عن المعاني البليغة والنَّظم العجيب والاتّساق الباهر والتَّسييق الحَسَن وأسلوبه الرَّائق ومعناه البليغ ونظمه المُعجب وأَسلوبه الرَّائق الذي تستهويه النُّفوس والأَسماع[١]، ووضع الجاحظ أَوصافًا ودَلالات من أجل ضبط مقاييس الكلام جودةً وحسنًا بقوله:«لا يكون الكلام يستحقُّ اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه،ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك»[٢]، وقال المُبرِّد (ت٢٦٨هـ): «إنّ حق البلاغة إحاطة القول بالمعنى واختيار الكلام وحسن النظم حتى تكون الكلمة مقاربة أختها ومعاضدة شكلها، وأن يقرب بها البعيد، ويحذف منها الفضول»[٣]، من هَنا لابد من التَّعريج على تعريفُ البلاغةِ قال الرُّمانيّ (ت٣٨٦هـ): «البلاغةُ هي إِيصالُ المعنى إِلى القلبِ في أَحسنِ صورةٍ من اللَّفظ»[٤]، فالمعنى المراد هو المحور عنده وكيفية إيصاله إلى قلب المتلقِّي بأَجمل صورة من اللَّفظ وفي هذا المعنى قال، أبوهلال العسكريّ (ت٣٩٥هـ): «كل ما تبلغ به قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك، مع صورة مقبولة ومعرض حسن»[٥]، والبلاغة في الكلام هي: «مطابقتُهُ لمتقضى الحالِ مَع فصاحتِهِ»[٦]، وهذا التَّعريف الأَشهر للبلاغةِ والأَسلوب البيانيّ الذي يَتحدَّثُ عنه من تطابقِ الكلامِ

(١) يُنظر: أصول البلاغة، البحرانيّ:٨.
(٢) البيان والتَّبين:١/ ١١٥.
(٣) البلاغةُ: ٥٩.
(٤) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرُّمانيّ الخطابيّ الجرجانيّ (النُّكت في إعجاز القرآن):٧٥-٧٦.
(٥) كتاب الصِّناعتين: ١٠.
(٦) الإِيضاح في علوم البلاغة، جلال الدِّين القزوينيّ:١/ ٤١.

مع مقتضى حالِهِ مع فصاحتِهِ مع البراعةِ والفنونِ المُختلفة كُلِّها تَجتمع في القُرآن العظيم[١] فأَهم ما يُمّيزُ القُرآنَ العظيمَ فصاحةُ ألفاظِهِ وسموُّ معانيه وبلاغتها وروعة نظمه وتناسق آياتِهِ وبداعة أَسلوبه الَّذي لا مثيل له[٢].

وللوقوفِ على بعض الآليات الَّتي استعملها المؤلّفون في كتبِ بلاغةِ القُرآنِ وإعجازِه الَّتي لها ارتباط بالمنهج البيانيّ لتفسير القُرآن الكريم نَذكر كتابَينِ مُهمينِ نَدَّت فيها بعض الآليات البيانيّة لتبيان الدَّلالة القُرآنيَّة هما:

١. النُّكت في إعجاز القرآن لأَبي الحسن بن عيسى الرُّمانيّ (ت٣٨٦هـ)[٣].

٢. دلائلُ الإِعجاز لعبد القاهر الجُرجانيّ (ت٤٧١هـ)[٤].

نَلحظُ أَن تطورَ علم البلاغةِ سببه زيادة الحاجة لتبيان الإِعجاز القُرآنيّ فمضى القُدماء يتلمَّسون المَظاهر البلاغيَّة فيبيّنون إِعجازه، فعُدَّتْ المُؤلفاتُ الأُولى أَصل المصادر البلاغيَّة لتَّضمنها عِلْمَي البلاغةِ والإِعجازِ[٥]، في هذا المعنى قَال ابنُ خَلدون (ت٨٠٨هـ) مشيرًا إِلى ثَمرةِ عِلم البلاغةِ: «إِنَّما هِي في فَهم الإِعجاز مِن القُرآن، لأَنَّ إِعجازهُ في وفاءِ الدَّلالة منه بجميع مقتضيات الأَحوال منطوقه ومفهومه وهى أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالألفاظِ في انتقائها وجودة رصفها وتركيبها، وهذا هو الإِعجاز الَّذي تقصر الأفهام عن إدراكه، وإِنَّما يدركُ بعض الشَّيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللِّسان العربيّ وحصول ملكته فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه»[٦].

قَسَّمَ الرُّمانيُّ وجوه الإِعجاز على سبعةِ أَوجهٍ واختار منها الوَجه البلاغيّ وصنفَ

(١) يُنظر: نفحات الإعجاز في رد الكتاب المُسمى (حسن الايجاز)، أَبُو القاسمِ الخوئيُّ: ١١.

(٢) يُنظر: أصول البلاغة، البحرانيّ:١٢.

(٣) يُنظر: البلاغة والتَّطبيق: ٢٢.

(٤) يُنظر: المصدر نفسه: ٢٦.

(٥) يُنظر: البلاغة والتَّطبيق: ٢١.

(٦) مقدّمةُ ابن خلدون: ٥٥٢.

القُرآن في أعلى طبقات البلاغة[١]، وانبرى لتقسيم البلاغة على عشرةِ أوجه هي: «الإيجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتَّجانس والتَّصريف والتَّصمين والمبالغة وحسنُ البيانِ»[٢].

والذي اخترتهُ لبيان الإشارات الاستباقيّة للتَّفسير البيانيّ عندَ الرُّمانيِّ هو قسم الفُواصل إذ عرَّفَ الفواصلَ بأنَّها: «حروفٌ متشاكلةٌ في المقاطع تُوجبُ حُسْن إفْهام المعاني»[٣]، والسَّبب لاختيار هذا القسم أَنَّ الفواصلَ طريقٌ لإفهامِ المعاني وإبراز الدَّلالة بأَحسن وجه ومن ثُمَّ قسَّم الفواصلَ إلى قسمين الأَوَّل: الفواصل المتجانسة كالألف مع الألف وغيرها من الحروف التي تتجانس في نهاية الآيات[٤] ومثالٌ لذلك من سورة الصَّافَّات قوله تعالى: ﴿ دُحُورٗا وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ﴾[٥] والشَّاهد هنا تجانس الباء مع الباء والقسم الثَّاني: الفواصل المُتقاربة كالميم والنُّون والدَّالُ والباء[٦] ومثال ذَلِك قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ۝٤١ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ﴾[٧] والشَّاهد كما هو ظاهر المِيم والنُّون، وعلَّق الرُّمانيّ على النَّوع الثاني قائلًا: «وحسن في الفواصل الحروف المتقاربة لأَنَّه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد لما فيه من البلاغة وحسن العبارة»[٨].

وتأسيسًا على ذلكَ، فإنَّ هذه البيانات الَّتي أَشارَ لَها الرُّمانيُّ تدلُّ على أَنَّهُ اعتمدَ آلياتٍ بيانيَّةٍ لإضاءةِ النَّصِّ المُقدَّس ولا يَخفى أَنَّ الفَاصلةَ القُرآنيَّة آخر الآية فيها تشاكل

(١) يُنظر: ثلاثُ رسائل في إعجاز القرآن(النُّكت في إعجاز القُرآن): ٧٥.
(٢) المصدر نَفسه: ٧٥.
(٣) سورة الصَّافَّات: ٩-١٠.
(٤) المصدر نفسه: ٩٨.
(٥) المصدر نَفسه: ٧٥.
(٦) المصدرُ نَفسهُ: الصَّحيفة نفسها.
(٧) سورة الصَّافَّات: ٤١-٤٢.
(٨) يُنظر: ثلاثُ رسائل في إعجاز القرآن(النُّكت في إعجاز القُرآن):٩٨.

في الحروف والمقاطع لها أثرٌ في تحسين المعنى ولها أَثَرٌ في استراحة الكلام وتقارن بالقافيَّةِ في الشَّعر والسَّجع معًا[1] فما رصدناهُ مِن إشاراتٍ إجرائيَّة وتطبيقيَّة عند الرُّمانّي تتعلقُ بمنهجِ التَّفسير البيانيّ وتأصلُ له.

وتَظهرُ عندَ عبد القاهر الجُرجانيّ الإجراءات التَّأَصليّة للتَّفسير البيانيّ بشكلٍ أَوضح موظفًا مجموعة من الآلياتِ في وَقفتهِ عند قوله تعالى: ﴿أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ١٥٣ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾[2]. قال: «واعلمْ أنَّ (الهمزةَ) فيما ذكرنا تَقريرٌ بفعلٍ قد كان، وإنكارٌ له لِمَ كان، وتوبيخٌ لفاعِلِه عليه. ولها مذهبٌ آخَرُ، وهو أن يكون الإنكار أَنْ يكونَ الفعلُ قد كانَ مِنْ أَصْله. ومثالُه قولُه تعالى: ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمًا﴾[3]، وقولُه: عزَّ وجلَّ: ﴿أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ١٥٣ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾[4]، فهذا رَدٌّ على المشركيَن وتكذيبٌ لهم في قولِهم ما يُؤَدِّي إلى هذا الجهلِ العظيم، وإذا قدِّم الاسم فهذا صارَ الإنكارُ في الفاعل. ومثالُه قولُكَ للرجل قد انْتَحلَ شِعراً: (أَأَنْتَ قلتَ هذا الشعرَ؟ كذبتَ، لسْتَ ممنْ يُحْسِن مِثلَه)، أَنْكَرْتَ أنْ يكون القائل ولم تنكر الشعر. وقد يكون أن يُرادُ إنكارُ الفعلِ من أَصْله، ثم يُخرَجُ اللفظُ مخرجَه إذا كان الإنكار في الفاعل. مثالُ ذلك قولُه تعالى: ﴿قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡ﴾[5]»[6].

يتحدَّثُ الجُرجانيُّ عن دخولِ الاستفهام على الفعلِ وإرادتِه مُزاولةً وتَزجيةً بمعنى: أَنَّ فعلَ الاصطفاءِ هو المُراد في النَّصِّ المباركِ وهو ملمحٌ بيانيٌّ لُه علاقةٌ بإرادةِ المقدَّمِ وتعيينِهِ بخلافِ لَو أَنَّ الاستفهامَ دخلَ على الاسمِ فيكونُ الاستفهام الانكاريّ

(١) يُنظر: محمَّد الحسناويّ، الفاصلة في القرآن: ٢٩.
(٢) سورة الصَّافَّات: ١٥٣-١٥٤.
(٣) سورة الإسراء: ٤٠.
(٤) سورة الصافات: ١٥٣-١٥٤.
(٥) سورة يونس: ٥٩.
(٦) دلائِل الإعجاز، الجُرجانيّ: ١١٤.

منصبًا على إرادةِ الفاعل ففرقَ الجُرجانيُّ بينَ جملتي (أَقلتَ هذا الشِّعر) وجملة (أَ أَنتَ قلتَ هذا الشِّعر) فانكرتَ الفعل في جملة أَقلت هذا الشَّعر وأَنكرتَ الفاعلَ في جملةِ (أَ أَنتَ قلتَ) والمُراد من الفاعلِ المعنويِّ الَّذي يَقوم بالفعل. ولَم يكتفِ بذلكَ على إرادةِ إنكار الفاعل في قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾[1]، وهذه الآلياتُ الإجرائيَّةُ تعدّ إشاراتٍ استباقيَّةً تمهيديَّةً ومُؤسّسةً لمنهجِ التَّفسيرِ البيانيِّ.

المنبعُ الرَّابعُ: كتبُ التَّفسيرِ:

تعدَّدت المناهجُ والطُّرقُ للتَّفسيرِ القُرآنِ العظيمِ فهو الكتابُ المقدَّس والكلامُ الأَعظم أَنزَلَهُ اللهُ عزّ وجل بلغةِ العربِ مضافًا لهذا أَنَّه يُحاكِي بقيةَ الأُممِ فيَضُم إِلى جانبِ أَنَّهُ عربيٌّ اللُّغة إِلا أَنَّه يتطلبُ فَهمًا واستيعابًا منقطعَ النَّظير لَما احتواهُ من تشريعٍ ووقوانينَ وأَخلاقٍ، مع بزوغِ فَجر التَّدوينِ التَّفسيريّ تنوعتْ المناهجُ التَّفسيريَّةُ باختلافِ علقيَّات المفسّرين ومرجعياتهم والبيئةِ وتأثيرها فالمنهج التَّفسيريّ هو: الطَّريقةُ الَّتي يَسلكها مفسِّر كتابِ الله (عزَّ وجلَّ) على وفقِ خطواتٍ مرتبةٍ يَسيرُ عليها للوصولِ إِلى تحقيقِ تفسيرِ الكِتاب على وفق مجموعةٍ مِن الأَفكارِ يُعنى بتطبيقِها وإبرازِها من خلالِ تفسيرِهِ[2].

عليه فإِنَّ كتبَ التّفاسيرِ مع تَنوعِها وكثرتِها وتلونِ مناهجها بالتَّطبيق والممارسة النَّقديَّة للنَّص الَّتي تَحملها عقول المُفسرِينَ تعدُّ منطقًا لِكُلِّ منهجٍ جديدٍ يُحاولُ الكشفَ عَن معاني النَّصِّ المباركِ.

وسنسلطُ الضَّوء على أَربعةٍ من كتبِ التَّفسيرِ حَملتْ في طياتِها ملامحَ تُأصِيل للتّفسيرِ البيانيِّ هي:

(١) سورة يونس: ٥٩.

(٢) يُنظر: دروس في التَّفاسير ومناهج المفسرين، فارس علي العامر: ١٦-١٨.

١. التِّبيانُ في تفسيرِ القُرآن لأبي جعفر الطُّوسيّ (ت٤٦٠هـ)[١].

٢. الكشَّافُ عن حقائقِ التَّنزيل وعيون الأَقاويل في وجوه التأويل لجارِ اللهِ الزَّمخشريّ (ت٥٣٨هـ)[٢].

٣. الجامعُ لأَحكامِ القُرآن لأبي عبد الله محمَّد القُرطبيّ (ت٦٧١هـ)[٣].

٤. التَّحريرُ والتَّنويرُ لمحمَّد الطَّاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)[٤].

تتميزُ الكتبُ التَّفسيريَّةُ بأَنَّها اشْتملتْ على عُلُومٍ عدَّة يجمعَها كتابٌ واحدٌ على عكسِ الكتبِ الَّتي أَشرنا إليها ن قبلُ سابقًا باختلافِ المناهجِ المتبعة فيها وهذا ما نلمحه من قول الطُّوسيّ (ت٤٦٠هـ): «أَما بعد، فان الذي حملني على الشُّروع في عمل هذا الكتاب إنّي لم أجد أحدا من أصحابنا – قديمًا وحديثًا – من عمل كتابا يحتوي على تفسير جميع القران، ويشتمل على فنون معانيه وإنما سلك جماعة منهم في جميع ما رواه ونقله وانتهى إليه في الكتب المروية في الحديث، ولم يتعرض أحد منهم لاستيفاء ذلك، وتفسير ما يحتاج إليه. فوجدت من شرع في تفسير القرآن من علماء الأمة، بين مطيل في جميع معانيه، واستيعاب ما قيل فيه من فنونه – كالطَّبريِّ وغيره – وبين مقصر اقتصر على ذكر غريبه، ومعاني ألفاظه. وسلك الباقون المتوسطون في ذلك مسلك ما قويت فيه منتهم وتركوا مالا معرفة لهم به فان الزجاج والفراء ومن أشبههما من والنحويين، أفرغوا وسعهم فيما يتعلق بالإعراب والتصريف. ومفضل بن سلمة وغيره – استكثروا من علم اللغة، واشتقاق الألفاظ. والمتكلمين – كأبي علي الجبائي وغيره – صرفوا همتهم إلى ما يتعلق بالمعاني الكلامية»[٥].

(١) يُنظر: التَّفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة: ٢/ ٨٤٨.

(٢) يُنظر: المفسرونَ حياتهم ومنهجهم، محمد علي إيازيّ: ٥٧٤.

(٣) يُنظر: أَعلام الزَّركلّي، خيرُ الدِّين الزَّركلّي: ٥/ ٣٢٢.

(٤) يُنظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ٢/ ١٠٢٤.

(٥) التِّبيان في تَفسير القُرآن: ١/ ١.

يُعدُّ تفسيرُ التِّبيانِ تفسيرًا جامعًا حافلًا بفنونٍ وعُلومٍ مختلفةٍ من لُغةٍ وأَدبٍ وقراءةٍ ونَحوٍ وتفسيرٍ وتأويلٍ وفِقْهٍ وكلامٍ فهو منظومةٌ معرفيَّةٌ تسلكُ طريق معرفة كتاب الله[1]، ونَرى في تفسيره بعض الآليات البيانيَّة لتَّفسير القرآن العظيم ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾[2] قال: « قوله: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ ﴾ معناه مال إليها بحدة، تقول: رَاغَ يروغُ روغًا وروغانًا مثل حَاد يَحيد حيدًا وحيدانًا، والرَّواغ الحياد، قال عدي بن زيد:

يَـوْمَ لا يَنْفَـعُ الـرَّواغُ ولا ... يَنْـفَعُ إلّا الصَّـادقُ النَّحْـرِيرُ.

وإنَّما مالَ إليها بحدةٍ غضبًا على عابديها، وقولهُ ﴿ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ ﴾ معناهُ إلى ما يدعونَ أَنَّها آلهتَهُم أَي إلى ما اتخذوها آلهة لَهم، كَما تَقول للمبطلِ: هاتْ حجتكَ مع علمكَ أَنَّه لا حجَّة لَهُ»[3].

أَبرقَ الشَّيِّخُ الطُّوسيُّ بإلمحاتٍ بيانيَّةٍ في هذا النَّصَّ التَّفسيريّ إذ عمدَ إلى تبيانِ دَلالة الفِعل(رَاغ) وقالَ هو بمعنى: الميل والزَّيغ والحيدانِ مع استعراض لمُشتقات مادَّة (روغ) وكذلك التَّمثيل للفعل ومشتقاته بفعلٍ أَكثرة شهرة منه وهو الفِعل حاد يَحيد حيدانًا مع الاستدلالِ بكلامِ العربِ من إرادةِ معنى الميل والتَّرك رغمًا وقسرًا.

ويعدُّ تفسيرُ الزَّمخشريُّ (الكَشَّاف) من التَّفاسير المِثاليَّة إِذْ لَمَ يسبقْ له مثيلٌ، قال أَبُو حيان الأَندلسيّ: « وَكِتَابُ الزَّمَخْشَرِيِّ أَلْخَصُ وَأَغْوَصُ»[4]، إذ أَنَّه اهتمَ بوجوهِ الإِعجازِ في الآياتِ والكشفِ عن جمالِ نظم القُرآن العَظيم وبلاغتِهِ وسحرِ بيانِه وساعدَ في تميز تفسيرهُ براعتُهُ في البلاغةِ والبيانِ والإعرابِ وسيطرتُهُ على اللُّغةِ والتَّفسيرِ[5].

(١) يُنظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ٢/ ٨٥١.
(٢) سورة الصَّافَّات: ٩١.
(٣) التِّبيان في تفسير القُرآن: ٨/ ٥١١-٥١٢.
(٤) البحر المحيط في التَّفسير: ١/ ٢١.
(٥) يُنظر: دروس في التَّفاسير ومناهج المفسرين: ٨٢.

تَظهرُ الاشتغالاتُ البيانيّة عندَ الزَّمخشريِّ جليَّةً بأَكثرِ مِن طريقٍ وأُسلوب ساعدتْ في إرشادِ المحدثينَ في بلورةِ منهجِ التَّفسيرِ البيانيِّ حتَّى بلغَ هذا المَنهج شبابَهُ على يدِّ الزَّمخشريِّ إِذْ أَصبح لوحة زاهية من لوحاتِ الجمالِ القُرآنيِّ[1] ففي تفسير قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾[2] قالَ: «﴿يُنزَفُونَ﴾ على البناء للمفعول، من نزف الشَّارب إذا ذهب عقله. ويقال للسَّكران: نزيفٌ ومنزوفٌ. ويقالُ للمطعون: نزفَ فماتَ إِذا خرجَ دمهُ كلّه. ونزحت الرّكية حتى نزفتها: إذا لم تترك فيها ماء. وفي أمثالهم: أجبن من المنزوف ضرطا. وقرئ: ﴿يُنزَفُونَ﴾، من أنزف الشارب إذا ذهب عقله أو شرابه. قال:

لَعَمْرِي لَئِـنْ أَنْزَفْتُمُو أَوْ صَحَوْتُمُو ... لَبِئْـسَ النَّدَامَى كُنْتُمُـو آلَ أَبجرَا

ومعناه: صار ذا ترف. ونظيره: أقشع السحاب، وقشعته الريح، وأكب الرجل وكبيته.وحقيقتهما: دخلا في القشع والكب. وفي قراءة طلحة بن مصرف: وينزفون: بضم الزاى، من نزف ينزف كقرب يقرب، إذا سكر. والمعنى: لا فيها فساد قط من أنواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من مغص أو صداع أو خمار أو عربدة أو لغو أو تأثيم أو غير ذلك، ولا هم يسكرون»[3].

وجَّهَ الزَّمخشريُّ في تفسيره للآيةِ قراءة المُصحف(يَنزَفون) وكذلك أَبان عن دلالة (النَّزف) أَنَّه بمعنى ذهاب العقل كما يُقال للسَّكران ويقالُ للمطعون أَيضًا واستدل بالمثل العربيّ والشِّعر العربيّ وكذلك ذكر قراءة أُخرى للفظة ينزَفون بالكسر (يَنزِفون) وكذلك قِراءة (ينزُفون) ووجه ما حملته من دلالة وهذه كلُّها تندرج ضمن الخطوات التَّفسيريَّة للمنهج البيانيّ.

وصرحَ القُرطبيُّ في مقدِّمة تَفسيره: «رأَيت أن أَشتغل به مدى عمرى، وأستفرغ

(١) يُنظر: خطوات التَّفسير البيانّي للقُرآن الكريم: ٢٥٧.

(٢) سورة الصَّافَّات: ٤٧.

(٣) الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٤/ ٤٥.

فيهِ مُنيتي، بأَن أكتبَ فيه تعليقاً وجيزاً يتضمن نكتًا من التَّفسير، واللُّغات، والإعراب، والقراءات، والرَّد على أهل الزَّيغ والضَّلالات، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات، جامعًا بين معانيها، ومبينًا ما أشكل منها بأقاويل السَلَف ومَن تبعهم من الخَلَف»[1]، وقوله هذا أَمارة على تشَابك العلوم وتداخلها في ممارسته التَّفسيريَّة في تفسيره القيَّم العُلوم الَّتي تَضمنها تَفسيره فهو من التَّفاسير الجامعة لأَسبابِ النُّزولِ والقِراءات والإعراب واللُّغة وغريب القُرآن والاستشهاد بكلام العربِ والأَحكامِ الفقهيَّة أساسًا في تَفسيره[2].

ونلاحظُ إباناتِ القُرطبيّ وإشاراته الَّتي تدل على التَّشابك المعرفيّ والتَّداخل البينيّ للعلوم عندَ تَفسيرِه لقولِهِ تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ﴾[3] قائلًا بعد عرضه لمجموعة من الأَحاديث: «وَدَلَّ بِذِكْرِ الْمَطَالِعِ عَلَى الْمَغَارِبِ، فَلِهَذَا لَمْ يَذْكُرِ الْمَغَارِبَ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ ﴾[4]. وَخَصَّ الْمَشَارِقَ بِالذِّكْرِ، لِأَنَّ الشُّرُوقَ قَبْلَ الْغُرُوبِ. وَقَالَ فِي سُورَةِ [الرَّحْمَنِ] ﴿ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴾[5] أَرَادَ بِالْمَشْرِقَيْنِ أَقْصَى مَطْلَعٍ تَطْلُعُ مِنْهُ الشَّمْسُ فِي الْأَيَّامِ الطِّوَالِ، وَأَقْصَرَ يَوْمٍ فِي الْأَيَّامِ الْقِصَارِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي ﴿ يسٓ ﴾[6] وَاللهُ أعلم»[7].

اهتمَ القُرطبيُّ في تفسيرِ هذه الآية ببيانِ سببِ عدمِ ذكرِ المغاربِ مع ذكرِ المشارقِ الواردة في الآيةِ فأَجاب أَنَّ ذكرَ المشارقِ اكتُفيَ بِه عَن ذكرِ المغاربِ؛ لأَنَّ المشرقَ يَتْبَعه

(١) الجَامع لَأحكام القرآن: ١/ ٦.
(٢) يُنظر: التَّفسير والمفسرونَ، محمَّد حسين الذَّهبي: ٢/ ٣٣٧.
(٣) سورة الصّافات: ٥.
(٤) سورة النحل: ٨١.
(٥) سورة الرحمن: ١٧.
(٦) سورة يس: ١.
(٧) الجامع لَأحكام القرآن: ١٨/ ١٠.

المَغرب حتمًا وتسمَّى هذه (تِقَنيّة الاكتفاء في النَّص القرآني)[1] دَلالة على سبب عدم الذّكر أو الحذف مع الاستدلال بآياتٍ مشابهةٍ تَضعُ هذا النَّصَّ التَّفسير متزينًا بأَدوات بيانيّة استعملها القُرطبيّ يُستفاد منها للتأَصيل للمنهج البياني للتَّفسير القُرآن الكريم.

ونختمُ هذه الفِقرة بتفسيرِ التَّحرير والتَّنوير لمحمَّد الطاهر بن عاشور الذي لم يكن بمنأى عن الأَساليب البيانيَّة وتطبيقها لسبق أَغوار النَّصّ القُرآنيّ إذ يعتبر هذا التَّفسير من أَهم وأَفخم التَّفاسير الحديثة وأَمتنها في اهتمامها باللُّغة وجوانبها والبلاغة وفنونها مع الإبراق بجماليَّة الخِطاب القرآنيّ باستشراف السِّياق الكُليّ، والسياق الجُزئيّ مع العِناية بعلم المناسبة الذي عدُّ شعارًا بيانيًّا في تفسيره، مع ملاطفة النَّسق المفهوميّ لأَلفاظِ القُرآن الكريم مِن جهة، وإيجاد أَنساق مفاهِيْمِيَّة كُلِّيَّة للموضوعاتِ القُرآنيَّة،فضلًا عن توظيفِ آليات تعدُّ من خارج النَّصّ كعلم الحديثِ وأَسباب النُّزول والقَصص القُرآنيّ وغيرها[2].

وتَظهرُ هذه الأَساليب في تفسيرِ ابن عاشور جَليَّةً في تفسيره لقولهِ تعالى: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾[3] إذ قال: «وأَبَقَ مَصْدَرُهُ إِبَاقٌ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَتَخْفِيفِ الْبَاءِ وَهُوَ فِرَارُ الْعَبْدِ مِنْ مَالِكِهِ. وَفِعْلُهُ كَضَرَبَ وَسَمِعَ. وَالْمُرَادُ هُنَا: أَنَّ يُونُسَ هَرَبَ مِنَ الْبَلَدِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْهِ فِيهِ قَاصِدًا بَلَدًا آخَرَ تَخَلُّصًا مِنْ إِبْلَاغِ رِسَالَةِ اللهَّ إِلَى أَهْلِ (نِينَوَى) وَلَعَلَّهُ خَافَ بَأْسَهُمْ وَاتَّهَمَ صَبْرَ نَفْسِهِ عَلَى أَذَاهُمُ الْمُتَوَقَّعِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي حِمَايَةِ الْآشُورِيِّينَ. فَفِعْلُ أَبَقَ هُنَا اسْتِعَارَةٌ تَمْثِيلِيَّةٌ، شَبَّهَتْ حَالَةَ خُرُوجِهِ مِنَ الْبَلَدِ الَّذِي كَلَّفَهُ رَبُّهُ فِيهِ بِالرِّسَالَةِ تَبَاعُدًا مِنْ كُلْفَةِ رَبِّهِ بِإِبَاقِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ الَّذِي كَلَّفَهُ عَمَلًا»[4].

أَشار ابن عاشور في هذا النَّصّ القُرآنيّ إلى مصدر الفعل(أَبَقَ) مبينًا باب الفِعل

(١) يُنظر: دلالة الاكتفاء في الجملة القرآنيَّة(دراسة نقديَّة للقول بالحذف والتقدير)،الدُّكتور علّي عبد الفتَّاح: ٣٩.

(٢) يُنظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ٢/ ١٠٢٥.

(٣) سورة الصافات: ١٤٠.

(٤) التَّحرير والتَّنوير: ٢٢/ ١٧٣.

ودَلالته واستعرضَ كذلِكَ بإيجازٍ قِصَّة يونس عليه السلام منبهًا أَن هذا الفعل جاءَ على سبيلِ الاستعارة التَّمثليّة، فمارس آلية التَّفسير اللُّغويّ، والنَّظر إلى القَصص القرآني فضلًا عن الحديث عن نوع الفن البلاغي الوارد في النَّص المبارك (الاستعارة على سبيل التَّمثيل).

خُلاصَةُ ما مَثلتُ له أَنَّ طائفةً من المفسرينَ قد مالوا إلى استعمالِ الأَساليبَ البيانيِّة لتفسيرِ النَّصّ القرآنيّ مُمهدينَ لِمَن جاءوا بعدهم بتَنْضِيج الأَفكار والخُطوات البيانيَّة جعلتْ المَنهج البيانيّ يَرْسُو على قاعدةٍ منهجيَّة لها أُصول وعلى الأُصول قَواعد وأَحكام وعِندَ النَّظرِ لما عِرَضْنَاهُ نُبصرُ أَنَّ البداياتِ المنهجيَّةَ بدأَتْ من صميمِ النَّصّ القُرآنيّ مع إِضافةِ الأَدوات المُساعدة بَدأت من كتبِ مَعاني القُرآن وانتهَتْ بالكتبِ الَّتي تبلورتْ فيها الآلياتِ البيانيَّة ألَا وهي كتبُ التَّفسيرِ.

المطلبُ الثَّاني: الخُطُواتُ الإجرائيَّةُ للتَّفسيرِ البيانيِّ:

يَهدفُ هذا المطلب استعراضَ أَهمَّ الخُطواتِ التَّطبيقيَّةِ والآلياتِ الاجرائيَّةِ الَّتي سَعى إِليها الَّذين مارسُوا هذا المنهج البيانيّ في تفسيرِ القُرآنِ ويبدُو في ظلِّ استقراءِ ما نَدَّ من بياناتِ هؤلاء البيانِيّنَ أَنَّ هذه الخُطوات جاءتْ بينَ المدِّ والجزر تارةً وبينَ الإِيجازِ والسَّطحيَّة والتَّفصيل والعمق تارةً أُخرى فكلما نَضُجَ التَّصورُ وتقدَّمَ الزَّمنُ نَجِدُ الشِّقُ الثَّانِي التَّفصيل والدِّقَّة والتَّوسع هو الَّذي أَخذ بالامتدادِ وعلى سبيلِ الإيجازِ سأَستعرضُ أَبرزَ مَن وضَعُوا خُطواتٍ لهذا المنهجِ بحسبِ أَنظارِ القائلِينَ بِها مرتبِينَ بحسبِ التَّسلسل الزَّمنيّ.

أَوَّلًا: الشَّيخُ محمَّد عبدُهُ:

يُعدُّ الشَّيخُ محمَّد عبدُه (ت١٩٠٥م) المؤسّس للنَّهضة التَّجديديَّة للتَّفسير المعاصر والَّذي وضع الجذورُ الأُولى للمنهج البيانيّ ويشكل عنده المعطى اللُّغويّ الأَساس في

بناءه التَّفسيريّ[1]، وقد نهضَ بتفسيرِ القُرآن لا كتفسيرِ القُدماء بَلْ أَضاءَ النَّصَّ بأَفكارٍ جديدة تُظهر النَّصّ نَاصع الغرض وواضح الموضوع ساطع الجَوهر، وعلى الرَّغمَ أَنه لم يترك كتابًا شاملًا للتَّفسير البيانيّ إلَّا أَنه أَسس لقواعده والنُّهوض به، ويَظهر منهج التَّفسير البيانيّ عنده كما ظهر عند مفسري العَصر الأول فقدَّم لونًا أَدبيًّا يعيد السَّامع إلى عهد البلاغة العريق فكتاب الله عزّ وجل لا يسبر أَغواره وأَسراره إلا أديب دقيق النَّظر قوي التَّأثير نافذ الإشعاع وتلك صفات نراها عند محمَّد عبدُهُ[2]، وقَدْ أَشارَ إِلى أَنَّ المرتبةَ العُليا بالتَّفسير لا تكون إلَّا بِفَهْم حقائق الأَلفاظ المُفردة الَّتي أَودعها القُرآن، والوقوفُ على استعمالاتِ أَهل اللُّغة غير مكتفٍ بذلك بَلْ الرُّجوع للعِصر النُّزول وما قِيْلَ عَن اللَّفظ فِيه، والأَفضل عِنْده الرُّجوع للقُرآنِ الكريم نفسه في معرفة المعنى المُراد[3].

يتَميزُ تفسير محمَّد عبده لجزءِ (عَمَّ) بأَنَّهُ حافلٌ بِخُطُواتِ التَّفسيرِ البيانيّ وإِجراءاتِهِ التَّطبيقيَّة وذكرَ الدُّكتورُ محمَّد رجب البيوميّ أَنَّ التَّفسيرَ البيانيُّ لا يكونُ في أَرقى مجالاتِه إلَّا بمراعاةِ مجموعةٍ من الخَصائص قَد استمدها من أَفكار محمَّد عبدُهُ هي[4]:

* قوةُ التَّفكيرِ وجودة التَّرتيب.
* صدقُ الاستدلالِ.
* إِدراكُ البلاغة في رسم الصُّورة واختيار الكلمات.
* ائتلافُ السِّياق.
* يُدركُ الرّوح التَّأثيريَ في امتلاك النُّفوس وامتلاء العواطف وإشباع الوجدان.

بدأتْ ملامحُ التَّجديدِ عندَ محمَّد عبدُهُ من اِلتزامه إِشراقَ اللَّفظِ مِن وجوهٍ عدَّة مع الرُّجوعِ لعِلم البيانِ والبلاغةِ لا اعتمادها حتميًا في التَّفسير بَلْ هما عنصرَانِ مساعدَانِ

(١) يُنظر: أَدبية النَّص القُرآنّي بحث في نظرية التَّفسير، عمر حسن القيَّام: ٢٩.
(٢) يُنظر: خطوات التَّفسير البيانّي: ٢٨٨.
(٣) يُنظر: مُشكلات القرآن الكريم وتفسير سورة الفاتحة، محمَّد عبدُهُ: ١٥.
(٤) يُنظر: خطوات التَّفسير البيانّي: ٢٨٨.

لتلمس روح البلاغةِ وهذا ما تَمسك بِه تلامذته[1].

وتَظهر منهجيته في التَّفسير البيانيّ عند تفسير لسورة (الكوثر) فهذه السُّورة على قصر آياتها إلَا أَنَّها كانت ملهمة بالنِّسبة له وقد مال للسُّور القَصيرة بتفسيرها في ضوء هذا المنهج كون قصر النَّصّ يحدد الغرض بوضوح لدى القارئ وتَظهرُ منهجيَّته في تفسيرها كالآتي[2]:

١. يبدأُ بذكرِ مناسبة السُّورة.

٢. تقديمُ المدلولاتِ اللُّغويَّة للفظةِ (الكوثر).

٣. الاستدلالُ بالأثرِ النَّبويّ والأَخبار لتوضيح الدَّلالة أَكثر.

٤. معاينة السِّياق وربط تفسير الآية السَّابقة بالآية اللَّاحقة للوصول للمعنى القُرآنيّ.

إضافةً لذلك لم يُغْفل رعاية الفَاصلة القرآنيَّة وأَهميتها وعدم القول بالحذف والتأَخير فيها والاهتمام بالوحدةِ الموضوعيَّة للقُرآن الكريم فهو كتاب هداية قلبية أَهم أولوياته احترام العقل والدَّعوة للتَّفكير وهذه النَّظرة الموضوعيَّة عنده توجِّه التَّفسير البيانيّ توجيهًا صحيحًا فيوضح الخصائص القُرآنيَّة تمام الإِيضاح وتَضع النَّاس أَمام كتابهم لينظروا تماسكَ آياتهِ وترابط أَفكاره[3] وتكشيف دَلالات أَلافيظ الإِفراديَّة والتَّركيبيَّة.

ثَانيًا: الشَّيخُ أَمينُ الخُولي وجماعةُ الأُمناء:

بعدَ تَشكلِ النُّواةِ الأُولى لمنهجِ التَّفسير البيانيّ على يدِّ محمَّد عبدُهُ ودعوته فيها

(١) يُنظر: خطوات التَّفسير البيانّي: ٢٨٨.

(٢) يُنظر: تفسير جزء عَمَّ، محمَّد عبدُهُ: ١٦٩-١٧٣. وخطوات التَّفسير البيانّي: ٢٩٢-٢٩٤.

(٣) يُنظر: المنهج البيانّي في تفسير القرآن في العصر الحديث، الدكتور عقيد العزاويّ:٩٢، ٩٦. وخطوات التَّفسير البياني:٢٩٢-٢٩٤.

لأَهمية اللُّغة والتَّجديد في النَّظرة التَّفسيريَّة أَكملَ بعده أَمين الخُولي تِلكَ الملامح التَّجديديَّة فقد قدَّم آراءً أَعادت الإحساس بالنَّصّ القرآنيّ مجدَّدًا فأُسّستْ على يدِهِ جماعة الأُمناء الَّتي أَسْهمت في تبلور الرُّؤية التَّفسيريَّة المعاصرة للنَّصِّ القُرآنيّ وتنوعت الاجراءات التَّطبيقيَّة لهذه النَّظريَّة بين أَعضاءِ هذه الجماعة ومن أَبرز أعضاء هذه الجماعة (المؤسس:أمين خولي، محمَّد أَحمد خلف، شكري عيَّاد، عائشة عبد الرَّحمن)(١).

إِبْتدأَ أَمين الخُولي في تجديده لعلم التَّفسير من فكرة أَنَّه علمٌ لم ينضجْ ولَمْ يحترقْ فبدأ بالدعوة للتجديد في تَفسير القُرآن الكريم وأبرز ما دعا به التَّفسير الأَدبي للقرآن الكريم (المنهج البيانيّ)[٢] والمَقصودُ بالأَدبيّ أَنَّه ليس تفسيرًا لغويًّا أو بلاغيًّا ولا يتكئُ على علم البلاغة والبيان فقط بل يحتاج مجموعة من الأسس المنهجيَّة تعتمد علوم القرآن أَساسًا وتستعين باللغة لاستظهار كُنْه الآيات ومدلولاتها انطلاقًا من المفردة القُرآنية وصولًا إلى التَّركيب الجماليّ[٣].

وذكر في كتابه(مناهج تجديد في النَّحو والبلاغة والتَّفسير والأَدب) مجموعة من الخطوات التي يُسترشد بها للاشتغال بمنهج التَّفسير البيانيّ[٤] قَسمها ولخصَّها الدُّكتور فهد بن سلمان الرُّوميّ في ثلاثةِ مستوياتٍ[٥] كالآتي:

المستوى الأَول: إِعداد المادَّة وتتضمَّن:

* أَن يجمعَ المفسر الآيات ذات الموضوعِ الواحد بعضها إلى بعضٍ ويتدبرها جميعًا ويفسرها كذلك.

* أن يرتبَ آياتِ الموضوعِ الواحد ترتيبًا زمنيًا حسب تاريخ نزولها.

(١) يُنظر: أَدبية النَّص القُرآنيّ بحث في نظرية التَّفسير: ١٩.

(٢) يُنظر: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب: ٣٠٣،٣٠٧.

(٣) يُنظر: ملامح التَّفسير البيانيّ عند الشَّيخ ابن باديس، أ.د.مصطفى شريقن، مجلة المعيار، العدد ٥٥ (٢٠٢١م): ٢٩.

(٤) يُنظر: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب: ٣٠٧-٣١٥.

(٥) يُنظر: أُصول التَّفسير ومناهجه: ١٢٣-١٢٤.

المستوى الثَّاني: دراسةُ حولَ النَّصِّ ويتضمَّن:

* أن يدرسَ دراسةً خاصَّةً ما حول النَّص كتاريخه وأَسباب نزوله وجمعه وكتابته وقراءته ونحو ذلك من علوم القرآن.

* ثم يقدِّم دراسة عامَّة للبيئة الَّتي نزل بها هذا النَّص، البيئة المادّيَّة في الأرض والسَّماء والجبال والسُّهول والأَودية، والبيئة المعنويَّة في تاريخ هذه الأمَّة ونُظُمها وأعرافها وعاداتها وتقاليدها.

المستوى الثَّالِث: دراسةُ النَّصِّ ويتضمَّن:

* دراسةُ النَّصِّ القُرآنيّ في مفرداته.

* استعمالاتُ هذه المفردة لغويًّا.

* دراسةُ استعمالاتها في القُرآنِ الكريمِ في مواضعَ مختلفةٍ ومدلولها في كُلّ موضعٍ.

* دراسةُ النَّصِّ القُرآنيّ في معانيه المركّبة (معاني ألفاظه الإفراديّة، وذلك بطريق العُلُوم الأَدبيَّة من نحو وبلاغة).

وضعَ أَمينُ الخُولي الحجر الأساس في هذه الخطوات الإجرائيَّة التطبيقية فعدَّ رائدًا لهذا المنهج فاسحًا المجال لِمَنْ جاء بعده ؛ليكملوا ما بدأه ويسلكوا طريقه التَّجديديّ.

ثَالثًا: الدُّكتورةُ عائشة عبد الرَّحمن:

بعدَ أَنْ وضعَ الشَّيخُ أَمينُ الخولي الخُطواتِ الوَاضحةَ لهذا المنهج دون تطبيقها تطبيقًا شاملًا أكملت تلميذته الدُّكتور عائشة عبد الرَّحمن (ت١٩٩٨م) المعروفة بـ(بنتُ الشَّاطئ) ما تلقته من أستاذها من توجيهاتٍ وخطواتٍ لهذا المنهج فوضعتْ تفسيرًا سمَّته بـ(التَّفسيرُ البيانيُّ للقُرآنِ الكريم) عَمِلت فيه على تطبيقِ أَفكارِ أُستاذها وخُطواته فكانَ كتابًا متميزًا ومنهجيًّا رائعًا من ناحيةِ التَّحليل والتَّطبيق على وَفْقِ

الخُطُوات المُثبة[1].

وأشارت الدُّكتورة إلى أُستاذها بقولها: «مع الكتاب المعجزة عِشْتُ عُمري كله، وفي المدرسة القُرآنيَّة كانت تلمذتي الطويلة التي تولاها أبي في مراحلها الأولى. وإليها انتهى تخصصي في الدراسة- العليا التي وجهني إليها أستاذي - أمين الخولي -، وظل لمدى ثلث قرن يقود خطاي على الطريق الشاق، ويحميني من عثرة الرأي ومزالق التأويل وسطحية النظر، ويأخذني بضوابط منهجه الدقيق الصارم الذي لا يجيز لنا أن نفسر كلمة من كلمات الله تعالى دون استقراء لمواضع ورودها بمختلف صيغها في الكتاب المحكم، ولا أن نتناول موضوعا قرآنيا أوظاهرة من ظواهره الأسلوبية، دون استيعاب لنظائرها وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة، وسياقها العام في القرآن كله»[2].

قَسمت بنتُ الشَّاطى كتابها على جزئين طبقتْ في الجزء الأُوَّل إرشادات أُستاذها وفَسَّرت فيه سور(الضُّحى، الشَّرح، الزَّلزلة، العاديات، النَّازعات، البلد، التَّكاثر)[3]، والملاحظ اعتمادها على تفسير السُّور ذات الآياتِ القِصارِ لظهورِ الوحدةِ المَوضوعيَّة فيها وإنَّها نَزَلتْ في مكّة إذ يَسْمُو طابع الدَّعوة للإسلام، وأوضحت أَن قصدها من تَطبيق هذا المنهج هو بيانُ الفَرق بين التَّفسيرِ المعهودِ والتَّفسير البيانيّ فيظهر في الثَّاني وجه الإعجاز ويحرِّرُ الكلماتِ مما حُرِمْتُ منه ويُفهم النَّصّ فهمًا صحيحًا واستظهار الأَسرار البيانيَّة بهذا المنهج الاستقرائيّ وبيان قيمة اللَّفظ الواحد الذي لا يحل محله غيره[4].

ولَخصتْ خُطواتِ أُستاذها وقَيدتها في نقاطٍ معدودةٍ لتكون الطَّريق السَّالِكة في

(١) يُنظر: خطواتُ التَّفسير البيانّي: ٣٣٥.

(٢) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، الدكتورة عائشة عبد الرحمن: ١١.

(٣) يُنظر: التَّفسير البياني للقرآن الكريم: ١/ ٢١٧.

(٤) يُنظر:: التَّفسير البياني للقرآن الكريم: ١/ ١٨.

جزءها الأَوَّل من تفسيرها والخُطوات الَّتي لخّصتها، هي[1]:

١. الأَصلُ في المنهجِ التَّناول الموضوعيّ لما يراد فهمه من كتاب الإسلام ويبدأ بجمع كُلّ ما في الكتاب المحكم من سور وآيات في الموضوع المدروس.

٢. فَهْمُ ما حولَ النَّصِّ: ترتيب الآيات حسب نزولها لمعرفة ظروف الزَّمان والمكان، كما يستأنس بالمرويات في أَسباب النُّزول من حيث هي قرائن لابست نزول الآية دون أن يفوتنا ما تكون العبرة فيه بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه الآية. وأن السَّبب فيها ليس بمعنى الحكميَّة أو العِليَّة التي لولاها ما نزلت الآية والخلاف في أسباب النُّزول يرجع غالبًا إلى أن الذين عاصروا نزول الآية أو السُّورة، ربطها كل منهم بما فهم أو بما توهم أنه سبب نزولها.

٣. فَهْمُ دَلالات الأَلفاظِ: نقدر أَنَّ العربيَّة هي لغة القُرآن الكريم، فنلتمس الدَّلالة الأَصليَّة الَّتي تعطينا حس العربيَّة للماة في مختلف استعمالاتها الحسيّة والمجازيَّة ثم نخلص للمحِ الدَّلالة القرآنية باستقراء كل ما في القُرآن من صيغ اللَّفظ، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسُّورة، وسياقها العامّ في القُرآن كله.

٤. فَهْمُ أَسرارِ التَّعبيرِ القُرآنيّ: نحتكم إلى سياق النَّصّ في الكتاب المحكم ملتزمين ما يحتمله نَصًا وروحًا ونعرض عليه أَقوال المفسّرين فنقبل منها ما يقبله النَّص ونتحاشى ما أُقحم على كتب التَّفسير من مدسوس الإسرائيليَّات وشوائب الأهواء المذهبيَّة وبدع التّأويل.

٥. الاحتِكامُ إلى الكتابِ العربيّ المُبين لتوجيه الإِعْراب والأسرار البيانيَّة وعرض القواعد النّحويّة والبلاغة عليه ولا نعرضه عليها.

٦. عدمُ الإلتزامِ بأَخذِ تَأويل العلماء على صريح نصّه وسياقه.

أَمَّا أُسلوبها في التَّفسير فقد قامت بخطوات تَسلسليَّة لتبيانِ النَّص القرآني وإضاءته

(١) يُنظر: المصدر نفسه: ١/ ١٠.

ونأخذ على سبيل المثال خطواتها لتفسير سورة (الضُّحى) لنستبينَ إِجراءاتها في التَّفسير كما بَدَتْ لي[1]:

١. بيان نوع السُّورة هل أنها مكية أم مدنية، وبيان ترتيبها بحسب النُّزول.
٢. بيانُ أَسباب نزولها بأكثر من رواية.
٣. الدُّخول إِلى تفسير النَّصّ ببان الملامح الدَّلاليَّة والنَّحويَّة والبلاغيَّة.
٤. الاستدلالُ بأَقوال المفسرين وآراءهم.
٥. بيان المطلق والمقيد في السُّورة.
٦. بيان الأَساليب البلاغية والبيانيَّة في السُّورة.
٧. بيان اللَّفظة الواحدة من كلام المفسَّرين وبيانها عند أَهل اللُّغة.
٨. بيان الاستعمال القرآني للفظة في آيات أخرى من سور أُخرى.
٩. بيان القِراءات وتعدّد وجوهها.
١٠. بيان أَثر الفاصلة القرآنية والآراء فيها.
١١. بيانُ عدد ورود اللَّفظ الواحد في القُرآن كُلّه وهو من قبيل التَّفسير الموضوعيّ.
١٢. بيان أَوجه الاستعمال القُرآنيّ من حيث ورود اللّفظ مترادفًا أَم لا في سور أخرى.
١٣. الاهتمام بالسِّياق القُرآنيّ والوحدة الموضوعيَّة.

بعدَ خمسِ سنوات من ظهور الجزء الأَوَّل من تَفسيرها أكملت الجزء الثَّاني وكان حصيلة عظيمة المَضمون ناتجة عن التَّدبر البيانيّ والانقطاع لخدمة القرآن العظيم جاء هذا الجزء المكمل مفسرًا لسورة(العلق، القلم، العصر، اللَّيل، الفجر، الهُمَزة، الماعون) وظهرت فيه خطوات أَكثر صارمة وأَكثر تجديدًا عن ما عملت عليه في الجزء الأَوَّل[2].

(١) يُنظر: التَّفسير البياني للقرآن الكريم: ١/ ٢٣-٥٤.
(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ٢/ ٧.

ونستطيع حصر منهجها وخطواتها الَّتي توخّتها لتفسير القرآن الكريم بيانيًّا في نقاط عدَّة هي[1]:

١. التَّقيدُ بضوابط أكثر صرامة تتطلّب استقراء اللَّفظ القُرآنيّ في كُلِّ مواضع وروده(تفسير موضوعيّ) للوصول إلى دلالته.

٢. بيانُ نظائر اللَّفظ في القُرآن الكريم وكيف استعمل في الاستعمال القُرآنيّ.

٣. تدبرُ السِّياق الخاصّ في الآية والسورة، ثُمَّ السياق العامّ في المصحف كلّه طلبًا لتحصيل السِّر البيانيّ فيها.

٤. تسخيرُ المعاجمِ اللُّغوية لخدمة هذا التَّفسير؛لإظهار الوجوه البيانيَّة والأسلوبيَّة.

٥. الانتفاعُ بالتَّفاسير وقبول ما يحتمل نصًّا وسياقًا من دون التَّورط بالإسرائيليَّات والمدسوسات.

وفي ضوءِ تفسيرها لسورة (الهُمَزة) اتبعت مجموعة من الآلياتِ للتَّفسيرها بيانيًّا ملخّصها الآتي[2]:

١. ذكرُ نوع السُّورة وترتيب نزولها.

٢. ذكرُ أسباب النُّزول.

٣. بيانُ معنى اللَّفظة القُرآنيّة الواحدة لغويًّا وتفسيرًا وبيان مواضع استعمالاها في القُرآن الكريم على وجه الإحصاء.

٤. بيَّنَتْ الخلاف بينَ اللغويِّينَ والمفسرينَ في اللَّفظة القُرآنيَّة.

٥. ذكرُ القِراءات القُرآنيَّة.

٦. الاعتمادُ على كِتبِ اللُّغة والتَّفسير.

٧. بيانُ أُسلوب من أَساليب السُّورة وعمل إحصاء موضوعيّ لِكُلِّ الآياتِ التي

(١) يُنظر: المصدر نفسه: ٢/ ٧-٨.

(٢) يُنظر: التَّفسير البياني للقرآن الكريم: ٢/ ١٦٧-١٨٠.

ورد فيها هذا الأسلوب.

نَبْصُرُ بالعُمقِ البيانيّ عندَ بنتِ الشَّاطى في تفسيرها فالنَّاظر في ممارستها البيانيَّة للنَّصّ القُرآنيّ يحتاج للتَّأمل طويلًا والنَّظر في الخصائص الَّتي حملها تفسيره إذ سطرت فيه أَفكار جماعة الأمناء ومشاريعهم وبيَّنت الوجوه المعاصر للتَّفسير القُرآنيّ وتميزت بخصائص فنية عديدة من أَوضحها البحث الدَّلالي للكلمة القرآنيَّة من خلالِ (اللَّفظ والمَعنى) وظاهرة التَّرادف في الألفاظ والإحاطة بظروف النَّص القرآنيّ ولا يفوتنا التَّناول الموضوعيّ لتفسير القرآن كلُّ هذه العوامل جعلتها رائدة بصدق وحقّ لها المنهج[1].

رَابعًا: الدُّكتورُ فاضل السَّامرائيّ:

اختصرتِ الدُّكتورةُ عائشة عبد الرَّحمنِ خُطوات طويلةً على مَن جاءَ بعدها في منهجةِ التَّفسير البيانيّ وترسيمِ خطواتِهِ وفسحتْ المجالَ لِمَنْ جاءَ بعدها بالتَّوسّعِ في هذا المنهج لما تَركَته مِن إِرثٍ تطبيقيٍّ ونظريٍّ للتَّفسيرِ البيانيٍّ، فقد اخْتَطَ الدُّكتور فاضل السَّامرائيّ طريقَ عَملٍ فِيه على هذا المنهج البيانيّ فأَلَّفَ كتابًا اسماهُ(على طريقِ التَّفسيرِ البيانيٍّ) وقَالَ عَنه في مقدِّمتِهِ: «ولَمْ أشأ أن اسميه (التَّفسير البيانيّ) لأَنَّه في الحقيقةِ ليس تفسيرًا بيانيًّا للقُرآنِ الكريمِ وإِنَّما هو قَد يكونُ خطوة أو خُطَى على طريقِ التَّفسير البيانيّ أو نقطة فيه قد تكون نافعةً لِمن يريدُ أَن يسلكَ هذه السَّبيل»[2].

وقد وضعَ خمس عشرة خطوة حَسبها كافية لسلك مجال التَّفسير في ضوء المنهج البيانيّ وهي[3]:

١. التَّبحرُ في علم اللُّغة.

(١) يُنظر: المنهج البيانّي في تفسير القرآن الكريم-بنت الشَّاطئ نموذجًا-(رسالة ماجستير)، باب العياط نور الدِّين: ٨٩-١١٠.

(٢) على طريق التَّفسير البيانّي: ١/ ٥.

(٣) يُنظر: المصدرُ نفسه: ١/ ٧-١٦.

٢. التَّبحرُ في علم التَّصريف.

٣. التَّبحرُ في النَّحو .

٤. التَّبحرُ في عُلُوم البلاغة.

٥. معرفةُ القِراءات وترجيح بعض الوجوه على بعض.

٦. معرفةُ أَسباب النُّزول كونها من الدَّلائل المهمة لفهم المعنى.

٧. النَّظرُ في السِّياق ففيه تتضح الأُمُور وسبب اختيار الأَلفاظ وأَسباب التَّقديم والتَّأخير ومعاني الألفاظ المشتركة.

٨. مراجعةُ المواطن القُرآنيّة الَّتي وردت فيها أَمثال التَّعبير المراد تبيان معناه.

٩. مراجعةُ المواطن القُرآنيّة التي وردت فيها المفردة التي يراد تفسيرها وبيان استعمالها ومعانيها ودلالاتها.

١٠. النَّظرُ في الوقف والابتداء.

١١. أن يسترعيَ نظره في أي تغيير في المفردة والعبارة على المستوى الصَّرفيّ والبنائيّ للكلمة.

١٢. إدامةُ التَّأمل والتَّدبر للوصول للمعاني الجديدة.

١٣. الاطّلاع على كتب المفسّرين وكتب عُلُوم القُرآن وكتب الإعجاز وكتب المتشابه وتناسب الآيات والسُّور وغيرها للوصول لأسرار التَّعبير القُرآنيّ.

١٤. الحاجةُ للموهبة فالموهبة أَساس كُلّ علم وفن وصنعة ولا يعتمد عليها فقط بل أن ينميها ويصقلها بكثرة الاطّلاع والتَّدقيق والتَّأمل.

ونحنُ نختم هذا المطلب المُتصل بـ(الخُطوات الاجرائيَّة للتَّفسير البيانيّ) وهو خاتمة هذا المبحث أَيضًا فإِنَّنا في المبحث الثَّاني سنحاولُ أنْ نستعرضَ بشكلٍ موسّع هذه الخُطوات محاولينَ إِسقاطها وتوظيفها في سورة الصَّافَّات باستشرافِ بيانات المُفسرينَ واسترفادِ إِلماحاتِ البيانيّينَ ممَّن كتبُوا فِي معاني القرآن وبلاغته وإِعجازه وغريبه ومشكله وغير ذلك.

المبحثُ الثَّانِي

تَوْظِيفُ خُطُوَاتِ التَّفسِيرِ البَيانِيِّ فِي سُورَةِ الصَّافَّاتِ

مَدخَلٌ:

في هذا المبحثِ سَنحاولُ تَوظيفَ الخُطواتِ التَّطبيقيَّةِ والآلياتِ الإجرائيَّةِ الَّتي اسْتَعْرَضْنَاهَا في المَبْحثِ الأَوَّلِ عند حديثِنَا عَن التَّفسيرِ البيانيِّ ومنابعِهِ الأُولى وخُطواتِهِ الاجرائيَّةِ في العَصرِ الحديثِ، ويَبْدُو لِي في ظلِّ عَرْضِها على مائدةِ البحثِ أَنَّ فيها ضَربًا من التَّداخلِ والتَّشابك فَنلحظُ تداخلَ خطواتِ خارج النَّصَّ كأَسبابِ النُّزول والقِراءات والقَصص القُرآنيّ والحوادث والواقع البيئيّ الَّذي نزلتْ فيه الآيات مع خُطوات داخل النَّصّ الَّتي تمثِّل لواصق بجوهرِ لُغة القُرآن وصميمه من هنا كان لزامًا عَلَيَ أَنْ احدّدَ مسارات هذه الخُطوات والتزمُ بالمفاهيم الدَّقيقة رغبةً في اسْتظهار خُطُوات التَّفسير البيانيّ واسْتجلاءِها سواءٌ أَكانتْ خارجَ النَّصِّ أو دَاخل النَّصِّ القُرآنيّ المُبارك.

لهذا سَيجيءُ هذا المبحث في مطلبينِ، الأَوَّل: يُعنى بـ(خطواتِ التَّفسير البيانيّ المتعلِّقة بخارج النَّصّ) والآخر: (خُطواتُ التَّفسيرِ البيانيِّ المتعلِّقةُ بجوهرِ النَّصِّ وصَميمِهِ)، وستكونُ سُورة الصَّافَّات المباركة الأَنْمُوذَج المُصطَفَى مِن القُران الكريم.

ولا يَخْفَى أَنَّنا في المبحث الأَوَّل كانت جُلُّ تطبيقاتنَا عندما وقفنا على المنابع الأُولى المُتنوعة والمتلوّنة في سورة الصَّافَّات.

المطلبُ الأوَّلُ: خطواتُ التَّفسيرِ البيانيِّ المتَعلِّقةُ بخارجِ النَّصِّ:

يَبدو أَنَّ تَوْظِيفَ الخُطُوات التَّطبيقيَّة للتَّفسير البيانيّ المتعلِّقة بخارج النَّصّ تعبيرٌ تَوافرَ عليه الشَّيخ أَمين الخُولي وكذلكَ الدُّكتورة عائشة عبد الرَّحمن إِلَّا أَنَّهما لَم يَقِفَا عند هذا المصطلح كثيرًا اعتمادًا على فَهمِ القَارى ورؤيته إِلَّا أَنَّ هذا التَّوظِيف لابُدَّ مِن أَن يُفَسَّرَ ويُنَضَّجَ ؛لأَنَّه تعبيرٌ مهمٌ في التَّفسير البيانيّ للنَّصِّ القُرآنيّ.

إِنَّ تَوْظِيف الخُطُوات الإِجرائيَّة المتعلِّقة بخارجِ النَّص ارتكزَ عليها الشَّيخ أَمين الخُولي وكذلكَ الدُّكتورة عائشة عبد الرَّحمن ؛لأَنَّها تُمثِّلُ إِحاطةً بيانيَّةً كَاشِفةً للنَّصِّ القُرآنيّ ويَبدُو لِي أَن فَهْم هذا التَّوْظِيف والإِحاطة بأَقسامِهِ خُطوةٌ كبيرةٌ ومقدِّمةٌ فَاقِهةٌ وواعيةٌ في الوصولِ للخُطُواتِ البيانيّة المُتعلّقة بدَاخلِ النَّصّ القُرانيّ فمباحث تاريخ القُرآن كأَسبابِ النُّزولِ والقِراءات والوقائع والأَحداث مُقارباتٌ للوصولِ إِلى كَشْف دَلالات النَّصِّ القُرآنيّ أَوَّلًا ومن ثُمَّ الوصول إِلى الدَّلالاتِ المُتحصلة من الخُطواتِ الإِجرائيَّة المُتعلقة بخارجِ النَّصِّ.

أَوَّلًا: أَسبابُ النُّزولِ:

تُعدُّ أَسبابُ نُزُولِ السُّورِ، والآياتِ القُرآنيَّة من القَرائنِ المُندرجةِ بمباحثِ: (عُلُومِ مَا حولَ النّصِّ القرآنيّ) تُساعدُ على الفَهْمِ والبيانِ على الرَّغم من الاختلافاتِ الحاصلة فيها، وتوصلُ الى الدَّلالاتِ المحتملاتِ والمراداتِ وتَتضافر مع القرائن الأُخر لتَحصيلِ المعانِي القُرآنيَّة.

وليسَ هذا وحسب فقَد قرَّرَ بعض المفسرينَ من أَمثال الواحديّ (ت٤٦٨هـ) امتناع تفسير الآية وبيانُ مقاصدها دونَ الوقوفِ على بيانِ سببِ نُزولها وقصَّتها[1]، وهذا حَمَّلَ هذا العِلم ما لا يَحتملهُ فتوجدُ آيات لَمْ يَرِدْ لها سبب نُزول، مع ذَلِكَ لا تَخفى أَهمية هذا العِلم في الكشف والبيان لمعلومات وإشاراتٍ لَم يَتوصل لها المفسِّر من خلالِ

(١) أَسباب النُّزول: ٤.

الخوض في عُلُومِ داخل النَّصِّ فقط لِذلكَ نَرى الإمام عليّ عليه السلام أَكد على ضرورةِ معرفة النَّاس لهذه الحيثيَّات المُحيطة بالنَّصِّ القُرآنيّ بقوله لهم: «**مَا نَزَلَتْ آيَةٌ إِلَّا وَقَدْ عَلِمْتُ فِيمَ أُنْزِلَتْ وَأَيْنَ أُنْزِلَتْ وعلى مَن نَزَلَتْ إِنَّ رَبِّي وَهَبَ لِي قَلْباً عَقُولاً وَلِسَاناً طلقًا**»[1].

ويُعرَّفُ عِلمُ أَسبابِ النُّزولِ بأَنَّه: «مَا نَزَلت الآيةُ أَيام وقوعه»[2]، وعرَّفه الدُّكتور صبحي الصَّالح: «ما نزلت الآية أو الآيات بسببِه متضمنةً لَهُ أَومُجيبة عنه أَومبينة لحكمِه زمن وقوعه»[3].

عليه فأَسبابُ النُّزولِ هِي: مَجْموعة بياناتٍ تُساعدُ على الوقوفِ على المعنى كامِلًا، وتُعينُ على فَهْم النَّصّ فَهْمًا صحيحًا[4].

وأَشارَ الطَّباطبائيُّ إلى أَهميةِ هذا العلم بقولهِ إنَّ الحوادثَ والأحداثَ الَّتي وقعتْ أَيام الدَّعوة، وكذلك الحاجات الضَّروريّة من الأحكام والقوانين الإسلاميّة، هي الَّتي تسببت في نزول كثير من السُّور والآيات، ومعرفة هذه الأَسباب يُساعدُ إلى حد كبير في معرفة الآية المباركة، وما فيها من المعاني والأَسرار إلَّا أن بعض المُفسرين عمدوا إلى الإعراض عنها لإحتواءها المرويات الضَّعيفة[5].

وردَتْ في سورة الصَّافَّات مجموعة من أَسباب النُّزول يُفاد منها في تبيانِ المعنى ونذكر بعضًا منها سبيلًا للإيجاز:

* ففي سبب نُزول قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم

(١) الأَمالي، المفيد: ١٥٢.
(٢) الإتقان في علوم القرآن: ١/ ١١٦.
(٣) مباحث في علوم القُرآن: ١٣٢.
(٤) يُنظر: أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، د. عماد الدين الرشيد: ٤٥.
(٥) القرآن في الإسلام: ١٢٣.

مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾[1]، قال الزَّمخشريّ: «نزلت في أبي الأشد بن كلدة، وكنى بذلك لشدّة بطشه وقوته أَمْ مَنْ خَلَقْنا يريد: ما ذكر من خلائقه: من الملائكة، والسماوات والأرض، والمشارق، والكواكب، والشهب الثواقب، والشياطين المردة، وغلب أولى العقل على غيرهم»[2].

* وفي سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾[3]: عن ابن عباس قَالَ: «أنزلت هذه الآية في ثلاثة أحياء من قريش سليم خزاعة وجهينة... عن مجاهد قال قال كبار قريش الملائكة بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق فمن أمهاتهم قالوا: بنات سراة الجن فأنزل الله (ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون)»[4].

* وفي سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾[5] ذُكِر أنها نزلت: «فِي أَخَوَيْنِ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ، كَانَا غَنِيَّيْنِ، وَكَانَ الْمُؤْمِنُ يُنْفِقُ مَالَهُ فِي الصَّدَقَاتِ وَكَانَ الْكَافِرُ يُنْفِقُ مَالَهُ فِي اللَّذَّاتِ. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ عِبْرَةٌ مِنَ الْحَذَرِ مِنْ قُرَنَاءِ السُّوءِ وَوُجُوبِ الِاحْتِرَاسِ مِمَّا يَدْعُونَ إِلَيْهِ وَيُزَيِّنُونَهُ من المهالك»[6].

ثَانيًا: الواقعُ البيئيُّ وأَثره في توجيهِ الدَّلالةِ:

لما كانَ المنهجُ البيانيّ لتفسيرِ القُرآن الكريم مَنْهجًا اسْتِقْرَائيًّا يَبْدَأُ من الجزيئاتِ ويَنتهي إلى الكُلِّيَّاتِ فنَرى أَن هذا المنهج يُوظِّف كُلّ الآلياتِ المُمكنة للوصولِ إلى كلِّيَّات التَّفسير القُرآنيّ فكانت البيئةُ الَّتي نَزل فيها النَّصّ محلّ إهتمام لهذا المنهج وقد أَدرج الشَّيخ

(١) سورة الصافات: ١١.
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٤/ ٤٠.
(٣) سورة الصافات: ١٥٨.
(٤) لباب النُّقول في أَسباب النُّزول، السَّيوطيّ: ١٨٣.
(٥) سورة الصافات: ٥٧.
(٦) التَّحرير والتَّنوير: ٢٣/ ١١٩.

أمين الخولي العامل البيئيّ للأمَّة التي نزل فيها القرآن ضمن عُلُوم ما حول النَّصّ القرآنيّ وجعله خطوة من خطواته فقال: إنَّ«البيئةَ الماديَّة أرضها، بجبالها، وصحاريها وقيعاها وسمائها بسحبها ونجومها وأنوائها وجوها بحَرِه وبرده وعواصفه وأنسامه وطيبعتها بحديها وخصبها وفحلها أو نمائها ونباتها وشجرها ألخ فكل ما يتصل بتلك الحياة الماديَّة العربيَّة وسائل ضرورية لفَهم هذا القرآن المُبين ومع هذا ما يتصل بالبيئة المعنوية بكل ما تتسع له هذه الكلمة من ماض سحيق وتاريخ معروف ونظام أسرة أو قبيلة أو حكومة في أي درجة كانت أو عقيدة بأي لون تلوَّنت وفنون منها تنوعت وأعمال مهما تختلف وتتشعب فكل ما تقوم به الحياة الإنسانية لهذه العروبة وسائل ضرورية كذلك لفهم القرآن العربي المبين»[1].

عليه فإنَّ مِن خُطُوات التَّفسير البيانيّ المتعلّقة بمباحث ما حَول النَّصّ هي الاحاط بالبيئةِ الَّتي نزل فيها النَّصّ وهذه البيئة على قسمين: (الماديَّة والمعنويَّة)، وهذه الخطوة قد اشتغلت عليها الدُّكتورة عائشة عبد الرحمن في تَفسيرها فتذكر البيئة الماديّة التي نَزلت فيها السُّورة التي تفسرها سواء أكانت مكية أو مدنيَّة.

أجمعَ العلماءِ على أَنَّ سورة الصَّافَّات قد نزلت في مَكّة المكرمة[2]، فهذه البيئة الماديَّة لها الَّتي تتطلَّب من السُّورة عرض القَصص النَّبويّة وإظهار معالم الوحدانيّة لله تعالى وإثبات النُّبوة لخاتم الأَنبياء، ورد شبهات المنكرين، والحديث عن القرآن نفسه فيها، ويتباين هذا العرض بين الطول والقصر والإطناب والإيجاز مع المحافظة على الجوهر وتضمنها لمظاهر الإعجاز بتكرار القَصص القُرآنيَّة[3].

فسورة الصَّافَّات كسائرِ السُّور المكِّيَّة تهدفُ لبناء العقيدة في النُّفوس، والتَّخلص من شوائبِ الشِّرك ولكنَّها بصفة خاصَّة تعالج صورة معينة من صور الشِّرك، التي

(١) مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتَّفسير والأدب: ٣١٠.

(٢) يُنظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي: ٣/ ٥٣٥.

(٣) يُنظر: أَهم خصائص السُّور الآيات المكية ومقاصدها، الدكتور أَحمد عباس البدويّ: ٣٥-٤٣.

كانت سائدة في البيئة العربيَّة الأولى، وتقف أمام هذه الصورة طويلًا، وتكشف عن زيفها وبطلانها بوسائل شتى، تلك هي الصورة الّتي كانت جاهليّة العرب تستسيغها، وهي تزعم أَنَّ هناك قرابة بين الله عزّ وجل والجنّ وتستطرد في تلك الأسطورة فتزعم أَنّه من التَّزاوج بين الله عزّ وجل، والجن ولدت الملائكة عزَّ وجلّ عن هذا، ثُمَّ تزعم أَن الملائكة إناث، وأنهن بنات الله عزّ وجل[1].

أَما البيئة المعنويَّة، فتُمَثِّلُ هذه البيئة بالعُلُوم الشَّائِعة في الأمة الَّتي أنزل فيها القُرآن العظيم ومدى ثقافتها فالبيئة الثَّقافيَّة لتلكَ الحقبة تتميّزُ بانتشارِ الفَصاحة ومُزاولتها واللِّجاج والمشاقة فشخوص هذه البيئة يَتطلب الخِطاب اليهم إيجاز العبارة وقوة اللَّفظ واعتباراته البلاغيَّة[2]، وهذا ما نراه جليًّا في عبارة سورة الصَّافَّات إذْ أَنهَّا تتميّز بقصر آياتها، وسرعة إيقاعها، وكثرة المشاهد والمواقف، وتنوع الصور والمؤثرات فيها، مما جعل سياقها غنيًا باللَّفتات الأُسلوبية والمقاصد الدلاليَّة لتُناسب تلك البيئة الثَّقافية المَكيّة[3].

ولتبيانِ أكثر الواقع البيئيّ في توجيه الدَّلالة نصطفي ثلاثة أمثلة من سورة الصَّافات:

أَوَّلًا: في قوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾[4]: «وَشَجَرَةُ الزَّقُّومِ ذُكِرَتْ هُنَا ذِكْرَ مَا هُوَ مَعْهُودٌ مِنْ قَبْلُ لِوُرُودِهَا مُعَرَّفَةً بِالْإِضَافَةِ ولوقوعها فِي مَقَامِ التَّفَاوُتِ بَيْنَ حَالَيْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فَيُنَاسِبُ أَنْ تَكُونَ الْحَوَالَةُ عَلَى مَثَلَيْنِ مَعْرُوفَيْنِ وَعَنِ ابْنِ سِيدَهْ: بَلَغَنَا أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ: إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعامُ الْأَثِيمِ (أَيْ فِي سُورَةِ الدُّخان [٤٣-٤٤]) لم يعرفها قُرَيْشٌ. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا جَارِيَةُ هَاتِي لَنَا تَمْرًا وَزُبْدًا نَزْدَقِمُهُ، فَجَعَلُوا

(١) يُنظر: الموسوعة القرآنية خصائص السور، جعفر شرف الدين: ٧/ ٢٠٢.

(٢) يُنظر: أَهم خصائص السُّور الآيات المكية ومقاصدها: ٣٥.

(٣) يُنظر: في ظلال القرآن: ٢٩٨٠.

(٤) سورة الصافات: ٦٢.

يَأْكُلُونَ وَيَقُولُونَ: أَفَبِهَذَا يُخَوِّفُنَا مُحَمَّدٌ فِي الْآخِرَة. وَالْمُنَاسِبُ أَنْ يَكُونَ قَوْلهم هَذَا عِنْد مَا سَمِعُوا آيَة سُورَة الْوَاقِعَة لَا آيَةَ سُورَةِ الدُّخَانِ وَقَدْ جَاءَتْ فِيهَا نَكِرَةً. وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ اسْمًا لِشَجَرٍ مَعْرُوفٍ هُوَ مَذْمُومٌ، قِيلَ: هُوَ شَجَرٌ مِنْ أَخْبَثِ الشَّجَرِ يَكُونُ بِتُهَامَةَ وَبِالْبِلَادِ الْمُجْدِبَةِ الْمُجَاوِرَةِ لِلصَّحَرَاءِ كَرِيهَةُ الرَّائِحَةِ صَغِيرَةُ الْوَرَقِ مَسْمُومَةٌ ذَاتُ لَبَنٍ إِذَا أَصَابَ جِلْدَ الْإِنْسَانِ تَوَرَّمَ وَمَاتَ مِنْهُ فِي الْغَالِبِ»[1]، من خلال هذا النَّصّ التَّفسيريّ يتبينّ أَنَّ محمَّدًا الطَّاهر بن عاشور وقبله ابن سيده (ت٤٥٨هـ) التفتا إلى أن ذِكر هاته الشَّجرة لم يكن غريبًا عن معهود النَّاس وأَمثلتهم الحسيَّة المُتداولة، فهو مثالٌ للشَّجرة القَبيحة المَنظر السَّامة للإنسان، فصورتها حاضرةٌ لديهم.

ثَانِيًا: في قوله تعالى: ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾[2] قال القُرطبيّ: «وَكَانَ عِلْمُ النُّجُومِ مُسْتَعْمَلًا عِنْدَهُمْ مَنْظُورًا فِيهِ، فَأَوْهَمَهُمْ هُوَ مِنْ تِلْكَ الْجِهَةِ، وَأَرَاهُمْ مِنْ مُعْتَقَدِهِمْ عُذْرًا لِنَفْسِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ رِعَايَةٍ وَفِلَاحَةٍ، وَهَاتَانِ الْمَعِيشَتَانِ يُحْتَاجُ فِيهِمَا إِلَى نَظَرٍ فِي النُّجُومِ. وَقَالَ ابْنُ عباس: كان علم النجوم من النبوة، فَلَمَّا حَبَسَ اللهُ تَعَالَى الشَّمْسَ عَلَى يُوشَعَ بْنِ نُونَ أَبْطَلَ ذَلِكَ، فَكَانَ نَظَرُ إِبْرَاهِيمَ فِيهَا عِلْمًا نَبَوِيًّا. وَحَكَى جُوَيْبِرٌ عَنِ الضَّحَّاكِ. كَانَ عِلْمُ النُّجُومِ بَاقِيًا إِلَى زَمَنِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى دَخَلُوا عَلَيْهِ فِي مَوْضِعٍ لَا يُطَّلَعُ عَلَيْهِ مِنْهُ، فَقَالَتْ لَهُمْ مَرْيَمُ: مِنْ أَيْنَ عَلِمْتُمْ بِمَوْضِعِهِ؟ قَالُوا: مِنَ النُّجُومِ. فَدَعَا رَبَّهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تُفْهِمْهُمْ فِي عِلْمِهَا، فَلَا يَعْلَمُ عِلْمَ النُّجُومِ أَحَدٌ، فَصَارَ حُكْمُهَا فِي الشَّرْعِ مَحْظُورًا، وَعِلْمُهَا فِي النَّاسِ مَجْهُولًا... الْخَلِيلُ وَالْمُبَرِّدُ: يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا فَكَّرَ فِي الشَّيْءِ يُدَبِّرُهُ: نَظَرَ فِي النُّجُومِ»[3]، وذكر ابن عاشور في تفسيره: «وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» «قَالَ قَتَادَةُ: وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِمَنْ تَفَكَّرَ: نَظَرَ فِي النُّجُومِ، يَعْنِي قَتَادَةُ: أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ مُتَفَكِّرًا فِيمَا يُلْهِيهِمْ بِهِ... أَيْ أَنَّهُ نَظَرَ فِي النُّجُومِ، مِمَّا جَرَى مَجْرَى الْمَثَلِ

(١) التحرير والتّنوير: ٢٣/ ١٢٢. وينظر: المحكم والمحيط الأعظم،ابن سيده: ٦/ ٢٦٣، مادة(زقم).

(٢) سورة الصافات: ٨٨-٨٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٨/ ٥١-٥٢.

فِي التَّعْبِيرِ عَنِ التَّفْكِيرِ لِأَنَّ الْمُتَفَكِّرَ يَرْفَعُ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ لِئَلَّا يَشْتَغِلَ بِالْمُرْئِيَّاتِ فَيَخْلُوَ بِفِكْرِهِ لِلتَّدَبُّرِ فَلَا يَكُونُ الْمُرَادُ أَنَّهُ نَظَرَ فِي النُّجُومِ وَهِيَ طَالِعَةٌ لَيْلًا بَلِ الْمُرَادُ أَنَّهُ نَظَرَ لِلسَّمَاءِ الَّتِي هِيَ قَرَارُ النُّجُومِ وَذِكْرُ النُّجُومِ جَرَى عَلَى الْمَعْرُوفِ مِنْ كَلَامِهِمْ»(١)، الحال نَفسها أَنَّ التَّعبيرَ المُستعمل في النَّصّ المُبارك جَرْيٌ على المَعروف في كلامِهم على حدّ تعبير ابن عاشور،ومن قبل قول ابن كثير: إنّ العربّ تقول لمن يتفكَّر: نظر في النُّجوم، فجاز الاستعمال موافقًا للفِكر المُتعارف في الواقع البيئيّ والتَّداوليّ.

ثالِثًا: في قوله تعالى: ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴾[٢] جاء في تفسير التَّحرير والتَّنوير:«وَكَانَتِ الْقُرْعَةُ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْقَضَاءِ عِنْدَ الْتِبَاسِ الْحَقِّ أَوْ عِنْدَ اسْتِوَاءِ عَدَدٍ فِي اسْتِحْقَاقِ شَيْءٍ. وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ [٤٤] عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ وَهِيَ طَرِيقَةٌ إِقْنَاعِيَّةٌ كَانَ الْبَشَرُ يَصِيرُونَ إِلَيْهَا لِفَصْلِ التَّنَازُعِ يَزْعُمُونَ أَنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى إِرَادَةِ اللهِ تَعَالَى عِنْدَ الْأُمَمِ الْمُتَدَيِّنَةِ، أَوْ إِرَادَةِ الْأَصْنَامِ عِنْدَ الْأُمَمِ الَّتِي تَعْبُدُ الْأَصْنَامَ تَمْيِيزَ صَاحِبِ الْحَقِّ عِنْدَ التَّنَازُعِ. وَلَعَلَّهَا مِنْ مُخْتَرَعَاتِ الْكَهَنَةِ وَسَدَنَةِ الْأَصْنَامِ. فَلَمَّا شَاعَتْ فِي الْبَشَرِ أَقَرَّتْهَا الشَّرَائِعُ لِمَا فِيهَا مِنْ قَطْعِ الْخِصَامِ وَالْقِتَالِ، وَلَكِنَّ الشَّرَائِعَ الْحَقَّ لَمَّا أَقَرَّتْهَا اقْتَصَدَتْ فِي اسْتِعْمَالِهَا بِحَيْثُ لَا يُصَارُ إِلَيْهَا إِلَّا عِنْدَ التَّسَاوِي فِي الْحَقِّ وَفُقْدَانِ الْمُرَجِّحِ، الَّذِي هُوَ مُؤَثِّرٌ فِي نَوْعِ مَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَهِيَ مِنْ بَقَايَا الْأَوْهَامِ. وَقَدِ اقْتَصَرَتِ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي اعْتِبَارِهَا عَلَى أَقَلِّ مَا تُعْتَبَرُ فِيهِ. مِثْلَ تَعْيِينِ أَحَدِ الْأَقْسَامِ الْمُتَسَاوِيَةِ لِأَحَدِ الْمُتَقَاسِمِينَ إِذْ تَشَاحُّوا فِي أَحَدِهَا، قَالَ ابْنُ رُشْدٍ فِي «الْمُقَدِّمَاتِ» :«وَالْقُرْعَةُ إِنَّمَا جُعِلَتْ تَطْيِيبًا لِأَنْفُسِ الْمُتَقَاسِمِينَ وَأَصْلُهَا قَائِمٌ فِي كِتَابِ اللهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي قِصَّةِ يُونُسَ: ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴾»[٣]، والَّذي يدلُّ على أَنَّ عملية الاقتسام (القِسمة) كانت معروفةً في ذلكَ العصر، أَنَّ المسؤول عن السَّفينة والرُّكاب قد ارتضوا

(١) التَّحرير والتّنوير: ٢٣/ ١٤١. وينظر: تفسير القرآن العظيم:٧/ ٢١.

(٢) سورة الصافات: ١٤١.

(٣) محمَّد الطَّاهر بن عاشور: ٢٣/ ١٧٤.

هاته القِسمة ولاسيما النَّبيّ يونس عليه السلام الَّذي هو أَفْقهُ الموجودينَ وأَعلمهم، فلو كان العملُ غَير معروفٍ لديهم لمْ يوافقوا عليه بَلْهَ لَمْ يأتِ على بالِهم ألبتة.

ثَالِثًا: القَصصُ القُرآنيُّ:

لا جرمَ أَن القَصصَ القرآنيُّ تمثِّل أحداثًا وتصوراتٍ خارجيَّة واقعة سواء أكانت مُفَصَّلةً في النَّظم القرآنيّ أم فصِّلَت في المُدونات التَّفسيريِّة والتَّاريخيَّة هدفها استجلاب الحكم والمواضع مع استشراف العبر والدُّروس وهذا ما تلمَّسناه في تعريف البيانينَ للقَصصِ القُرآنيّ.

فعرَّفَ الفخرُ الرَّازيُّ القَصص بقوله: «هُو مجموعُ الكلامِ المُشتمل على ما يهدي إِلى الدِّين، ويرشدُ إِلى الحقِّ ويأمر بطلبِ النَّجاة فبيّن تعالى أن الذي أنزله على نبيه هو القصص الحق ليكون على ثقة من أمره»[1].

والقِصَّة القرآنيَّة: «هي أَخبار عن أحوال الأمم الماضية في العصور الغابرة، والأزمنة الماضية، والنبوءَت السابقة، والحوادث الواقعة، فهي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى تحقيق هدفه الأصيل، والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء والقصة إحدى وسائله لإبلاغ الدعوة»[2].

وقالَ الطَّباطبائيُّ إِنَّ القِصَّة بمفهومها القُرآنيّ هي: «كلام إلهي مفرغ في قالب الوحي يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام»[3].

وذكر الدُّكتور عبد السَّتَّار الأسديّ تعريفًا للقِصَّة القرآنيّة قال هي: «مجموعةٌ من الأَحداث والشَّخصيات الواقعيَّة الَّتي تروى لنسقٍ معين وتندرج ضمن خطاب

(١) مفاتيح الغيب: ٨/ ٩٢.
(٢) التصوير الفني في القرآن: سيد قطب: ١١٩.
(٣) الميزانُ في تفسير الميزان: ٢/ ٣٠٨.

أَعمّ متضمّن في سياق السُّورة الَّتي تنتمي لها ضمن بنية النَّصّ الكُلِّيَّة»[١]، وتَنماز القِصَّة القرآنية عن غيرها من القَصص بأَنَّ تركيزَ القِصَّةِ القُرآنيّة على الغرضِ والهدف فالمقصود منها ليس استقلالها كعملٍ فنيّ مستقل وإنما جاءت قرآنيًّا لتحقيق أَهداف وأَغراض أبرزها إرشاديَّة دينيّة لا سرد تاريخيّ[٢].

وكان للقِصَّة القرآنيَّة أثر في الإِعجازيَّة الأدبيَّة للقُرآن الكريم ؛نظرًا لما شغلته من مساحة في النَّصّ المقدّس[٣]، وقد ركز القُرآن الكريم على المواضيع المعروفة من القَصص النَّبويّة ولم يفصل القِصَّة التَّاريخيّة بل يكتفي بانطاق الشُّخوص بما ينسجم مع الأَغراض والأهداف الدَّعوة الإسلاميَّة[٤]، ونرى أسلوب التّكرار القَصصّي في القُرآن الكريم وهو أُسلوب بلاغيّ أَشار له الباقلانيّ (ت٤٠٣هـ): «أَنَّ إعادةَ ذكر القصَّة الواحدة بألفاظ مختلفة، تؤدّى معنًى واحدًا من الأَمر الصعب، الذي تظهر به الفصاحة، وتتبيّن به البلاغة»[٥].

عليه فإِنَّ هذه الأَحداث التَّاريخيّة والتصور والعناصر القَصصيَّة من السرد والشُّخوص يكشف عن تجليَّات النَّصّ القرآني الذي تضمن قصَّة قرآنية من هنا فإِنَّ المفسر البيانيّ قَد أفاد من هاته الألية في الكشف عن الحدث القرآنيّ وتضمَّنت سورة الصَّافَّات مجموعة من القَصص النَّبويّة اخترت منها ثلاث قَصص لتبيان أثرها في تكشاف الدلالات واستجلاء المضامين القُرآنيَّة من خلال السَّرد القَصصيّ القصير والقَصص هي:

(١) القصة القرآنية اصطلاحا،مجلة المشكاة، العدد٣٢، لسنة ٢٠٠٠م، مجلّد ٨: ٥١.

(٢) يُنظر: علوم القرآن، محمد باقر الحكيم:٣٥٣.

(٣) يُنظر: البلاغة والسرد جدل التَّصوير والحِجاز في أخبار الجاحظ، د.محمّد مشبال: ١١ .

(٤) يُنظر: القِصَّة القرآنية مفهومًا وأُسلوبًا، الدكتور صابر ميشل، المجلة الجامعة، العدد١١، سنة ٢٠٠٩م:٤٩.

(٥) إعجاز القرآن، الباقلانّي: ٦١.

أَوَّلًا: قِصَّة نَجاة النَّبيّ نوح عليه السلام وأَهله من الكرب العظيم:

تجلَّت قِصَّة النَّبيّ نوح في سورة الصَّافَّات في مجموعة من الآيات مرتبة تسلسليًّا لتدل على التَّرابط في القِصَّة لبيان النَّتيجة الكاملة قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾[1] من هذه الآيات المباركات يبدأ سرد قِصص تسعة أنبياء أولهم نوح وهو أَوَّل أُولي العزم وشيخ الأنبياء تبدأ القِصَّة بنداء نوح لربه لاستنصاره على قومه ودعائه عليهم الَّذي تكرر في أكثر من موضع قرآنيّ هذا الحدث الأَوَّل بعده أَجاب الله عزّ وجل دعاءه بالإجابة بالخلاص والنَّجاة من الهلاك الذي وصفه الله عزّ وجل بـ﴿ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ أي: الطوفان ووصف الكرب بالعظيم دلالة على شرِّ هذا الكرب فالشَّرُّ هو ما يوصف بالعظم والتَّعظيم للخير وهذه دلالة دقيقة جدا تتناسب مع كبر الشَّرّ الذي أَصاب قوم نوح عليه السلام، وتتابع الأحداث لتكون ذريته هم الباقون من هذا الهلاك العظيم والأسباب لهذا الهلاك العظيم مجموعة من الأحداث أَتعبت نبيّ الله عزّ وجل حتى وصل لحال الدُّعاء عليهم وطلب العون من الله عزّ وجل، وكانت النَّتيجة بقاء ذكره في الباقين من البشر وهلاك قومه وتميَزَ النبي نوح عليه السلام بالصَّبر والمقاومة المستمرة والثَّبات وجعل الله عزّ وجل ذكره عبرة للباقين وأَفاض عليه من لطفه أن أخرجه من غمِّهِ وأَلطف عليه بسَلامِهِ عليه ونهاية القِصَّة بمثابة النَّتيجة الخالدة لكُلِّ الدعواتِ النَّبويَّة، إذْ تصرح الآية ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ أنَّ هذا جزاء المؤمنينَ ممن ثَبتَ في الدعوة لله تعالى من علو المنزلة والخلود الأبديّ ويظهر في النَّصّ اللُّطف الإلهيّ إذ أن الله عزّ وجل خَصَّ نوحًا عليه السلام في سبع آيات ووصف عذاب قومه في آية واحدة بعبارة قصيرة يرافقها التَّحقير وعدم

(١) سورة الصافات: ٧٥-٨٢.

الاهتمام لهم[1].

ويمكنُ أَن نضعَ هذا الأَمر في مخطَّطٍ توضحيّ:

ثَانيًا: قِصَّة النَّبيّ لوط عليه السلام بينَ نجاةِ أَهلِه وتدميرِ قَومِهِ:

تَضمَّنتْ سورةُ الصَّافَّاتِ على ستِّ قِصص نَبويَّة مشابهة لقِصَّة الرَّسول الأكرم محمَّد صلى الله عليه وآله ابتدأت بقِصَّة نوح عليه السلام القدوة الأولى وقِصَّة النبيّ إبراهيم الخليل عليه السلام ومن ثُم قِصَّة موسى عليه السلام وشبه شَريعته بالشَّريعة الإسلاميَّة ومن بعد ذلك قصَّة لوط عليه السلام الَّذي كان على ملّة إبراهيمَ عليه السلام وإلياس عليه السلام ويُونُس الَّذي كان على ملّة موسى عليه السلام[2].

سُرِدَتْ قِصَّةُ لوط عليه السلام في سورة الصَّافَّات في خمسِ آياتٍ قَال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴾[3]، تتحدَّثُ هذه الآيات عن قِصَّةِ النَّبيّ لوط عليه السلام إذ أَخذ على عاتقه نهي قومه عمَّا عندهم من الفاحشة اسْتهلتْ قِصَّته بمناجاته لله تعالى بعد قيامه بدوره المطلوب والمبالغة بتبليغها طلب النَّجاة من الله عزّ وجل فمنَّ تعالى عليه بالنَّجاة هو وأهله إلا امرأته ودمر قومه بالخسف وإمطار الحِجارة من ثم يتنقل الخِطاب في الآيات القرآنيَّة لخطاب القرشينَ الذي كانوا يسافرون للشَّام فيمرون بأَرضٍ بفلسطين أرض قوم لوط إمَّا صباحًا أو مساءً فيرون آثار دمار قوم لوط ظاهرة غمرها البحر الميت فيخطابهم الله عزّ وجل ألا تتعظون من هذه آثار التَّدمير التي كانت نتيجة لتكذيبهم وتتميز قِصَّة لوط عليه السلام بحدث قَصصيّ يَبرقُ بمشاهدةِ

(١) يُنظر: التبيان في تَفسير القرآن: ٨/ ٥٠٤-٥٠٧. والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢١/ ٢٣٧-٢٤١.

(٢) يُنظر: التَّحرير والتَّنوير: ٢٣/ ١٢٩-١٣٠.

(٣) سورة الصافات: ١٣٣-١٣٧.

أَهل قريش لآثار دمار قوم لوط عليه السلام[1].

ويتجلّى الوَصفُ البيانيّ في هاته القِصَّة في ظلّ اسْتعراض الفصول السّتة الَّتي ندَّت من الآيات الواصفة لقِصة لوط عليه السلام الفصل الأوَّل: إنّه من المرسلين، الثَّاني: تنجيتهُ وأهله أجمعين، الثَّالث: وصف حال امرأته، الرَّابع: دَمار الآخرينَ، الخامس: مشهد رؤية أَهل قريش لآثار دمارهم صباحًا ومساءًا، السَّادس: أخذ العبرة والدَّرس.

ثَالثًا: قِصَّةُ النَّبيِّ يونس عليه السلام بينَ الإباقِ والتَّسبيحِ:

تَنْتَقِل الآيات المباركات بعد قِصَّة لُوط عليه السلام إلى الإخبار عن قِصَّة يُونس عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَبِٱلَّيۡلِۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٣٨ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٣٩ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١٤٠ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ١٤١ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤ ۞فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ١٤٥ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ١٤٦ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ١٤٧ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾[2] تبدأ القِصَّة بالصِّفة المشتركة بيَن الأنبياء ألاَ وهي وصفهم بالمرسلينَ فَهُم رُسُل الله عزّ وجل دَعَا النَّبيُّ يُونس عليه السلام إلى توحيد الله عزّ وجل حتَّى خرج منهم قبل أن يأمره الله عزّ وجل بالخروج وهو ما عُبِرَ عنه الإباق وقالوا إنه الهروب المجازيّ كما يهرب العبد من سيده وهذا الهرب المجازيّ لم يكن فيه معصية لله تعالى لأن نبيّ الله لم يأمر بعدم الخروج من قومه إلا أنه خرج قبل أن يأمره الله تعالى وتتابع القِصَّة فبعد خروج يُونس اجمع قومه على التوبة لله تعالى فكُشِفَ عنهم العذاب، كان إباقُ النَّبيّ إلى السَّفينة المملوءة بالنَّاس فيواجه السَّفينة حوتٌ عظيمٌ عرض لها فلم يجد الرُّكاب إلا حلًّا أن يُلقى للحوت واحدًا منهم فقترعوا بينهم وهي ما عبر عنها القرآن

(١) يُنظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٤/ ٦٢. والتَّحرير والتَّنوير: ٢٣/ ١٧١-١٧٢.

(٢) سورة الصافات: ١٣٨-١٤٨.

بالمساهمة فأصابت القرعة يُونس عليه السلام فألقيَ إلى الحوت فالتقمهُ أي: ابتلعه، لكن الله تعالى منّ عليه بالبقاء حيًا داخل بطن الحوت فبدأ بالتَّسبيح الذي كان سرّ نجاته من أن يّظل إلى يوم القيامة في بطنه، لأَنَّ ماهية التَّسبيح تدور حول تعظيم الله تعالى وتنزيهه والصَّلاة له فبعد أن بقي في بطن الحوت أربعين (٤٠) يومًا حتَّى استجاب الله تعالى له فألقاه الحوت وهو مريض ومنَّ الله تعالى عليه مرةً أخرى بستظلاله تحت شجرة اليَقطين وعاد إلى قومه مرة أخرى وقِيل إلى قوم آخرين فمتعهم الله تعالى حتَّى حين[١].

رَابعًا: القِراءاتُ القُرآنيَّةُ:

من الخطواتِ المهمة في تكشافِ بيانيَّة النَّصّ القرآنيّ الوقوف على القراءات القرآنيّة بوصفها تُمثِّل أداءات لفظيّة تختلف عن الأداء المتواتر للنَّصّ القرآنيّ والكشف عن القراءات وتبيان عللها له أثر في توجيه الدَّلالة سواءٌ للفظ المنزل تواترًا على ما جاء في قراءة حفص عن عاصم أو القراءة الصادرة عن القراء السبعة وغيرهم.

والقِرَاءات القُرآنيَّة هي: «اختلافُ ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفياتها من تخفيف وتثقيل وغيرها»[٢]، وهي أيضًا: «علمٌ يُعنى بكيفيةِ أَداء كلمات القُرآن الكريم واختلافها معزوا إِلى ناقلِهِ»[٣] وعرَّفها عبد الفتَّاح القاضي بشكلٍ أكثر تفصيلًا بقوله هي: «علمٌ يُعرفُ بهِ كيفية النُّطق بالكلمات القرآنيَّة، وطرق أدائها اتفاقا واختلافا، مع عزو كلّ وجه إلى ناقله»[٤].

ولتكول القراءة مقبولة وصحيحة وضعوا لها شروطًا أربعة الأَوّل: موافقتها العربية ولو بوجه، الثَّاني: موافقتها أحد المصاحف العثمانيَّة ولو احتمالًا، الثَّالث: صحة السَّند،

(١) يُنظر: التبيان في تفسير القرآن: ٨/ ٥٢٨-٥٣٠. وأنوار التنزيل وأسرار التأويل:٥/ ١٨-١٩. والميزان في تفسير القرآن:١٧/ ١٦٢، ١٦٦، ١٦٧. والكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٤/ ٦٣.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ١/ ٣١٨.

(٣) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجزري: ٩.

(٤) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة: ٧.

والرَّابع: تواتر السَّند أي حتى إن كانت القراءة صحيحة ومستفية للشروط الثَّلاثة لا تقبل إن لم تكن متواترةً[1].

فتنوع القِراءات وتعددها جعلها تكون عنصرًا مهمًا من عناصر الكشف البيانيّ لما تحمله بتنوع دلالات الألفاظ القرآنيَّة فكانت من الخُطوات البيانيَّة التي لم يغفلها المفسرونَ البيانيّونَ وحَفِلت سورة الصَّافَّات بتنوع القراءات القُرآنيَّة التي استفاد منها المفسرون في توجيه الدَّلالات القُرآنيَّة نذكر بعضًا منها:

أَوَّلًا: في قوله تعالى ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾[2] ذكرَ الطُّوسيُّ: «قرأَ أهلُ الكوفةِ إِلَّا عاصمًا ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ بضم التَّاء الباقون بفتحها. قال أبو علي: من فتح التاء أراد: بل عجبت يا محمد من إنكارهم البعث أو من نزول الوحي على قلبك وهم يسخرون، ومن ضم قال: معناه إن إنكار البعث مع بيان القدرة على الابتداء وظهور ذلك من غير استدلال عجيب عندك»[3].

ويبدوُ أَنَّ قراءةَ المُصحف وهي قراءة حفص عن عاصم هي الَّتي تناسب السِّياق والمقام، أَمَّا قراءة (عجبتُ) تنسب التَّعجب لله عزّ وجل، على الرغم من أن هذا التَّعجب مجازيّ إِلَّا أنه لا يتناسب مع السِّياق ودأب القرآن الكريم.

ثَانِيًا: في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾[4] قالَ الزَّمخشريّ: «وقرئ مطَّلعونَ، فاطَّلع. وفأطَّلع بالتَّشديد، على لفظ الماضي والمضارع المنصوب: ومطلعون فاطلع، وفأطلع بالتخفيف، على لفظ الماضي والمضارع المنصوب... فالمعنى: أنه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم، وهو منآداب المجالسة. أن لا يستبد بشيء دون جلسائه، فكأنهم مطلعوه. وقيل: الخطاب على هذا للملائكة وقرئ: مطَّلِعُونِ بكسر النُّون، أراد:

(١) النَّشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ١/ ٩. ولطائف الإشارات لفنون القرآن، القسطلاني: ١/ ٦٩.

(٢) سورة الصافات: ١٢.

(٣) التبيان في تفسير القُرآن: ٨/ ٤٨٥.

(٤) سورة الصافات: ٥٤.

مطلعونِ إياي، فوضع المتصل موضع المنفصل، كقوله: هم الفاعلون الخير والآمرونه. أو شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ بينهما، كأنه قال: تطلعون، وهو ضعيف لا يقع إلا في الشِّعر»[1].

والذي يردُّ قراءة: ﴿مُّطَّلِعُونَ﴾ بكسر النُّون أمران ؛نسقيَّة الخِطاب التي جاءت بالنّون المفتوحة التي يوقف عليها بالتَّسكين ؛لأجل الوقف، ومجيء النّون مكسورة خروج عن النَّسق الإيقاعيّ، والأمر الآخر: أن قراءة مُطلعونِ تقتضي الرُّؤية والنَّظر إلى الذَّات الإلهيَّة وإن أوّلت مجازًا، فالرُّكون إلى هذا الوجه ضعيف.

ثَالِثًا: في قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ﴾[2] وجَّهَ القرطبيُّ قراءة (يَزِفُّونَ) بقوله: «قَرَأَ حَمْزَةُ (يُزِفُّونَ) بِضَمِّ الْيَاءِ. الْبَاقُونَ بِفَتْحِهَا، أَيْ يُسْرِعُونَ... وَمَنْ قَرَأَ (يُزِفُّونَ) فَمَعْنَاهُ يُزِفُّونَ غَيْرَهُمْ أَيْ يَحْمِلُونَهُمْ عَلَى التَّزْفِيفِ وَعَلَى هَذَا فَالْمَفْعُولُ مَحْذُوفٌ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: أَزَفَفْتُ الْإِبِلَ أَيْ حَمَلْتُهَا عَلَى أَنْ تَزِفَّ. وَقِيلَ: هُمَا لُغَتَانِ يُقَالُ: زَفَّ الْقَوْمُ وَأَزَفُّوا، وَزَفَفْتُ الْعَرُوسَ وَأَزْفَفْتُهَا وَازْدَفَفْتُهَا بِمَعْنًى، وَالْمُزَفَّةُ: الْمِحَفَّةُ الَّتِي تُزَفُّ فِيهَا الْعَرُوسُ، حَكَى ذَلِكَ عَنِ الْخَلِيلِ (ويُزفون) بِضَمِّ الْيَاءِ. زَعَمَ أَبُو حَاتِمٍ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ هَذِهِ اللُّغَةَ، وَقَدْ عَرَفَهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمُ الْفَرَّاءُ وَشَبَّهَهَا بِقَوْلِهِمْ: أَطَرَدْتُ الرَّجُلَ أَيْ صَيَّرْتُهُ إِلَى ذَلِكَ وَطَرَدْتُهُ نَحَّيْتُهُ»[3].

لا جرَمَ أنَّ القراءة الثَّانية (يُزِفُّونَ) بضم الياء من الثّلاثيّ المَزيد بحرف واحد (أزفّ) تَفتح التَّصور للنَّصّ القُرآنيّ، من ناحية أنَّ دَلالة الفعل (يُزِفُّون) تدلُّ على المطاوعة والصيرورة في فِعْلِ الإسراع والبلوغ على الرَّغم من أنَّ هاته اللّغة قد ضعفها أبو حاتم كما نقل عن الخليل وهو تضعيف لا مسوّغ له: فتقول: زَفّ، يَزِفُّ أَزَف، يُزِفُّ.

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:٤/ ٤٤-٤٥.

(٢) سورة الصافات: ٩٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٨/ ٥٥-٥٦.

رَابعًا: وفي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[1] «اختلف في قراءة هذه الآية: وَجُمْلَةُ ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ قَرَأَ الْأَكْثَرُ بِرَفْعِ اسْمِ الْجَلَالَةِ وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِ فَهُوَ مُبْتَدَأٌ وَالْجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةٌ اسْتِئْنَافًا ابْتِدَائِيًّا وَالْخَبَرُ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّنْبِيهِ عَلَى الْخَطَأِ بِأَنْ عَبَدُوا بَعْلًا. وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ وَيَعْقُوبَ وَخَلَفٍ بِنَصْبِ اسْمِ الْجَلَالَةِ عَلَى عَطْفِ الْبَيَانِ لِـ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ، وَالْمَقْصُودُ مِنَ الْبَيَانِ زِيَادَةُ التَّصْرِيحِ لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامُ إِيضَاحٍ لِأَصْلِ الدِّيَانَةِ، وَعَلَى كِلْتَا الْقِرَاءَتَيْنِ فَالْكَلَامُ مَسُوقٌ لِتَذْكِيرِهِمْ بِأَنَّ مِنْ أُصُولِ دِينِهِمْ أَنَّهُمْ لَا رَبَّ لَهُمْ إِلَّا اللهُ، وَهَذَا أَوَّلُ أُصُولِ الدِّينِ فَإِنَّهُ رَبُّ آبَائِهِمْ فَإِنَّ آبَاءَهُمْ لَمْ يَعْبُدُوا غَيْرَ اللهِ مِنْ عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ الْأَبُ الأول من حَيْثُ تَمَيَّزَتْ أُمَّتُهُمْ عَنْ غَيْرِهِمْ، أَوْ هُوَ يَعْقُوبُ»[2].

ويبدوُ أَنَّ قراءة المصحفِ بنصب لفظ الجلالة: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ هي الأوفق للمقام والسِّياق؛ لأَن المقام مقام بيان وتوضيح وإقرار بأَنَّ الله عزّ وجل هو الخالق العظيم وما سواه خالِقون مُدّعون لا ينفعونَ أَنفسهم بَلْه الخلق أجمعين، وقراءة الضَّم لا تؤدّي الدَّلالة المرادة في الظَّفر بالتَّحدي وتبيان قبح الآلهة المُتعدّدة.

خامِسًا: مروياتُ النَّبيّ صلى الله عليه وآله وأَهلُ بيتِهِ عليهم السلام وصحبه المنتجبينَ

من الآليات المهمة في استجلاء دلالة النَّص بيانيًّا المرويات الصَّادرة عن النبي وأهل بيته الكرام عليهم السلام وصحبه المنتجبين فالمرويات النَّبيّ صلى الله عليه وآله تمثّل نصوصًا بيانيَّة كاشفة للنَّصِّ القُرآني والحال نفسها مرويات أهل بيته عليهم السلام بوصفهم تُرْجُمان القرآن وحملته فضلًا عن ذلك ما صدر عن الرَّعيل الأَول من الصَّحابة بوصفهم حواريّ النَّبيّ صل الله عليه وآله فما صدر منهم يمثّل استمدادًا من هَدْي النّبيّ

(١) سورة الصافات: ١٢٦.

(٢) التَّحرير والتَّنوير: ٢٣/ ١٦٧.

صلى الله عليه وآله.

يرتكز كلُّ منهج تفسيريّ على المرويات النَّبوية والمرويات عن أهل بيتهِ وكذلك صحبه الأخيار ولابدَّ من الإشارة إلى أَنَّ المدونات التَّفسيريَّة بنشأَتِها الأولى تمثَّلت بالتَّفسير الرُّوائيّ والتَّفسير بالرَّأي والنَّظر والاستدلال، فالتَّفسير الرُّوائيَّ اعتمد على نقل الرُّواية عن النَّبيّ صلى الله عليه وآله وعن الأئمة عليهم السلام من عترته ثم عن صحبه الأخيار والتَّابعين لتكون تلك الرُّوايات بيانات للقُرآنِ الكريم وبيان ما أُبهم عن النَّاس منه وأفادت تلك الرُّوايات في بيان الأحكام وتبيان الأبعاد الشرعيَّة للآيات المباركة والأخلاق والآداب[1].

ولم يكن التَّفسير البيانيّ عن ذلك المنهج الرّوائيّ فهو خليط من مناهج عدّة فاعتمد المفسّرون البيانيّون على نَقل الرُّوايات في مواضع التَّفسير إِنْ استدلالًا وإِنْ توضيحًا وإنْ إضافةً للدَّلالات التَّي تحتملها النُّصوص.

من هنا فأنّنا سنذكرُ رواياتٍ منتخبةً لها مَسِيسٌ بالنُّصوصِ القُرآنيَّة الواردة في سورةِ الصَّافَّات بحسبِ أَلمكنة والوسع أَهم الرُّوايات الصَّادرة من النّبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام وصحبه المتصلة بها.

وردت في في سُورة الصَّافَّات العديد من الرُّوايات الَّتي أَسهمت في بيانيَّة الآيات المباركات ونذكر منها ما ورد في تفسير الآيتين المباركتين: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ ﴾[3] ففي الآيتين المباركتينِ اخْتلفُوا في هُوِية الذَّبيح فأسهمت الرُّويات المباركة لبيان هُوِيَّة الذَّبيح هل هو إسحاق أم إسماعيل؟ وفي الإجابةِ عن هذا السُّؤَال تكوثرتِ الرُّويات النَّبويَّة وعن أئمة

(١) التَّفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ٢/ ٥٤٣، ٥٣٩، ٥٣٧.

(٢) سورة الصافات: ١٠٢.

(٣) سورة الصافات: ١٠٧.

أهل البيت عليهم السلام وعن الصَّحابة الكِرام.

* ذكر الطُّوسيّ ما رُويَ عن النَّبيّ الخاتم محمَّد صلى الله عليه وآله: «**أَنَا ابنُ الذَّبيحَين، ولا خلافَ أَنَّه كانَ مِن ولدِ إسماعيلَ والذَّبيح الآخر عبد الله أَبوه**»[١].

* ورى الإمِامُ عليٌّ عليه السلام في دعائِه عن رسولِ الله صلى الله عليه وآله: «**يَا مَن فدا إسماعيلَ من الذَّبح**»[٢].

* ورويَ عن الإمامينِ الباقر والصَّادق عليهما السلام أَنَّهما سُئِلا عَن الذَّبيح فقالا هو: إِسماعيل[٣].

* وعَن الإمامِ الرِّضا عليه السلام أَنَّه قال: «**لو علم اللهُ عزّ وجل شيء أَكرم من الضَّأن لفدى به إسماعيل**»[٤].

* وذُكِرَ من طرق متعدّدة عن ابنِ عباس تحديده للذَّبيح الذي فداه الله عزّ وجل إِنَّه إِسماعيل[٥] وعن ابن عمر وسعيد بن المسيب والشعبيّ وجاهد والربيع والكلبي وغيرهم قالوا إن الذَّبيح هو إِسماعيل[٦].

سَادِسًا: الاستدلالُ بالشِّعر العربيّ:

من الاستدلالاتِ النَّصيَّة المهمة في تبيان دَلالات ألفاظ القُرآنيَّة الواردة في سورة الصَّافَّات كلام العرب نظمًا إِذ إِن المفسَّر البيانيّ لابُدَّ أنْ يُوسع الدَّائرة الاستشهاديَّة ؛رغبةً مِنه في الكشفِ عن دَلالاتِ أَلفاظ القُرآن ولاسيما أَنَّ القُرآن الكريم جاء متحدّيًا

(١) التبيان في تفسير القرآن: ٨/ ٥١٨.
(٢) نور الثّقلين: ٦/ ٢١٨.
(٣) يُنظر: مجمع البيان في تفسير القرآن٨/ ٢٤٩.
(٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:٢٢/ ٢٦٢.
(٥) يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القُرآن:١٩/ ٥٩٢-٥٩٨.
(٦) ينظر: مجمع البيانُ في تَفسير القرآن:٨/ ٢٤٦.

العرب على نحو أَنَّه استعمل اللُّغة نفسها والألفاظ المشابهة لألفاظهم فكل ما ورد في القُرآن الكريم من ألفاظ كانت موجودة عند العربِ ولكن اللُّغات تنوعت لكُلِّ قبيلةٍ من ألفاظ ودلالات وقد حوى القُرآن العظيم تلكَ اللُّغات وقد علل السّيوطيّ هذا الاستعمال بقوله: «فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن ليتمّ إحاطته بكُلّ شيءٍ فاختير له من كُلّ لُغةٍ أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالا للعرب»[1].

ولما كان هذا التَّنوع في الألفاظ القُرآنيَّة وتناسبها مع التَّنوع اللُّغوي للقبائل العربيَّة كان لِزامًا على المُفسرين أن يستدلوا بالشِّعر العربيّ لأنه ديوان العرب كما قال ابن عباس: «الشِّعْرُ دِيوَانُ الْعَرَبِ فَإِذَا خَفِيَ عَلَيْهِمُ الْحَرْفُ مِنَ الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ بِلُغَتِهِمْ رَجَعُوا إِلَى دِيوَانِهِمْ فَالْتَمَسُوا مَعْرِفَةَ ذَلِكَ ثُمَّ إِنْ كَانَ مَا تَضَمَّنَهُ أَلْفَاظُهَا يُوجِبُ الْعَمَلَ دُونَ الْعِلْمِ كَفَى فِيهِ الِاسْتِشْهَادُ بِالْبَيْتِ وَالْبَيْتَيْنِ وَإِنْ كَانَ مَا يُوجِبُ الْعِلْمَ لَمْ يَكْفِ ذَلِكَ بَلْ لَا بُدَّ مِنْ أن يستفيض ذلك اللفظ وتكثر شواهده من الشِّعْرِ»[2] ونقل السيوطيّ معقبًا على قول ابن عباس: «قال أبو عبيد: يعني كان يستشهد به على التفسير»[3] أي: كان يستشهد بالشِّعر، ونقل الزَّركشيُّ عن عكرمة قوله: « لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي كِتَابِ اللهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِلُغَاتِ الْعَرَبِ»[4]، يَتبينَّ من هذه النُّصوص أن العلم باللُّغات العربيَّة أمر مهم وخير ما يتضمن التَّنوع اللغويّ هو الشِّعر العربيّ ولا تخفى أهميته لكونه منظومة لغويَّة واسعة متضمَّنة ألفاظًا مختار من جهة، وطريقة استعمال معجبة تدخل في المسار البلاغيّ في تصوّر علاقة اللُّفظ بالمعنى من جهةٍ وإرادة المتكلِّم إبلاغ (المتلقِّي) قصده، فضلًا عن جماليَّة الخِطاب فهو كالسّحر، فقد وردَ عن رسولِ الله

(١) الإتقان في علوم القرآن: ٢/ ١٢٦.
(٢) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٢٩٤.
(٣) الإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٦٧.
(٤) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٢٩٢.

محمَّد صلى الله عليه وآله: «**إنَّ من البيانِ لسحرًا ومن الشِّعر لحكمة**»[1]، وللشِّعر فائدة في حفظِ الأنساب ومعرفة المأثر ومنه تُعلِّمت اللُّغة وهو حجَّة فيما أشكل من غريب القرآن الكريم[2].

من هنا كان الاستدلال بالشّعر العربيّ خطوة اعتمدها المفسرون الأوائل وتبعهم المفسرون المتأخرون ولأهميته في توجيه الدَّلالات اللَّفظية وارتباطه بالبيئة الأدبية للنَّصّ القرآنيّ فيمثل الاستدلال بهِ بيانٌ مهم للوصول لمعاني كتاب الله عزّ وجل.

واستدل المفسرون كثيرًا بالشِّعر في تفسير سورة الصَّافَّات ومن أجل الاختصار نذكر ثلاثة أمثلة منها:

أَوَّلًا: في قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾[3]: قالَ الطُّوسيُّ: «ثم اخبر تعالى انه خلقهم من طين لازب. والمراد أنَّه خلق آدم من طين، وإنَّ هؤلاء نسله وذريته، فكأنهم خلقوا من طين، ومعنى (لازب) لازم فأبدلت الميم باء، لأنها من مخرجها، يقولون: طين لازب وطين لازم قال النَّابغة:

وَلا يَحْسِبُونَ الخَيْرَ لا شَرَّ بَعْدَهُ ولا يَحْسِبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لازِبِ

وبعض بني عقيل يبدلون من الزاي تاء. فيقولون: لاتب، ويقولون: لزب، ولتب، ويقال: لزب يلزب لزوبًا. وقال ابن عباس: اللازب الملتصق من الطّين الحرّ الجيد. وقال قتادة: هو الذي يلزق باليد. وقال مجاهد: معناه لازق: وقيل: معناه من طين علك خلق آدم منه ونسب ولده إليه»[4].

لا يخفى أَنَّ الاستعمالَ القرآنيّ لوصف الطِّين بـ(اللَّازب) جاء في أَروع استعمال، إذ وصف الطّين باللَّازب أي: المخلوط المتجانس ؛الَّذي لا يعرف الانفصال والانفراج

(١) الصَّاحبي في فِقه العربيَّة ومَسائِلُها وسُنن العرب في كلامها: ٢١٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢١٢.

(٣) سورة الصافات: ١١.

(٤) التبيان في تفسير القرآن: ٨/ ٤٨٦-٤٨٧. والبيت الشِّعري للنَّابغة الذُّبيانّي، ينظر: ديوان النَّابغة الذّبيانّي: ٣٥.

لتداخل الجزيئات تداخلًا وتَشابكًا وتعالقًا وتمازجًا، ومن أجل إقرار هذا المعنى استشهد الطُّوسيّ بقول النَّابغة، إذ أورد في شعره مثلا عربيًّا للدَّلالة على انعقاد الأمر وإبرامه ولصوقه فضربة لازب مثلٌ لكُلّ أمر قُضي لا يُرجى انفلاجه وانفصالُهُ.

ثَانيًا: ﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴾[1]:

قالَ الزَّمخشريُّ: «والمعنى: نعم تبعثون وَأَنْتُمْ داخِرُونَ صاغرون فَإِنَّما جواب شرط مقدّر تقديره: إذا كان ذلك فما هِيَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ وهي لا ترجع إلى شيء، إنما هي مبهمة موضحها خبرها. ويجوز: فإنما البعثة زجرة واحدة وهي النفخة الثانية. والزَّجرة: الصيحة، من قولك: زجر الراعي الإبل أو الغنم: إذا صاح عليها فريعت لصوته. ومنه قوله:

زَجْـرَ أَبِي عُـرْوَةَ السِّـباعَ إِذَا ... أَشْـفَقَ أَنْ يَخْتَلِطْـنَ بِالغَنَـمِ

يريد تصوينه بها فَإِذا هُمْ أحياء بصراء يَنْظُرُونَ»[2]، استشهدَ الزَّمخشريُّ بالشِّعر، ليبيّن دَلالة (زَجْرَةٌ) بأَنَّها الصَّوت المصحوب بالقوة والبأس والزَّجر.

ثَالِثًا: في تبيان دَلالة (المُدْحَضِينَ) في قوله تعالى: ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴾[3]

قالَ القُرطبيُّ: «(فَساهَمَ) قال المُبَرِّدُ: فَقَارَعَ قَالَ: وَأَصْلُهُ مِنَ السِّهَامِ الَّتِي تُجَالُ. (فَكانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ) قَالَ: مِنَ الْمَغْلُوبِينَ.

قالَ الفرَّاءُ: دَحَضَتْ حُجَّتُهُ وَأَدْحَضَهَا اللهُ. وَأَصْلُهُ مِنَ الزَّلَقِ، قالَ الشَّاعر:

قَتَلْنَـا الْمُدْحَضِـينَ بِـكُلِّ فَـجٍّ ... فَقَـدْ قَـرَّتْ بِقَتْلِهِـمُ الْعُيُـونُ

أَيِ الْمَغْلُوبِينَ»[4]، اسْتَعان القُرطبيّ بالشّعر للكَشفِ عن دَلالة (الْمُدْحَضِينَ) بمعنى:

(١) سورة الصافات: ١٨-١٩.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:٤/ ٤١. البيتُ الشِّعري للنَّابغة الجعديّ، يُنظر: ديوان النَّابغة الجعدي: ١٦٣.

(٣) سورة الصافات: ١٤١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن:١٨/ ٩٤.البيت الشعريّ منسوبٌ إلى أَبي القيس الأسلت ذكره الماورديّ في تفسيره يُنظر: النّكت والعيون:٥/ ٦٧.

المغلوبينَ، فهو كشف للدَّلالة باستشراف كلام العرب المَنظوم.

المطلبُ الثَّاني: خُطواتُ التَّفسيرِ البيانيِّ المتعلِّقةُ بجوهرِ النَّصِّ وصَميمِه:

في هذا المطلب سَنفْلِي ونفتشُ عن الخُطواتِ الإجرائيَّة والآليات التَّطبيقيَّة المتعلِّقة بصميمِ النَّصِّ القُرآنيّ وجوهره أَو ما تُسمَّى بالخُطواتِ الإجرائيَّة المتعلِّقة بِدَاخلِ النَّصِّ.

ويبدوُ لِي أَنَّ هَاتِه الخُطُوات تَكاد تَكُون الأَصل في المُمارسة التَّفسيريَّة البيانيَّة للنَّصِّ القُرآنيّ فهي أَلصقُ ممارسةً ومدارسةً بهذا المنهج من الخُطوات المتعلِّقة بخارجِ النَّصّ فانطباق عنوان هذا (المنهج التَّفسيري البيانيّ)يَنْطَبِقُ عليها انطباقًا كلِّيًّا في حين أَن عنوانَ هذا المنهج يَنْطَبِقُ انطباقًا جزيئًا على تِلْكُمُ الخُطُوات المتعلِّقة بخارج النَّص فكلما تُعمِّقَ في استظهار هذه الخطوات وتؤنِّقَ في استجلاءِهَا تَجلَّى النَّصّ القُرآنيّ المُبارك دلالةً ومقاصدَ وحقائقَ.

ومن الخُطواتِ المُهمة الَّتي سنقفُ عليها في هذا المطلب والَّتي لها مسيس بجوهرِ النَّص القرُآنيّ وصميمِهِ ما يأتي.

أَوَّلًا: النِّظامُ اللُّغويُّ

لا ريبَ أَن اللُّغة عبارةٌ عن نظامٍ يَشْتَمِل مجموعة من العناصر تشكلها كهيأةً واحدة[1]، وقد بينَّ تمام حسَّان هذا النِّظام قائلاً: «فاللُّغة متعدِّدة الأَنظمة، فلها نظامها الصَّرفيّ الَّذي لا تتعارض فيه صيغة مع صيغة، ولها نظامها النحويّ الذي لا يتعارض فيه باب مع باب، ولها بعد ذلك نظام للمقاطع ونظام للنَّبر ونظام للتنغيم» فهي منظومة من النَّظم» على حدّ تعبير بعضهم، ويؤدّي كُلّ نظام منها وظيفة بالتعاون مع النَّظم الأخرى»[2].

(١) يُنظر: فهوم النِّظام اللُّغوي عند تمام حسان، قراءة في كتابي «مناهج البحث في اللغة» و«اللغة العربية معناها ومبناها»، أ.م. محمد بودية، العدد الأول، ديسمبر ٢٠١٣: ١٧٥.

(٢) يُنظر: مناهج البحث في اللُّغة: ٢٩.

والمُراد بالنِّظام اللُّغويّ مجموعة الدِّراسات المتعلِّقة بدراسة النُّصوص الأدبيَّة بدأ من أصغر وحدة لغوية فيها صعودًا إلى أكبر وحدة لُغويّة بِدْءًا من الصَّوت ثم الصَّرف ثم النَّحو ثُم العلاقات الدَّلاليَّة.

١. الجَانِبُ الصَّوتيُّ:

وهو الجانبُ الَّذي يُعْنَى بدراسةِ الأَصوات اللُّغويَّة في النَّص المُراد بيانه من جهةِ صِفَات الحروف ومخارجها وما يطرأ عليها من علاقات صوتيَّة كالإِعلال والإِبدال والإدغام والإمالة وما إلى ذلك.

وتَظهر في القرآن العظيم مظهر الانتخاب السّماويّ الصّوتيّ للنُّصوص المقدسة ليتناسب مع السِّياق القرآنيّ وهذا الانتخاب والتّناسب يسمَّى بـ(الإعجاز الصَّوتيّ) الَّذي يمكن أن نعرّفه بأَنَّه مجيء القرآن على هيأة خاصة من جهة البناء الصّوتيّ سواء أَكانت كلمات أو جملًا أو آيات أو على المستوى الموسيقيّ أو الايقاعيّ في النّصوصّ القرآنيّة ومدى التّناسق بين الصَّوت والنَّص والسِّياق من كمعانٍ ومقاصد تقصد إليها السُّور المباركة على نحو من المطابقة الإعجازيّة الّتي يعجز البشر عن الإتيان بمثلها لما تحمله السّور من مناسبة بين الصّوت ومعاني الكلام[١].

ولعلَّ أبرز سمات الإعجاز الصَّوتيّ انتقاء الصَّوت المناسب الَّذي يُعبر عن الدَّلالة المرجوة منه فالنَّصّ القرآنيّ يستعمل الصّوت بما يناسب الحدث والواقعة وهذه الأصوات منتقاة ومنتخبة سماويًّا لتواكب النَّصّ السماويّ[٢]، والَّذي نريد تبيانه علاقة هذا التَّناسب الصوتيّ بين الألفاظ والمعاني لبيانِ كلام الله وهو من الملامح البيانيَّة التي اهتم بها القُدماء، وما يهمنا في تظهير هذا الجانب في سورة الصَّافات المباركة الوقوف على الفاصلة القرآنيَّة: الَّتي عرَّفها الرّمانيّ بأنَّها: «الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع

(١) يُنظر: عبد الحميد هنداويّ، الإعجاز الصّوتيّ في القرآن الكريم،١٣.

(٢) يُنظر: سيروان عبد الزَّهرة الجنابّي، تأريخ القرآن وعلومه، ٦٤.

توجب حسن إفهام المعاني»[١] وبيَّنها الزَّركشّي بقوله: «الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشِّعر وقرينة السَّجع»[٢]، فموقع الفاصلة آخر الآية فيها تشاكل في الحروف والمقاطع لها دور في تحسين المعنى ولها أثر أيضًا في استراحة الكلام وتقارن بالقافية في الشِّعر والسَّجع معًا[٣].

جاءت الفواصل القُرآنيّة في هذه السُّورة بـ(الألف الممدودة) في قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾[٤] فالألف في المقاطع الصَّوتية (فا، را، را) من أوضح الحروف سمعًا وإنَّ آلية نطق الألف من حركة الفك إلى الأعلى يوحي إلى العلو متناسب مع العوالم العُلويَّة للملائكة موضوع الحدث ووفرت الفاصلة المدود بالألف نظمًا نغميًّا ينسجم مع الامتداد الصَّوتيّ يوحي بالامتداد المكانيّ والزَّمانيّ للوحدات اللُّغويّة يَعْمل على تنشيط العقل[٥]، وجاءت الفاصلة بحروف القلقة الدال ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ﴾[٦] والقاف ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾[٧] وحرف الباء ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٖ ٱلۡكَوَاكِبِ﴾[٨] ولابدَّ من الإشارة إلى تنوين ﴿بِزِينَةٖ﴾ الَّذي يدل على التَّعظيم والتَّفخيم وجاءت اللّفظة نكرة للتنوع والتَّعدد فزين الله تعالى متعددة متلوّنة مختلفة وقطعت الإضافة فجاءت الكواكب مجرورة بوصفها بدلًا من باب بدل الجزء من الكل وهنا يظهر الإعجاز الخلاب السَّاحر في النَّص المبارك بلحاظ المحسنات الصَّوتية والصَّرفيَّة من التَّنوين

(١) ثلاث رسائل في الإعجاز (النّكت في إعجاز القرآن):٨٩.
(٢) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٥٣.
(٣) يُنظر: محمَّد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ٢٩.
(٤) سورة الصافات: ١-٣.
(٥) يُنظر: سورة الصَّافَّات دراسة أسلوبية(رسالة ماجستير)، عدالة مصطفى موسى السَّالم، ٢٠٠٧م: ٤٧، ٧٦.
(٦) سورة الصافات: ٤.
(٧) سورة الصافات: ٥.
(٨) سورة الصافات: ٦.

والنَّكرة[1]، والدَّال ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾[2] فلهذه الحروف آثار في انسياب الدَّلالة وتمازج في المعاني فـ(حروف القلقة) تصوير يُسهم في انسياب التَّعبير وتناسق الأَحداث عند السَّامع[3].

وفاصلة حرف النُّون في أغلب فواصل آيات سورة الصَّافات وقد انتهت هذه السُّورة بهذه الفاصلة ولاسيما في الآيات الأخيرات من هذه السورة ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُواْ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4] والمقاطع الصَّوتية الممدوة التي تعطي دلالة الإيقاع الصوتي في النَّصّ القُرآنيّ من أجل تحقيق إيقاع صوتي متناسب مع قصر الآيات والمقطع الصوتي وتساعد في بيان سرعة الحدث ولاسيما الجزاء والرَّحمة[5].

٢. الجانبُ الصَّرفيُّ:

هو الجانبُ الَّذي يُعنى بدراسةِ الكلمة وبِنيتها وما يطرأُ عليها من زيادة وحذف وإِدغام وما إِلى ذلك وسنقف على بعض القضايا المتعلقة بهذا الجانب.

(١) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعيّ: ١٩٣.
(٢) سورة الصافات: ٥.
(٣) ينظر: سورة الصَّافَّات دراسة أسلوبية(رسالة ماجستير): ٣١.
(٤) سورة الصافات: ١٦٥-١٨٢.
(٥) يُنظر: المصدر نفسه: ٦٤.

ولاسيما المشتقات كالمصادرِ نحوَ(صفًّا- زجرًا- ذكرًا) في الآياتِ المباركةِ: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾[١] الدَّالة على الحدثِ واستمرارِه دُون الزَّمن[٢] بمعنى أنَّها:ملازمة للصُّفوفِ وملازمة للزَّجر وملازمة للذِّكر[٣]، ومصدر المرَّةفي قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ﴾[٤]، فالزَّجْرَة على وزن (فَعْلَة) بمعنى: الصَّيحة الَّتي تَبْعَثُ الموتى من قبورِهم وتَحُثُّهم على القيام والحضور في موقف القِيام وتؤدى هذه الصَّيحة مرَّة واحدة[٥]، وكذلك مُصْدر المرَّة نَظْرَةً في قوله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ﴾[٦] الدَّال على القِيام بالفعل مرَّة واحدة[٧]، والمصدر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾[٨] (الْبَلاءُ) المُرَاد بِهِ الاختبار المُسْتَمِرُ غير المنقطع وأَمارة ذلك وصفه بالمُبِيْن[٩] ونبصر بأسماء الفاعلين المُتكوثرة في هذه السُّورة المُباركة (الصَّافَّات – الزَّاجِرَات – التَّالِيَات (مَارِد) وَاصِب – ثَاقِب (لازِبٍ – دَاخِرُونَ) طَاغِينَ..) الدَّالة على التَّلبس بالفعلِ ففي قوله: ﴿إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ﴾[١٠] قال محمَّد الطَّاهر بن عاشور: «لَذائِقُوا الْعَذابِ لِأنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ حَقِيقَةٌ فِي الْحَالِ، أَيْ حَالِ التَّلَبُّسِ، فَإِنَّهُ لَمَّا قِيلَ لَهُمْ هَذَا كَانُوا مُشْرِفِينَ عَلَى الْوُقُوعِ

(١) سورة الصافات: ١-٣.
(٢) يُنظر: اللُّمع في العربيّة، ابن جني: ٤٨.
(٣) يُنظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٧/ ١٢٠-١٢١.
(٤) سورة الصافات: ١٩.
(٥) يُنظر: مفاتيح الغيب: ٢٦/ ٣٢٧. والمهذّب في علم التَّصريف، د.صلاح مهدي الفرطوسي، د.هاشم طه شلاش:٢٧٨.
(٦) سورة الصافات: ٨٨.
(٧) يُنظر: التَّطبيقُ الصرَّفي، د.عبده الراجحيّ:٧٣.
(٨) سورة الصافات: ١٠٦.
(٩) يُنظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسّي:١٢/ ١٢٦.
(١٠) سورة الصافات: ٣٨.

فِي الْعَذَابِ وَذَلِكَ زَمَنُ حَالٍ فِي الْعُرْفِ الْعَرَبِيِّ»[1]، ونَلمحُ الصِّفة المشبهة نحو قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[2] وسَلِيم: «صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ مُشْتَقَّةٌ مِنَ السَّلاَمَةِ وَهِيَ الْخَلاَصُ مِنَ الْعِلَلِ وَالْأَدْوَاءِ لِأَنَّهُ لَمَّا ذُكِرَ الْقَلْبُ ظَهَرَ أَنَّ السَّلاَمَةَ سَلاَمَتُهُ مِمَّا تُصَابُ بِهِ الْقُلُوبُ مِنْ أَدْوَائِهَا»[3]، وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾[4] وَالسَّقِيمُ: «صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ وَهُوَ الْمَرِيضُ كَمَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[5]. يُقَالُ: سَقِمَ بِوَزْنِ مَرِضَ، وَمَصْدَرُهُ السَّقَمُ بِالتَّحْرِيكِ، فَيُقَالُ: سِقَامٌ وَسُقْمٌ بِوَزْنِ قُفْلٍ»[6].

أَما فيما يتعلّق بمعاني الصِّيغ الصَّرفيَّة للأفعال فتتجلَّى معاني أَبنية الأَفعالِ الْمُجرَّدة المزيدة ومن هذه الأفعال صيغة فَعَّل للدَّلالة على الْمُبالغة والكَثْرة[7]، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾[8] جاء الفعل زَيَّن للدَّالة على الْمُبالغة في التَّزين والكثرة.

وتَستبينُ معاني الأبنية الصَّرفية للأَفعالِ المَزيدة بثلاثة أَحْرف في قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾[9] فالاستسخار شدة السُّخريّة والهزل فالسِّين والتَّاء للمبالغة أَي: يتعاظمون ويتكلفون السُّخريّة والاستهزاء وفي قوله تعالى: انهم كانوا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[10] قال محمَّد الطاهر بن عاشور: «وَالِاسْتِكْبَارُ: شِدَّةُ الْكِبْرِ، فَالسِّينُ وَالتَّاءُ لِلْمُبَالَغَةِ، أَيْ يَتَعَاظَمُونَ عَنْ أَنْ يَقْبَلُوا ذَلِكَ مِنْ رَجُلٍ مِثْلِهِمْ،

(١) التَّحرير والتَّنوير: ٢٣/ ١٣٧.
(٢) سورة الصافات: ٨٤.
(٣) المصدر نفسه: الصَّحيفة نفسها.
(٤) سورة الصافات: ٨٩.
(٥) سورة الصافات: ٨٤.
(٦) المصدر نفسه: ٢٣/ ١٤٢.
(٧) ينظر: المهذّب في علم التَّصريف: ٨٠.
(٨) سورة الصافات: ٦.
(٩) سورة الصافات: ١٤.
(١٠) سورة الصافات: ٣٥.

وَلَكَ أَنْ تَجْعَلَ السِّينَ وَالتَّاءَ لِلطَّلَبِ، أَيْ إِظْهَارِ التَّكَبُّرِ، أَيْ يَبْدُو عَلَيْهِمُ التَّكَبُّرُ وَالِاشْمِئْزَازُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ»[١١]. وفي قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴾[١٢] فلفظة المُستَبين مزيدة: «فَالسِّينُ وَالتَّاءُ لِلْمُبَالَغَةِ يُقَالُ: اسْتَبَانَ الشَّيْءُ إِذَا ظَهَرَ ظُهُورًا شَدِيدًا»[١٣].

٣. الجانبُ النَّحويُّ:

وهو الجانِبُ الَّذي يُعنى بِدراسةِ الجملة العربية وما يطرأُ على أَجزائها من علاماتِ الإِعراب والبناء وكذلك دراسة ما يطرأ على ركنيها الرَّئيسين ومتعلقاتها من تقديم وتأخير وحذف فضلًا عن ذلك دراسة الظَّواهر الأسلوبية كالتَّعجب والاستفهام والوجوه الإِعرابيَّة وغيرها.

ولما كانت مباحث هذا الجانب كثيرة متنوعة سننتخبُ قسمًا منها رغبة في الإيجاز والاقتصاد:

أ- دلالةُ حروفِ المَعانِي:

لا خلافَ في أَنَّ الحرف كلمة لا تعطي معنى إِلَّا مع غيره، فوضع الحرف: «مطلقًا هو دلالتُهُ على معنى في غيرِهِ، ولا يِسْتقلُ بنفسِهِ في الدَّلالة»[١٤]، وحدَّد ابن فارس تعريفًا للحرف أَقرب ما قِيل في تعريفِه هو «ما قاله سيبويه: إِنَّه الذي يفيد معنى ليس في اسم ولا فعل نحو قولنا: زيد منطلق. ثم نقول: هل زيد منطلق؟ فأخذنا بـ(هَلْ) ما لم يكن في(زيد) ولا(منطلق)»[١٥].

وقال الرَّضيُّ الاستراباذيّ (ت٦٨٦هـ): «فالحرف وحده لا معنى له أَصلا، إذ هو

(١١) التَّحرير والتَّنوير: ٢٣/ ٩٨.

(١٢) سورة الصافات: ١١٧.

(١٣) المصدر نفسه: ٢٣/ ١٠٧.

(١٤) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلويّ: ٢/ ٣٠.

(١٥) الصَّاحبي في فِقه العربيَّة ومَسائِلُها وسُنن العرب في كلامها: ٥٠. وينظر:الكِتاب، سيبويه: ١/ ١٢.

كالعَلَم المنصوب بجنب شيءٍ؛ ليدل على أَنَّ في ذلك الشي فائدة. فإذا انفرد عن ذلك الشَّيء بَقِي غير دالّ على معنى أَصلاً»[١]، عليه فإن الحرف كلمةٌ تدلُّ على معنى في غيره لا في ذاته وتُفهم دَلالة الحرف ومعناهُ من خلال ما يتصل به أَو من خلال السِّياق أَو مجموعة القَرائِن[٢].

فمثلًا دلالة اللَّامين في قوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[٣] فهما موضُعانِ:«للقسم وهو يدل على كمال العناية بنداءِ نوح وإِجابته تعالى، وقد مدح تعالى نفسه في إجابته فإن التَّقدير فلنعم المجيبون نحن، وجمع المجيب لإفادة التَّعظيم»[٤]. فتكرار اللَّام فضلًا عن دلاليتها على القسم فاللَّام الثانية فيها دلالة التَّوكيد ولُطف الإجابة ولاسيما أَنها دخل على التَّركيب المدحيّ المؤلف من نعمة وفاعلها فهو توكيد على توكيد ومدح على مدح في الإجابة والعناية بقبول الدُّعاء.

واختُلِفَ في دَلالة (ما) في قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[٥]، بيَن أن تكون مصدرية أم موصولة ورجَّحَ الطُّوسيّ أَنْ تكون موصولةً: «لا يخلو من أن تكون بمعنى (الذي) أو تقع مع بعدها بمنزلة المصدر، فان كانت بمعنى (الذي) فـ(تعملون) صلتها، ولابد لها من عائد يعود إليها، فليس لهم أن يقدروا فيها ضميرا لها ليصح ما قالوه، لان لنا أن نقدر ضميرا فيه فيصح ما نقوله، ويكون التقدير: وما يعملون فيه، والذي يعملون فيه هي الأجسام وإن كانت مصدرية فإنه يكون تقديره: والله خلقكم وعملكم، ونفس العمل يعبر به عن المعمول فيه بل لا يفهم في العرف إلا ذلك، يقال: فلان يعمل الخوص، وفلان يعمل السروج، وهذا الباب من عمل النجار، والخاتم

(١) شرح الرَّضي على الكافية: ١/ ٣٧.
(٢) يُنظر: من جمالة الكلمة،د.حسن جمعة: ٢٢.
(٣) سورة الصافات: ٧٥.
(٤) الميزان في تفسير القرآن:١٧/ ١٤٥.
(٥) سورة الصافات: ٩٦.

من عمل الصانع، ويريدون بذلك كله ما يعملون فيه، فعلى هذا تكون الأوثان عملا لهم بما يحدثون فيها من النحت والنجر، على أنه تعالى أضاف العمل إليهم بقوله ﴿وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ فكيف يكون ما هو مضاف إليهم مضافا إلى الله تعالى وهل يكون ذلك إلا متناقضا»[1].

وذكرَ الزَّمخشريّ الوجهينِ لـ(ما) غير مرجحًا نوعها تحديدًا قال: «فإن قلت: اجعلها موصولة حتى لا يلزمني ما ألزمت، وأريد: وما تعملونه من أعمالكم. قلت: بل الإلزامان في عنقك لا يفكهما إلا الإذعان للحق، وذلك أنك وإن جعلتها موصولة، فإنك في إرادتك بها العمل غير محتج على المشركين، كحالك وقد جعلتها مصدرية، وأيضا فإنك قاطع بذلك الصلة بين ما تعملون وما تنحتون، حيث تخالف بين المرادين بهما، فتريد بما تنحتون: الأعيان التي هي الأصنام، وبما تعملون: المعاني التي هي الأعمال»[2].

وقال ابن عاشور: «وَمَا مَوْصُولَةٌ وتَعْمَلُونَ صِلَةُ الْمَوْصُولِ، وَالرَّابِطُ مَحْذُوفٌ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْكَثِيرَةِ، أَيْ وَمَا تَعْمَلُونَهَا»[3].

ومن ذلك دَلالة فاء العطف في قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾[4] الَّتي تدلّ على الترَّتيب التَّعقيبيّ في سرد الصِّفات وتدرجها في القوة قال الزَّمخشريّ: «إن قلت: فعلى أي هذه القوانين هي فيما أنت بصدده؟ قلت: إن وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل، وإن ثلثته، فهي للدلالة على ترتب الموصوفات فيه، بيان ذلك: أنك إذا أجريت هذه الأوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين لها، فعطفها بالفاء يفيد ترتبا لها في الفضل: إما إن يكون

(١) التبيان في تفسير القرآن: ٨/ ٥١٤.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٤/ ٥٢.

(٣) التَّحرير والتَّنوير: ٢٣/ ١٤٥.

(٤) سورة الصافات: ١-٣.

الفضل للصف ثم للزّجر ثم للتّلاوة، وإما على العكس، وكذلك إن أردت العلماء وقواد الغزاة. وإن أجريت الصفة الأولى على طوائف والثانية والثالثة على أخر، فقد أفادت ترتب الموصوفات في الفضل، أعنى أن الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات أفضل، والتاليات أبهر فضلا، أو على العكس»[١].

ب- الأَساليبُ النَّحويَّةُ:

أوَّلًا: القسم:

من أَساليب المنظومة النَّحويَّة المؤكدة للكلام هو أُسلوب القَسم وبيَّن سيبويه (ت١٨٠هـ) فائدة هذا الأُسلوب إِذ قال: «اعلم أَنَّ القسمَ توكيدٌ لكلامِكَ»[٢]، وعُرِّفَ هذا الأُسلوب بأَنَّه: «يَمِين يُقسِم بهَا الْحَالِف ليؤكد بهَا شَيْئا يُخبر عَنهُ من إِيجَاب أَو جحد وَهُوَ جملَة يُؤَكد بهَا جملَة أُخْرَى فالجملة المؤكَّدة هِيَ الْمُقْسَم عَلَيْهِ وَالْجُمْلَة المؤكِّدة هِيَ القسَم وَالِاسْم الَّذِي يدْخل عَلَيْهِ حرف القسَم هُوَ الْمُقْسَم بِهِ»[٣]، وللقسم حروف تتَّصِل بالْمُقسم به أَشهرها: الواو والتَّاء والباء وغيرها ممَّا استعمله العرب[٤].

قال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا﴾[٥] افتتحتْ هذه السُّورة المباركة بأُسلوب القسم وتُعدُّ سورة الصَّافَّات أَوَّل سورة في القرآن صُدرت بالقسمِ المليءُ بالمعاني والمثير للتَّفكر، فالقسم الَّذي يَجُوب بفكرِ الإِنسان في جوانب مختلفة من هذا العالم، ويجعله مُتهيئًا لتقبل الحقائق والافتتاح بِالْقَسَمِ فيه تشويقٌ للسَّامع وبهذا تكون فاتِحة السُّورة قَدِ اسْتُكْمِلَتْ أَحْسَنَ وُجُوهِ الْبَيَان وأكملها[٦].

(١) الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:٤/ ٣٤.

(٢) الكِتاب: ٣/ ١٠٤.

(٣) المخصص، ابن سيده: ٤/ ٧١.

(٤) المصدر نفسه، الصَّحيفة نفسها.

(٥) سورة الصافات: ١.

(٦) يُنظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢١/ ١٩٥-١٩٦. والتَّحرير والتنوير:٢٣/ ٨٣.

ثَانيًا: الاستفهامُ:

هو «طلبُ الفَهم»[١] وعرَّفه التَّفتازانيّ (ت٧٩٢هـ) أنه «طلب حصول صورة الشيء في الذّهن فإن كانت تلك الصّورة وقوع النِّسبة بين الشَّيئين أو لا وقوعها فحصولها هو التَّصديق وإلا فهو التَّصور»[٢].

فالاستفهام حقيقته الفَهْم أَو طلب العلم بشيءٍ لَمْ يكُ معلومًا من قبلُ أَو معرفة شيء مجهول والاستفهام يؤدَّى بأَدوات تتصدرُ جملة الاستفهام[٣]، ويعدُّ من أَهم الأَساليب التَّواصليَّة والتَّبليغيَّة والحِجاجيَّة فإذا كانَ التَّواصلُ لا يَتم إلا استنادًا للتَّخاطب فالاستفهام يُجسدُ (دورة التَّخاطب) إذْ يتألَّفُ من مُرْسِل (مُخاطِب) ومُرسَل إليه(مُتلقٍّ) ورسالة (النَّص- الكلام)[٤].

وأَدواتُ الاستفهامِ اثنتا عشرة. قال أَبو البركاتِ الأَنباريّ (ت٥٧٧هـ): «إن قال قائل كم حروف الاستفهام؟ قيل: ثلاثة حروف(الهمزة، أم، هَلْ)، وما عدا هذه الثلاثة فأسماء وظروف أقيمت مقامها فالأسماء(منْ، وما، وكم، وكيف) والظروف (أين، وأنى، ومتى، وأي، وأيّان)»[٥]، وبينَّ عليّ بن سليمان الحيدرة (ت٥٩٩هـ) أَنَّ حكم هذه الأَدوات في نفسها أَنَّها «تقعُ كلُّها سؤالاً عن شيءٍ مجهول إذا كانتْ استفهاماً. وتقع تقريعاً وتوقيفاً وتقريراً من الله تعالى»[٦].

يتبيَّن أَنَّ الاستفهامَ في القُرآن الكريم الصَّادر من الله تعالى لا يُراد بِها معرفة شيءٍ مجهول بَلْ له دلالات بلاغيَّة أُخرى.

(١) الحدود في النَّحو: ٤٢.

(٢) المطول (شرح تلخيص مفتاح العلوم): ٤٠٩.

(٣) يُنظر:الأساليب النحوية: محسن عطية: ١٩.

(٤) يُنظر: أسلوب الإستفهام في الأحاديث النبوية: في رياض الصالحين دراسة نحوية بلاغية تداولية(رسالة ماجستير)،(ب. ت): عيدة ناغش: ٢٣.

(٥) أسرار العربية: ٣٨٥. وينظر: كشف المشكل في النحو: ٢/ ١٥١-١٥٣.

(٦) كشف المشكل في النحو: ٢/ ١٥٤.

وأَشار أَبُو حيان الأَندلسيّ إِلى هذا المعنى بقوله: «وكذلك أَكثر استفهامات القرآن الكريم؛ لأنها من عالم الغيب والشهادة وإنما استفهامه تعالى تقريع»[١]. وقال ابن هِشام (ت٧٦١هـ): «إذْ لا يكون الاستفهام منه على حقيقته»[٢].

وتجلَّى لنا في سورة الصَّافَّات مسألتين مهمتين في الاستفهام الأُولى: خروج الاستفهام عن الغرض الحقيقي وهو ديدن نظم القُرآن العَظيم وعادته في خروج أَغلب استعمالتِهِ عن المعاني الحقيقة كم أَشرنا فخرجَ الاستفهام بالهمزةِ في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾[٣] إِلى معنى التَّقرير قالَ الزَّمخشريُّ: «الهمزة وإن خرجت إلى معنى التقرير فهي بمعنى الاستفهام في أصلها، فلذلك قيل فَاسْتَفْتِهِمْ أي استخبرهم أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً ولم يقل: فقرّرهم، والضمير لمشركي مكة»[٤]، وفي قوله تعالى: ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ﴾[٥] بفتح الهمزة فالاستفهام خرج عن معناه الحقيقيّ إلى معنى الإنْكار والاستبعاد[٦].

والثَّانية: تلاحق الخِطاب الاستفهاميّ وتعقيبه إذ نلمحُ أَن الاستفهامات في هذه السورة المباركة جاءت متلاحقة متعاقبة وهو دليل على إقرار الدلالة المتحصلة من الإستفهام والتأكيد ففي قوله تعالى: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝١٦ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾[٧] أَفاد هذا التلاحق الاستفهاميّ الإنكاريّ أَفاد معنى الاستبعاد أو شدة استبعادهم للبعث من خلال التكرار في الاستفهام من لَدُن المشركين إذ استبعدوا

(١) البحر المحيط في التَّفسير: ٢/ ٤١٨.
(٢) مغني اللَّبيب عن كتب الأعاريب: ١٨.
(٣) سورة الصافات: ١١.
(٤) الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٤/ ٣٦-٣٧.
(٥) سورة الصافات: ١٥٣.
(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٤/ ٦٤.
(٧) سورة الصافات: ١٦-١٧.

البعث لهم ولأباءهم[١].

ثالِثًا: أُسلوب التَّقديم والتَّأخير:

يعدُّ هذا الأُسلوب من الأساليب العربية المهمة إذ أنَّه يكشف عن مقاصد بلاغيَّة لا نجدها في التَّركيب الاعتياديّ للجملة الفطريَّة فبهذا التَّركيب من (تقديم وتأخير) يُكتسبُ المُقدَّم صفات جديدة ويخسر المُقدَّم صفاته حين كان مؤخرًا وهذه الصفات الجديدة تُعطي التَّركيب في الجملة معاني جديدة من اهتمام وتنبيه وغيرها[٢].

ويَرى عبدُ القاهرِ الجُرجانيّ (ت٤٧١هـ): أَنَّ التَّقديمَ من الأَساليب البَلاغيَّة الرَّصينة لأَنَّ التَّقديمَ يدلُّ على العنايةِ به والاهتمام فضلًا عن ذلك تبيان الغاية من تقديمِه فأُسلوب التَّقديم والتَّأخير عنده عنصر من عناصر المعانيّ النَّحوية وسع دائرة المعنى في النَّحو ونقله من معرفة الصَّواب والخطأ في الجملة واللَّحن الإعرابيّ إلى مَفْهوم جديد يُسمَّى النَّحو البلاغيّ الَّذي يَكْشُف عن العلاقاتِ في ضَوءِ العلاقاتِ وهذا ما يُساعد مساعدةً كبيرةً على سلامةِ التَّركيبِ وانْكِشَاف المعنى[٣].

ففي قوله تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾[٤] ففي شبه الجملة {لِمِثْلِ} تقديم على العامل وفائدة هذا التَّقديم القَصر (قَصرُ القَلب) أي: لمثل هذا الفوز والثَّواب الَّذي سبق الإشارة لهو في الآية السابقة لهذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٥] فليعمل العاملون في دار التَّكليف وقيل هو قول الله عزّ وجل أو قول أهل الجنة والذي

(١) يُنظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٧/ ١٢٩-١٣٠.

(٢) يُنظر: من جمالة الكلمة: ١٨٢.

(٣) يُنظر: نظرية النَّظم عند العرب في ضوء مناهج التحليل اللسانّي الحديث(رسالة دكتوراه)، عبد الله منيف، ١٩٩١م: ١٢٢-١٢٣. وأُسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم على رأي عبدالقاهر الجرجانيّ(رسالة ماجستير)، محمد فواز عرسان غنام،١٩٩٣م: ٩-١٠.

(٤) سورة الصافات: ٦١.

(٥) سورة الصافات: ٦٠.

رجحه الطَّباطبائي أنه بمعنى لمثل هذا الفوز والثواب لا الوجهين الآنفين بدلالة السِّياق[1]، فدلالة تقديم شبه الجملة الجار والمجرور (لمثل) لأهمية المتقدم وتخصيصه بالمزية والحسن.

وفي قوله تعالى: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾[2] قُدِّمَ المَفعول به ﴿أَئِفْكًا﴾ على فعله للدَّلالة على معنى العِناية وهو ما فطنَ له الزَّمخشريّ بقوله: «أَإِفْكاً مفعول له، تقديره: أتريدون آلهة من دون الله إفكًا، وإنَّما قدّم المفعول على الفعل للعناية، وقدّم المفعول له على المفعول به، لأنه كان الأهمّ عنده أن يكافحهم بأنهم على إفك وباطل في شركهم. ويجوز أن يكون إفكا مفعولا، يعنى: أتريدون به إفكا»[3]، إذًا فالتَّقديم دالٌّ على الاهتمام بالمقدّم فأُريدَ الاهتمام بمعنى الإفك ولم يقدم الآلهة حتى لا يُعلي من شأنها ويرفع من قدرها.

رابعًا: عودُ الضَّميرِ:

يُصَنْفُ الضَّميرُ على أَنَّه أَعرفُ المعارف ووضِعَ للمُخَاطَب الحاضر أَو الغائب وهذا المخاطب إمَّا أَنْ يكونَ موجودًا في الجملة أو غير موجود فعائِديَّة الضَّمير تَرجِعُ للمخاطَب موجود أو محذوف من الجملة أَو مستحضرًا في وجوده ذِهنيًّا، ولهذا أَغراض بلاغيَّة تفهم من السِّياق والقرائِن أو بالتَّعين ومن هذه الأَغراض البلاغيَّة التَّشويق والاستعطاف والتَّأكيد والاستحضار في الذهن والاثبات وغيرها[4].

وتَكْتَسِبُ قَضِيةُ (عود الضَّمير) أَهميتها مِن كونِها تَكْشِفُ عَنْ المعانِي والدَّلالات ويَسْتَبِينُ فيها التَّماسك الدَّلاليّ في اختلاف -مرجعيَّة الضَّمير - الذي يُعتمدُ في معرفَتِهِ

(١) يُنظر: التَّحرير والتَّنوير: ٢٣/ ١٢٠. والميزان في تفسير القرآن: ١٧/ ١٣٩.
(٢) سورة الصافات: ٨٦.
(٣) الكَشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٤/ ٤٩.
(٤) يُنظر: من جمالة الكلمة: ١٤٤، ١٤٦، ١٤٩.

على فَهم النَّص وسبر أَغواره[١].

ففي قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾[٢] اختلف المفسرونَ في عود الضَّمير الهاء في (شِيعتِهِ) إلى من يعود هل هو عائدٌ إلى نوح عليه السلام أم للنَّبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله فذهب الفرَّاء إلى أنَّه يعود إلى النَّبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله قال: «إنّ من شيعة مُحَمَّد لإبراهيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. يقول: عَلى دينه ومنهاجه، فهو من شيعته، وإن كَانَ إِبْرَاهِيم سابقًا لَهُ. وهذا مثل قوله ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾[٣] أَيْ ذرية من (هُوَ منهم) فجعلها ذريتهم وقد سبقتهم»[٤].

وتابعه الطُّوسيّ إِذْ استدلَ بقولِ الفرَّاءِ نفسه على أَنَّ هذا الضَّمير ليسَ عائدًا إلى نوح عليه السلام قال:«فالشِّيعة الجماعة التَّابعة لرئيس لهم، وصاروا بالعرف عبارة عن شيعة علي عليه السلام الذين معه على أعدائه. وقيل من شيعة نوح إبراهيم يعني إنه على منهاجه وسنته في التوحيد والعدل واتباع الحق... قال الرُّمانيُّ: هذا لا يجوز، لأنه لم يجر لمحمد ذكر، فهو ترك الظَّاهر، وقد روي عن أَهل البيت (عليهم السلام) إِنَّ من شيعته عليّ لإِبراهيم. وهذا جائز إن صح الخبر المروي في هذا الباب، لان الكناية عمن لم يجر له ذكر جائزة إذا اقترن بذلك دليل، كما قال ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾[٥] ولم يجر للشمس ذكر ويكون المعنى انه على منهاجه وطريقته في اتباع الحق والعدول عن الباطل، وكان إبراهيم وعلي عليهما السلام بهذه المنزلة»[٦].

وأَيَّدَ الزَّمخشريُّ أن يكون الضَّمير عائدًا إلى نوح عليه السلام إذ قال: «مِنْ شِيعَتِهِ ممن شايعه على أصول الدين وإن اختلفت شرائعهما. أو شايعه على التصلب في دين الله

(١) يُنظر: البحث الدَّلاليّ عند السّيّد محمّد صادق الصَّدر(ت١٩٩٩م-١٤١٩هـ)، د. رحيم كريم الشرَّيفيَ: ٣٧١.
(٢) سورة الصافات: ٨٣.
(٣) سورة يس: ٤١.
(٤) معاني القرآن: ٢/ ٣٨٨.
(٥) سورة ص: ٣٢.
(٦) التبيان في تفسير القرآن: ٨/ ٥٠٧-٥٠٨.

ومصابرة المكذبين. ويجوز أن يكون بين شريعتيهما اتفاق في أكثر الأشياء»[1] ووافقهُ الرَّازيّ إذْ قال: «الْأَظْهَرُ أَنَّهُ عَائِدٌ إِلَى نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْ مِنْ شِيعَةِ نُوحٍ أَيْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَعَلَى دِينِهِ وَمِنْهَاجِهِ لِإِبْرَاهِيمَ... لِأَنَّهُ تَقَدَّمَ ذِكْرُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَمْ يَتَقَدَّمْ ذِكْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَوْدُ الضَّمِيرِ إِلَى نُوحٍ أَوْلَى»[2].

وخلاصَّة القَولينِ، الأوَّل: أَنَّ الضَّمير عائدٌ إلى النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله واستدلوا على ذلكَ بوجود آيات مشابهة في القُرآن الكريم في غير سورة الصَّافَّات جاء فيها ضمير لم يعدّ على مذكور في السُّورة مثل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾[3] فالفاعل هو الشَّمس في الفعل توارتْ ولم يكن له ذكر.

أمَّا القول الثَّاني: إِنَّ الضَّميرَ عائدٌ إِلى نوح عليه السلام بدليلِ ذكره قبل هذه الآية فالضَّمير عاد لأقرب نبي ذكر في السُّورة المباركة وهو نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[4] وهو الرَّأي الذي أميلُ إليه ؛لأَنَّ السِّياقَ دليل على ترجيح هذا القول وفي هذا المعنى أَشار الطَّباطبائيّ: «وظاهر السياق أن ضمير (شيعته) لنوح أي إن إبراهيم كان ممن يوافقه في دينه وهو دين التوحيد، وقيل: الضمير لمحمَّد صلى الله عليه وآله ولا دليل عليه من جهة اللفظ. قيل: ومن حسن الارداف في نظم الآيات تعقيب قصة نوح عليه السلاموهو آدم الثاني أبو البشر بقصة إبراهيم عليه السلام وهو أبو الأنبياء إليه تنتهي أنساب جل الأنبياء»[5].

خَامِسًا: أُسلوب المَدح والذَّم: يُمثِّل هذا الأُسلوب سبيكة لُغويَّة قياسيَّة مؤلّفة من فعل المدّح والفاعل والمخصوص ويأتي بها للدلالة على المبالغة في المدح والبلوغ به

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٤/ ٤٨.
(٢) مفاتيح الغيب: ٢٦/ ٣٤٠.
(٣) سورة ص: ٣٢.
(٤) سورة الصافات: ٧٩.
(٥) الميزان في تفسير القرآن: ١٧/ ١٤٧.

لأعلى درجات المدح والإطراء وأعلى درجات الذَّم والسُّخريّة في الذّم وهذا الأسلوب في ضوء الاستقراء في القُرآن الكريم أَنَّه جاء في خواتم الآيات القُرآنيّة[1].

ففي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴾[2] يظهر أسلوب المدح في هذا النَّص جليًّا في ﴿ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴾ دالًا على حسن الإجابةِ والتَّعظيم لمن ينادى الله عزّ وجل قال الزَّمخشريّ: «لما ذكر إرسال المنذرين في الأمم الخالية وسوء عاقبة المنذرين، أتبع ذلك ذكر نوح عليه السلام ودعائه إياه حين أيس من قومه، واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف، والمخصوص بالمدح محذوف تقديره: فو الله لنعم المجيبون نحن، والجمع دليل العظمة والكبرياء. والمعنى: إنا أجبناه أحسن الإجابة، وأوصلها إلى مراده وبغيته من نصرته على أعدائه والانتقام منهم بأبلغ ما يكون هُمُ الْباقِينَ هم الذين بقوا وحدهم وقد فنى غيرهم، فقد روى أنه مات كل من كان معه في السفينة غير ولده... ثم علل كونه محسنا بأنه كان عبدا مؤمنا، ليريك جلالة محل الإيمان، وأنه القصارى من صفات المدح والتعظيم، ويرغبك في تحصيله والازدياد منه»[3]،على هذا فإِنَّ هذا الأُسلوب بدلالتهِ البلاغيَّة يجب للمتلقِّي الزِّيادة في طلب التَّحصيل ونداء الله تعالى وغالبًا ما يمثل هذا الأُسلوب نهاية الحدث إن خيرًا وإن شرًا فإن نوحًا عليه السلام عانى ما عانى من قومه إلى أن دعا الله تعالى في قومه فاستجاب له الله تعالى خير استجابة وهذه الاستجابة كانت نهاية قِصة النبيّ وتجملت هذه القِصَّة بهذا الأسلوب اللُّغويّ.

(١) ينظر: نسقية خطاب الذم والمدح في القرآن الكريم دراسة حجاجية (بحث مخطوط)، د. رحيم كريم الشريفي-م. حسين جعفر.

(٢) سورة الصافات: ٧٥.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٤/ ٤٨.

ت- تَعددُ الوجوه الإعرابيَّة:

إنَّ طبيعةَ اللُّغة العربيَّة ومطاوعتها وامكانيتها في التَّعبير الواسع أَفْضت إلى انْتِشَار ظاهرة تقليب الكلام وتعدّد الأوجه الإعرابيَّة، فتعدّد احتمال الوجوه في الإعراب في الأُسلوب الواحد ظاهرة تدلُّ على ذكاء العرب في التَّعبير والفَهم[1]، وعللت هذه الظاهرة برجوعها إلى نظريَّة العامل النَّحويّ - الَّتي تمثِّل العمود الفقري في النَّحو العربيّ واعتماده على ظاهرة التَّأويل والتَّقدير والتَّخريج والاستنباط الَّتي صارت ضرورة[2].

ولما كان لتعدد الوجوه الإعرابية استحصالٌ للمعاني أعتنى به المفسرون البيانيونَ ونُبصر في سورة الصَّافَّات كمًا من الألفاظ التي احتملت أكثر من معنى وسأقف على مثال منها لبيان المقَصد ففي قوله تعالى: ﴿ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾[3] تحتمل كلمة ﴿ دُحُورًا ﴾ وجهينِ إعرابين الأَوَّل: أن تكون مفعولًا له والثَّاني: أن تكون حالًا ولكل وجه معنى فالوجه الأول يدلُّ على معنى الطَّرد بتقدير الجملة: ويقذفون للدُّحور في الآية التي سبقتها ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴾[4] والمعنى الثَّاني إن اعتمد الوجه الإعرابيّ الثّاني فتكون: مدحورينَ على الحال بمعنى القذف، قال الزَّمخشريّ: «دُحُوراً مفعول له، أي: ويقذفون للدحور وهو الطرد، أو مدحورين على الحال. أو لأنّ القذف والطرد متقاربان في المعنى، فكأنه قيل: يدحرون أو قذفا»[5].

٤. دَلالاتُ الأَلفاظِ:

من أَجلِ الوقوف على المعنى المُراد بقدر الطَّاقة البشريَّة على فَهْم كلام الله عزّ وجل كان لابُدَّ من تبيان دَلالات الأَلفاظ الَّتي يرى المشتغل بعلم التَّفسير لزوم الوقوف عليها

(١) يُنظر: من قضايا اللغة والنحو،الأستاذ علي النجدي ناصف: ٨٤.

(٢) يُنظر: العلامة الإعرابية، محمد حماسة: ١٩٨.

(٣) سورة الصافات: ٩.

(٤) سورة الصافات: ٨.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٤/ ٣٦.

لأَسباب منها أَنَّ الوضع الدَّلالي للألفاظ عند القدماءِ يَهْتمّ بالدَّلالة اللَّفظ على أَنَّه معنى علميّ مجرّد أَما ما اعتمده الدَّرس اللِّسانيّ الحديث الذي كان له تأثير في نشأة المناهج التَّفسريَّة الحديثة يتجه نحو الاهتمام بدَّلالة اللَّفظ باعتباراتٍ مختلفةٍ، فاللَّفظ في المناهج اللِّسانيَّة الحديثة يتنوعُ مع التَّنوع العلميّ من هذا ظهرت ظاهرة الاهتمام بثنائيَّة الدَّلالة (الدَّال- المدلول) وما يحملان من علاقة تواصليَّة بين الباعث والمتقبل فأَصبحت الدَّلالة عاملًا ضروريًّا لإيضاح المعنى[١].

والنَّاظر في بيانات المفسرين لسورة الصَّافَّات يَرى جليًّا توظيف هذه التِّقنية لتبيان المعنى كاملًا والاستفادة منه لتكامل خطوات المنهج البيانيّ وما يَهْدف لهو من توظيف الآليات جميعها؛ لكشف المُراد الإلهيّ في النَّصّ المقدَّس ففي قوله تعالى: ﴿ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾[٢] فاللَّفظة يهَرعون في النَّصّ المبارك بمعنى الإسراع مع الفَزع والإرتعاد ويقال للرَّجل الجبان الهَرِع ويُقال للمجنون مَهْروع[٣]، وقال الرَّاغب الأَصْفَهَانِيّ:«هَرِعَ وأَهْرَعَ: ساقه سوقًا بعنف وتخويف. قال الله تعالى: ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ﴾[٤] وهَرَعَ برمحه فتَهَرَّعَ: إذا أشرعه سريعا، والهَرِعُ: السرّيع المشي والبكاء»[٥]، وبينَّ الزَّمخشريّ دلالة لفظة (يهرعون) بقوله: «والإهراع: الإسراع الشَّديد، كأنهم يحثون حثا. وقيل: إسراع فيه شبه بالرعدة»[٦]، فالدَّلالة الهرع الإسراع هي المعنى العلميّ المجرد أما في الآية المباركة فقد تحدَّد هذا الإسراع بصفة أخرى الإسراع مع الخوف والرَّعدة وقال أَبو حيان الأَندلسيّ: «يُهْرَعُونَ أَيْ: يُسْرِعُونَ، كَمَا يَدْفَعُونَ دَفْعًا

(١) ينظر: علم الدَّلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، عنقور عبد الجليل: ٢٢-٢٤.
(٢) سورة الصافات: ٧٠.
(٣) يُنظر: تهذيب اللُّغة: ١/ ١٠١، مادة(هرع).
(٤) سورة هود: ٧٨.
(٥) مفردات ألفاظ القرآن: ٨٤٠، مادة(هرع).
(٦) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٤/ ٤٩.

فِعْلَ الطَّامِعِ الْخَائِفِ فَوْتَ مَا يَطْلُبُهُ»[1].

وفي قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾[2] فدلالة الكأس بمعنى الزُّجاجة مادام فيها شرابٌ وقيل الكأس الشَّراب نفسه ولا يسمَّى الكأس كأسًا إلَّا وفيها الشَّراب فإذا لم يكن فيها شراب فهي قَدحٌ وهو الإناء المَملوءة بالمشروب باختلافِ أَنواعها[3]، قالَ ابنُ عطيَّة: « و«الكأس» قال الزَّجاج والطَّبريّ وغيرهما: هو الإناء الذي فيه خمر أو ما يجري مجراه من الأنبذة ونحوها، ولا تسمى كأسا إلا وفيها هذا المشروب المذكور، وقال الضحاك: كل كأس في القرآن فهو خمر، وذهب بعض الناس إلى أن الكأس آنية مخصوصة في الأواني وهو كل ما اتّسَع فمه ولم يكن له مِقبض، ولا يراعى في ذلك كونه بخمر أم لا»[4]، ووقفَ ابن عاشور على هذه اللَّفظة ودلالتها طويلًا قال:«وَالْكَأْسُ (بِهَمْزَةٍ بَعْدَ الْكَافِ): إِنَاءُ الْخَمْرِ، مُؤَنَّثٌ، وَهِيَ إِنَاءٌ بِلَا عُرْوَةٍ وَلَا أُنْبُوبٍ وَاسِعَةُ الْفَمِ، أَيْ مَحَلُّ الصَّبِّ مِنْهَا، تَكُونُ مِنْ فِضَّةٍ وَمِنْ ذَهَبٍ وَمِنْ خَزَفٍ وَمِنْ زُجَاجٍ، وَتُسَمَّى قَدَحًا وَهُوَ مُذَكَّرٌ. وَجَمْعُ كأس: كاسات وكؤوس وَأَكْؤُسٌ. وَكَانَتْ خَاصَّةً بِسَقْيِ الْخَمْرِ حَتَّى كَانَتِ الْكَأْسُ مِنْ أَسْمَاءِ الْخَمْرِ تَسْمِيَةً بِاسْمِ الْمَحَلِّ، وَجَعَلُوا مِنْهُ قَوْلَ الْأَعْشَى:

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ ... وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

وَقَدْ قِيلَ: لَا يُسَمَّى ذَلِكَ الْإِنَاءُ كَأْسًا إِلَّا إِذَا كَانَتْ فِيهِ الْخَمْرُ وَإِلَّا فَهُوَ قَدَحٌ. وَالْمَعْنِيُّ بِهَا فِي الْآيَةِ الْخَمْرُ لِأَنَّهُ أَفْرَدَ الْكَأْسَ مَعَ أَنَّ الْمَطُوفَ عَلَيْهِمْ كَثِيرُونَ، وَلِأَنَّهَا وُصِفَتْ بِأَنَّهَا مِنْ مَعِينٍ. وَرَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالطَّبَرِيُّ عَنِ الضَّحَّاكِ أَنَّهُ قَالَ: كُلُّ كَأْسٍ فِي الْقُرْآنِ إِنَّمَا

(١) البحر المحيط في التفسير: ٦/ ١٨٦.

(٢) سورة الصافات: ٤٥.

(٣) يُنظر: لِسان العرب، ابن منظور: ٦/ ١٨٦، مادة(ك،أ،س)، والمعجم الوسيط: ٤٤٤، مادة(ك،أ،س).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤/ ٢٧١-٢٧٢.

عُنِيَ بِهَا الْخَمْرُ. وَرُوِيَ مِثْلُهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَالَ بِهِ الْأَخْفَشُ»[١].

ثَانِيًا: البلاغةُ (البيان – البَديع):

كانَ للبلاغةِ حضورٌ مهمٌ في الممارسة البيانيَّة في تفسير النَّصّ القُرآنيّ وقد أَشرنا من قبل إِلى أَقسامٍ لها علاقةٌ بعلمِ المعاني ودسسناها في النِّظام اللُّغويّ(الجانبُ النَّحويّ) من باب مزج النَّحو بالبلاغةِ وهو ما يُمكن أَنْ نطلقَ عليه النَّحو البلاغيّ[٢].

أَوَّلًا: عِلمُ البَيانِ:

أَما عِلم البيان: فهو «محاولة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه والنقصان بالدلالات الوضعية»[٣]، فالعلم الذي تؤدَّى فيه المعاني بصورٍ شتى هو عِلم البيان ومن الأقسام الخاصَّة به التي ظهرت في سورة الصَّافَّات التَّشبيه والاستعارة.

١ . التَّشبيهُ:

يعدُّ التَّشبيه من أَهم الآليات البلاغيَّة الَّذي يمثِّل: «العقد على أنّ أحد الشيئين يسدّ مسدّ الآخر في حسّ أو عقل»[٤] وبصورة أكثر إيضاحًا أَنَّ التَّشبيهَ هو: «صورة تقوم على تمثيل شيء (حسّي أو مجرّد) بشيء آخر (حسّي أو مجرّد) لاشتراكهما في صفة (حسّية أو مجرّدة) أو أكثر»[٥]، ويتطلب التَّشبيه في تركيبه أربعة أركان هي: المشبّه والمشبّه به ووجه الشَّبه وأداة الشبه[٦].

(١) التَّحرير والتَّنوير: ٢٣/ ١١٢.
(٢) يُنظر: نظرية النَّظم عند العرب في ضوء مناهج التحليل اللسانّي الحديث(رسالة دكتوراه): ١٢٢-١٢٣.
(٣) مفتاح العلوم، السَّكاكيّ: ٣٢٩.
(٤) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن(النُّكت في إعجاز القرآن): ٨٠.
(٥) علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، الدكتور محمّد أحمد قاسم والدكتور محيي الدين ديب: ١٤٣.
(٦) البلاغة والتَّطبيق: ٢٦٤.

ونلحظُ التَّشبيهَ في سورةِ الصَّافَّات في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝٦٤ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[1] فيرى الطُّوسيُّ أنَّ الله عزّ وجل شبّه شجرة (الزَّقوم) التي تنبت في جهنم برؤوس الشَّياطينِ التي لم يرها أحد قطّ فبذلك يكون في التَّشبيه غايات منها قبح صورة الشَّيطان في النَّفس فيطلق على الشيء المستقبح بأنه رأس الشَّيطان، والأخرى: أنه شبه برأس حية يسميها العرب شيطانًا وقال: «قد دل الله أنه يشوه خلق الشياطين في النار حتى لو رآهم راء من العباد لاستوحش منهم غاية الاستيحاش، فلذلك يشبه برؤوسهم»[2]،وأشار الزَّمخشريّ إلى أن التَّشبيه في هذه الآية المباركة تشبيه مُركَّز التَّناهي في الصِّفة والتَّصوير قال: «والطلع للنخلة، فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها: إما استعارة لفظية، أو معنوية، وشبه برؤُوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر، لأنّ الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس، لاعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير، فيقولون في القبيح الصورة: كأنه وجه شيطان، كأنه رأس شيطان»[3].

ويبدوُ لِي أَنَّ في النَّصِّ بيانًا عاليًا في التَّصوير يتجلَّى في رسمِ صورةٍ حسيَّةٍ مَلموسةٍ ؛كأَنَّها عرضٌ مسرحيٌّ تداوليّ يهزّ المشاهدينَ ويأثر في أبصارهم وبصائرهم.

وفي قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝١٧٤ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۝١٧٥ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۝١٧٦ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾[4] لمحَ الزَّمخشريُّ تصويرًا تشبيهًا على طريقةِ التَّمثيل والاستعراض التَّداوليّ الحسيّ المنظور عن طريق تمثيل العذاب النازل بجيش جرار عرمرم أغار على العدو بغتةً في الصَّباح والعدو في عز نومه واطمئنانه فتحول الاطمئنان إلى ذعر والسكينة إلى زعزعة بَلْ تحول الوجود إلى الهلاك

(١) الصافات: ٦٤-٦٥.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٨/ ٥٠٢-٥٠٣.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٤/ ٤٦.

(٤) سورة الصافات: ١٧٤-١٧٧.

وقطع الدَّابر قال: «مثل العذاب النازل بهم بعد ما أنذروه فأنكروه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره... فسميت الغارة صباحا وإن وقعت في وقت آخر، وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التي تحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك، إلا لمجيئها على طريقة التَّمثيل»[١]، وأشار ابن عاشور إلى المعنى قائلًا: «وَهَذَا التَّمْثِيلُ قَابِلٌ لِتَفْرِيقِ أَجْزَائِهِ فِي التَّشْبِيهِ بِأَنْ يُشَبَّهَ الْعَذَابَ بِالْجَيْشِ، وَحُلُولَهُ بِهِمْ بِنُزُولِ الْجَيْشِ بِسَاحَةِ قَوْمٍ وَمَا يَلْحَقُهُمْ مِنْ ضُرِّ الْعَذَابِ بِضُرِّ الْهَزِيمَةِ، وَوَقْتَ نُزُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ بِتَصْبِيحِ الْعَدُوِّ مَحِلَّةَ قَوْمٍ... وَاعْلَمْ أَنَّ فِي اخْتِيَارِ هَذَا التَّمْثِيلِ الْبَدِيعِ مَعْنًى بَدِيعًا مِنَ الْإِيمَاءِ إِلَى أَنَّ الْعَذَابَ الَّذِي وُعِدُوهُ هُوَ مَا أَصَابَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ قَتْلٍ وَأَسْرٍ عَلَى طَرِيقَةِ التورية»[٢].

٢. الاستعارةُ:

تُعرَّفُ بأَنَّها: «جمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما يكسب بيان أحدهما بالآخر كالتَّشبيه»[٣] وعرَّفها السَّكاكيّ (ت٦٢٦هـ) هي: «تشبيه حذف منه المشبّه به أو المشبه، ولا بدّ أن تكون العلاقة بينهما المشابهة دائما، كما لا بدّ من وجود قرينة لفظية أو حالّية مانعة من إرادة المعنى الأصلي للمشبّه به أو المشبّه»[٤] وتُعدُّ الاستعارة أبلغ في الأغراض البلاغيَّة من التَّشبيه[٥] ويتحقّق استعمالها في أربعة أركان هم: المستعار منه (المشبّه به) والمستعار له (المشبّه) والمستعار (اللّفظ المنقول) والقرينة (اللّفظية أو المعنويّة)[٦].

(١) المصدر نفسه: ٤/ ٦٨.
(٢) التَّحرير والتَّنوير: ٢٣/ ١٩٧- ١٩٨.
(٣) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن(النُّكت في إعجاز القرآن): ٨٦.
(٤) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة،كامل المهندس، ٢٦.
(٥) علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني): ١٩٣.
(٦) ينظر: البلاغة والتطبيق:٣٣٥.

وتتجلَّى الاستعارة في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ﴾[1] في الآية المباركة استعيرَ لفظ اليمين لمعنى لجهة الخير أو لمعنى القوة القَهر والبطش أو السُّلطان والغلبة وفَصَّل الزَّمخشريّ المعنى الذي استعيرت لهو لفظة اليمين بقوله: «استعيرت لجهة الخير وجانبه، فقيل: أتاه عن اليمين، أي: من قبل الخير وناحيته، فصدّه عنه وأضله. وجاء في بعض التفاسير: من أتاه الشيطان من جهة اليمين: أتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق. ومن أتاه من جهة الشمال: أتاه من قبل الشهوات. ومن أتاه من بين يديه: أتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب... فإن قلت: قولهم: أتاه من جهة الخير وناحيته: مجاز في نفسه، فكيف جعلت اليمين مجازا عن المجاز؟ قلت: من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالحقائق، وهذا من ذاك، ولك أن تجعلها مستعارة للقوّة والقهر، لأنّ اليمين موصوفة بالقوة، وبها يقع البطش. والمعنى: أنكم كنتم تأتوننا عن القوّة والقهر، وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه»[2]، وتابعه الفخر الرَّازيّ بتفصيل هذه الاستعارة فأَيَّد أن تكون الاستعارة بمعنى اليمين دالًا عن الخيرات والسَّعادات والطَّاعات وعلل اختيار الاستعارة بجهة اليَمين تحديدًا لأَنَّها أفضل من جهة اليسار فالأعمال الشَّريفة أكثرها تنجز باليمين كالمصافحة والأكل والشّرب فضلًا عن أن الشريعيَّة الإسلامية حددت أن كُتاب الحسنات على جانب الإنسان الأيمن[3] وأَضاف قال: «فَقَوْلُهُ: إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ يَعْنِي أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْدَعُونَنَا وَتُوهِمُونَ لَنَا أَنَّ مَقْصُودَكُمْ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى تِلْكَ الْأَدْيَانِ نُصْرَةُ الْحَقِّ وَتَقْوِيَةُ الصِّدْقِ وَالْوَجْهُ»[4].

وقد حدَّد الآلوسيّ (ت١٢٧٠هـ) نوع الاستعارة فهي (تصريحيَّة تحقيقيَّة) قال:

(١) سورة الصافات: ٢٨.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٤/ ٤٠.

(٣) يُنظر: مفاتيح الغيب:٢٦/ ٣٣٠.

(٤) المصدر نفسه: الصَّحيفة نفسها.

«استعيرت لجهة الخير استعارة تصريحيّة تحقيقيّة، وجعلت اليمين مجازًا عن جهة الخير مع أنه مجاز في نفسه فيكون ذلك مجازًا على المجاز لأن جهة الخير لشهرة استعماله التحق بالحقيقة فيجوز فيه المجاز على المجاز»[1].

ونبصرُ الاستعارة التَّمثليّة في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٣٩ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾[2] ففي فعل (أَبَقَ) استعارة تمثيليَّة إذ أَنَّ خروج يونس عليه السلام فجأة من دون إذن وترك الأولى شُبه بالإباق وهذه الاستعارة التَّمثليَّة بوصفها مصطلحًا بلاغيًّا تنبه عليها ابن عاشور وإن كنا لا نوافقه بأَنّ خروج يونس عليه السلام كان تَباعدًا قال: «فَفِعْلُ أَبَقَ هُنَا اسْتِعَارَةٌ تَمْثِيلِيَّةٌ، شَبَّهَتْ حَالَةَ خُرُوجِهِ مِنَ الْبَلَدِ الَّذِي كَلَّفَهُ رَبُّهُ فِيهِ بِالرِّسَالَةِ تَبَاعُدًا مِنْ كُلْفَةِ رَبِّهِ بِإِبَاقِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ الَّذِي كَلَّفَهُ عَمَلًا»[3].

ثانِيًا: عِلمُ البديعِ:

يعرَّفُ بأَنَّه: «علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة»[4]، وهذه التَّحسينات تتمظهر بـ«تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنوي، ويسمّى العلم الجامع لطرق التزيين»[5]، فالبديع علمٌ يُعنى بتحسين الكلام وتجويده والذي يُلفت النَّظر من أَقسام هذا العلم في سورة الصَافات (الطِّباق والجناس).

١. الطِّباقُ:

تعملُ هذه الآلية البلاغيَّة على: «الجمع بينَ الشَّيء وضّده في الكلام»[6] ويكون

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٢/ ٧٩.
(٢) سورة الصافات: ١٣٩-١٤٠.
(٣) التَّحرير والتَّنوير: ٢٣/ ١٧٣.
(٤) التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني :٣٤٧.
(٥) معجم المصطلحات العربية في اللُّغة والأدب: ٧٦.
(٦) علي الجارم ومصطفى أَمين، البلاغة الواضحة: ٣٢٠.

الطِّباق في اللفظين المتضادِّينَ باختلاف أنواع (الأسماء – الأفعال – الحروف)[١] فالطِّباق ضربٌ من تحسين الكلام الذي يؤثر في المتلقِّي ويجعله أَن يتخيل ضدّ اللَّفظة المسبوقة فتكتمل الصُّورة في ذهنه وهو ما يمكن أن نطلق عليه بالمخيال البيانيّ في جماليَّة أي نصّ فهو يجمع بين الأضداد ليخلق صورًا ذهنية ونفسية ليخلق في الذهن معرضًا للمعاني[٢] ففي قوله تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ﴾[٣] تَشتمل الآية المبارك على الطِّباق بين السَّماوات والأرض وهو من الطِّباق الإيجابيّ[٤]، قالَ الآلوسيُّ: «فإن وجودها على هذا النمط البديع أوضح دليل على وحدته عز وجل بل في كل ذرة من ذرات العالم دليل على ذلك:وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد»[٥]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴾[٦] إِذْ يبرز الطِّباق السَّلبيّ(٧) بين صنفين من ذرية إبراهيم عليه السلام وإسحاق عليه السلام المحسن والظالم ولا يخفى التَّقابل الدَّلالي بين هاذين النَّوعين من جنس الذُّرية وهو ملمح بيانيّ يُضيءُ النَّصّ قال ابن عاشور: «وَفِيهِ تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ الْخَبِيثَ وَالطَّيِّبَ لَا يَجْرِي أَمْرُهُمَا عَلَى الْعِرْقِ وَالْعُنْصُرِ فَقَدْ يَلِدُ الْبَرُّ الْفَاجِرَ وَالْفَاجِرُ الْبَرَّ، وَعَلَى أَنَّ فَسَادَ الْأَعْقَابِ لَا يُعَدُّ غَضَاضَةً عَلَى الْآبَاءِ»[٨].

٢. الجِناسُ:

يعدُّ الجناسُ من المحسنات البلاغيَّة البديعيَّة الَّتي تساعد على تصوير المعنى وتمكينه

(١) يُنظر: البلاغة والتَّطبيق:٤٢٢.
(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ٤٢٥.
(٣) سورة الصافات: ٥.
(٤) يُنظر: المصدر نفسه: ٤٢١.
(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٢/ ٦٦.
(٦) سورة الصافات: ١١٣.
(٧) يُنظر: البلاغة والتَّطبيق: ٤٢٢.
(٨) التَّحرير والتَّنوير: ٢٣/ ١٦٢.

من العقل تعبيرًا وتأثيرًا[١] وهو: «أنَّ يتشابه اللَّفظان في النُّطق ويختلفان في المعنى»[٢] ويقسم على قسمين الجناس التام والجناس غير التَّام[٣]، ونلمح في سورة الصَّافَّات الجناس بقسميه ففي قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝٢٠ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾[٤] نلمح الجناس التَّام في كلمة ﴿يَوۡمُ﴾ فاليوم الثَّاني هو تفسير وشرح بيانٌ لليوم الأَوَّل[٥].

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا﴾[٦] جناس غير تام فبينَّ (الصَّافَّات) (وصفًّا) جناس إذ المصدر جاء ناقصًا في حروفه عن لفظ (الصَّافَّات) ولا يخفى التَّحسين والتَّجويد في هذه الجملة والحال نفسها في الآية الثَّانية إذْ نُبْصِر جناس غير تام آخر[٧].

ثَالِثًا: التَّفسيرُ الموضُوعيُّ:

يعدُّ التَّفسيرُ الموضوعيّ الأَصل في تطبيقِ الخُطوات الإِجرائيَّة للتَّفسير البيانيّ فهو من الأَصل في هذا المنهج كما وصفته الدُّكتورة عائشة عبد الرَّحمن أنَّ: «الأَصل في المنهج التَّناول الموضوعي لما يراد فهمه من كتاب الإسلام ويبدأ بجمع كل ما في الكتاب المحكم من سور وآيات في الموضوع المدروس»[٨]، وفي ضوء قراءة الدِّراسات التَّطبيقيَّة والإِجرائيّة للتَّفسير البيانيّ ولاسيما المتأخّرون كالدّكتورة عائشة عبد الرَّحمن والدُّكتور

(١) البلاغة والتَّطبيق: ٤٣٢.

(٢) البلاغة الواضحة: ٣٠٠.

(٣) يُنظر: علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني): ١١٤- ١١٧.

(٤) سورة الصافات: ٢٠-٢١.

(٥) يُنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٦/ ٢٠٥.

(٦) سورة الصافات: ١-٢.

(٧) ينظر: الجِناس والسَّجع في سورة الصَّافَّات(دراسة تحليليَّة بلاغيَّة)- بحث جامعيّ (٢٠١٦م)، النِّداء راتنا فطرية:٣٤.

(٨) التَّفسير البياني للقرآن الكريم: ١/ ١٨.

فاضل السَّامرائيّ نُبصر أَنَّها قد عملا على التَّفسير الموضوعيّ بشكل مكثف في بياناتهم التَّفسيريَّة البيانيّة وإن كانت الرؤية غير ناضجة.

يُعرَّفُ التَّفسيرُ الموضوعيَّ بأَنَّه: «معرفة أَحوال مجموعة من الآيات القرآنيّة في موضوع محدّد مرتبة على حسب سبب النُّزول تارةً، وغير مرتبة تارةً أخرى من حيثُ دلالتها على مراد الله تعالى لتيسير فهمه إلى المتلقّي في كيان واحد وهيئة تركيبيّة متجانسة لا يفصل بينهما فاصل، فيصب ذلك في بحث مستقل يكون موضوعه ما في الآيات من موضوع»[1]، في ظلِّ هذا التَّعريف نلمح أَن التَّفسير يأخذ على عاتقه جمع مجموعة من الآيات والاشتغال عليها بطريقتينِ موضوعيتين الأُولى: أن يأخذ المفسر اللّفظ القرآنيّ ويجعل لهو نسقًا مفهوميًا محشدًا النُّصوص القرآنيّة الوارد فيها اللفظ نفسه أو أحد مشتقاته وتصريفاته أما النَّوع الثَّاني: أن يجمع الآيات بلحاظ موضوع يلحظه بين الآيات كأن يكون متعلقًا بأصول الدين أو الأخلاق أو المعاملات أو العبادات.

وعليه لابدَّ من تقسيم التَّفسير الموضوعيّ على نوعين:

النَّوع الأَوَّل: النَّسقُ المفهوميّ لأَلفاظِ القُرآن الكريم:

وهذا النَّوع من التَفسير الموضوعيّ يعدُّ من أَجل الأنواع وهو الغالب عند أكثر من كتب في التَفسير الموضوعيّ ولا سيما القُدماء ودونك المفسرين وكذلك ممن اشتغلوا على التفسير الموضوعيّ كالشَّيخ أمين الخولي والدُّكتورة عائشة عبد الرحمن[2]، وشكريّ

(١) التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وموضوعاته، د.حكمت عبيد الخفاجيّ: ٣٠.

(٢) يُنظر: مقال في الإنسان دراسة قرآنيّة، عائشة عبد الرحمن: ٣٣- ٤٨،مارست الدكتورة هذا النّوع فضلاً عن كتابها التَّفسير البيانيّ للقرآن الكريم في هذا الكتاب إذ حشدتْ النُّصوص القُرآنيّ من أجل الوصول إلى أنساق مفهوميَّة لمفاهيم المتعلّقة بالإنسان كـ(الإنسان والإنس والبشر والبيان والأمانة والعبيد وغيرها). وكذلك في تفسيرها البيانيّ إذ عملت اللَّفظ القرآنيّة الواحد وتجميعه في كُلّ القرآن واستحصال نسق مفهوميّ له مثلًا تأخذ لفظ (الخير)في القُرآن الواردة(١٢٥مرةً) بحسب إحصائها ومشتقاتها وتستحصل منها دلالة محددة، ويُنظر: التفسير البيانيّ للقرآن الكريم: ١/ ١١٣.

عياد[١]، وابن عاشور، والدُّكتور حكمت الخفاجيّ[٢] والدُّكتور فاضل السَّامرائيّ[٣] وغيرهم.

ويقوم هذا النَّوع على إيجاد نسق مفهوميّ عام لمفهوم قرآنيّ ومتابعته واستجماع النّصوص القرآنية التي حوت هذا المفهوم ومحاولة إيجاد أنساق دلالية مقاربة لهو تعدُّ ضَرْبًا من ضروب تفسير القرآن بالقرآن نفسه وهذا ما ذهب إليه الدّكتور حسن عبد الغني الأسدي في مشروعه القرآنيّ (المُدونةُ المغلقة)[٤]، إذ مارس هذا النَّوع ممارسةً دقيقة في ضوء اشتغاله على عدد من المفاهيم القرآنيَّة فلاطف مفاهيم قرآنيّة عدّة واجدًا لها أَنساق مفهوميَّة معجبة منها الدَّلالة القرآني للفظتي المتشابه والمحكم[٥] ودلالة لفظة المثاني[٦].

وفي ضوء بيانات المفسرين في سورة الصَّافَّات سنقف على مفهومين قرآنين يمثلانِ هذا الضرب من التَّفسير الموضوعيّ الأوَّل: مفهوم (المُحْضَرِينَ) الَّذي ورد ثلاثَ مرَّات في سورة الصَّافَّات وهي لمطلق الجمع في الآيات:

١. ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾[٧].

(١) يُنظر: من وصف القرآن يوم الدّين والحساب: ٣١،٣٣، ٣٥، تناول الدُّكتور عياد مفاهيم قرآنيّة من أجل إيجاد نسق مفهوميّ لها من ذلك أَسماء اليوم الآخر في القرآن الكريم ولاسيما (يوم القيامة) الذي ورد في القرآن الكريم(٧٠ مرة)، ومفهوم (قام) في القرآن الكريم الذي ورد في(٣٣ موضعًا) وغيرها.

(٢) يُنظر: التفسير الموضوعيّ للقرآن الكريم وموضوعاته: ٣٧٩-٣٨١، إذ عمدَ الدكتور إلى جمع لفظ (التَّأويل) في كُلّ القُرآنِ الكريم الوارد (١٥ مرة) والوقوف على دلالته.

(٣) يُنظر: على طريق التَّفسير البيانّي: ١/ ١٠١، قام الدكتور بجمع الآيات المتعلقة بلفظِ (آتى) ومشتقاته ووضع لها نسق مفهوميًّا.

(٤) يُنظر:منهج المدونة المغلقة (مباحث تأسيسية لتفسير القرآن بالقرآن): ٢٧.

(٥) يُنظر: المصدر نفسه: ٩٨.

(٦) يُنظر: المصدر نفسه: ١٦٩.

(٧) سورة الصافات: ٥٧.

٢. ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾[١].

٣. ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾[٢].

وقد ورد جمع المذكر السالم سبع مرات في غير الصَّافات فمجموعه تسع مرات وفي المرات التي جاء الاستعمال القرآنيّ جاءت في مطلق الشَّر وهذا ما نتبّه عليه الطَّباطبائيّ إذْ قال في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾[٣]: «ولا يستعمل (أحضر) مطلقًا إلا في الشَّر»[٤] أي: الإحضار والإشخاص للعذاب.

وعند متابعة هذا المفهوم في هذه الاستعمالات نصل لنسق مفهوميّ يجمعها وهو نسق الإحضار والإشخاص للخِزي والعَذَاب وورد لفظة (مُحْضَرُونَ) بهيأة الجمع المذكر السَّالم في ستةِ مواضع غير الصَّافَّات[٥] هي:

١. ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾[٦].

٢. ﴿ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾[٧].

٣. ﴿ وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾[٨].

٤. ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾[٩].

٥. ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ ﴾[١٠].

٦. ﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ

(١) سورة الصافات: ١٢٧.
(٢) سورة الصافات: ١٥٨.
(٣) سورة الصافات: ٥٧.
(٤) الميزان في تفسير القرآن: ١٧/ ١٣٩.
(٥) يُنظر: المعجم المفرس لألفاظ القُرآن الكريم: ٢١٣.
(٦) سورة الروم: ١٦.
(٧) سورة سبأ: ٣٨.
(٨) سورة يس: ٣٢.
(٩) سورة يس: ٥٣.
(١٠) سورة يس: ٧٥.

الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾[1].

وفي ضوء متابعة هذا المفهوم في القُرآنِ الكريم وجدنا أَنَّه يُطلقُ على الشَّرِ والإحضار للخزي والإشخاص للعذاب الإلهيّ متصلًا بأهوالِ يوم القيامة غالبًا.

ويمكن تلمس نسق مفهوميّ للمفهوم الثَّاني: لفظة (اليَمِين) إذْ وردتْ في سورة الصَّافَّات مرتينِ في الآيتينِ المباركتينِ:

١. ﴿ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾[2].

٢. ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾[3].

أما في غير سورة الصَّافات إحدى عشرةَ مرةً (١١) في الآيات الآتية(٤):

١. ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾[5].

٢. ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ﴾[6].

٣. ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾[7].

٤. ﴿ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾[8].

٥. ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾[9].

٦. ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾[10].

(١) سورة القصص: ٦١.

(٢) سورة الصافات: ٢٨.

(٣) سورة الصافات: ٩٣.

(٤) يُنظر: المعجم المفهرس لألفاظ القُرآن الكريم: ٧٧٩.

(٥) سورة النحل: ٤٨.

(٦) سورة الكهف: ١٧.

(٧) سورة الكهف: ١٨.

(٨) سورة سبأ: ١٥.

(٩) سورة ق: ١٧.

(١٠) سورة الواقعة: ٢٧.

٧. ﴿ لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾[١].

٨. ﴿ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾[٢].

٩. ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾[٣].

١٠. ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴾[٤].

١١. ﴿ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴾[٥].

في كل هاته الاستعمالات تَبرزُ دلالة القُوة والجهة المحمودة فضلًا عن الاعتبار المكانيّ والزّمانيّ في ضوء النَّسق المفهومي لها، إذ تدلّ على قوةِ الآلة الّتي تستدعي قوة الفعل ففي قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴾[٦] قال الزَّمخشريُّ: «اليمين لما كانت أشرف العضوين وأمتنهما وكانوا يتيمنون بها، فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون، ويزاولون أكثر الأمور، ويتشاءمون بالشمال، ولذلك سموها: الشؤمى كما سموا أختها اليمنى، وتيمنوا بالسّانح، وتطيروا بالبارح، وكان الأعسر معيبا عندهم، وعضدت الشريعة ذلك، فأمرت بمباشرة أفاضل الأمور باليمين»[٧].

وفي قوله ﴿ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴾[٨]. اليمين هي الدَّالة على القوة لَأن اليد اليُمنى أقوى تأثيرًا وأمضى من اليسرى وهي اليمين الإبراهيميَّة في النَّصّ القرآني اليمين المؤيدة بالتَّسديد الإلهيّ والقوة الربانيَّة باسترفاد سياق المقام الذي يتطلب تحطيم أسطورة الأصنام الشّرك الجلي والخفي في قومه وكذلك باسترفاد القرينة المتصلة الموفاة

(١) سورة الواقعة: ٣٨.

(٢) سورة الواقعة: ٩١.

(٣) سورة الحاقة: ٤٥.

(٤) سورة المعارج: ٣٧.

(٥) سورة المدثر: ٣٩.

(٦) سورة الصافات: ٢٨.

(٧) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٤/ ٣٩-٤٠.

(٨) سورة الصافات: ٩٣.

حقها في المصدر النائب عن فعله الدّالّ على إيقاع الفعل وإمضاءه (ضَرْبًا) وأشار الآلوسيّ لهذه النُّكة في قوله: «وتقييد الضرب باليمين للدَّلالة على شدته وقوته لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما في الغالب وقوة الآلة تقتضي شدة الفعل وقوته أو بالقوة على أنّ اليمينَ مجاز عنها»[1].

والنَّسق المفهوميّ لمفهوم اليمين في التَّعبير عن المؤمنين والصادقين والمخلصين بـ(أَصْحَابِ الْيَمِينِ) وتشع مزية أَصحاب اليمين ودرجاتهم العلى ومراقيهم الساميَّة في ستة مواضع في الاستعمال القرآنيّ وتتجلّى مزية جهة اليمين في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾[2] فأشار إلى مزية التَّفيءُ من جهة اليمين والحال نفسها آيتي سورة الكهف وتقديم جنة اليمين على جنة اليسار لأهميتها ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾[3]،[4].

النَّوع الثَّاني: بحسبِ الموضوعاتِ المحوريَّة:

وهذا النَّوع يَتصل باستعراضِ الموضوع المحوريّ الوارد في سورة ما وعرضها على القُرآن كله من أَجل الوصول إلى محصلة دلاليَّة تقريبيّة له وهو ملمح تَفسيري بيانيّ غايته الوصول إلى مقاربات موحدة للموضوع فتتجلى إعجازيّة الموضوع من جهة والتَّرابط البَينيّ والدَّلالي له من جهةٍ أُخرى[5] وقد أَشار محمَّد باقر الصَّدر إلى هذا النَّوع في تعريفه للتَّفسير الموضوعيّ إذ حصر وظيفة المفسَّر الموضوعيّ بأَن: «يحاول القيام بالدّراسة القُرآنيَّة لموضوع من موضوعات الحياة العقائديَّة أو الاجتماعيَّة أو الكونيَّة فيبيَّن ويَبحث ويدرس مثلًا عقيدة التَّوحيد في القرآن أو يبحث النبوة في القرآن أو عن

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٢/ ١١٨.
(٢) سورة النحل: ٤٨.
(٣) سورة سبأ: ١٥.
(٤) يُنظر: المصدر نفسه: ١١/ ٣٠٠.
(٥) يُنظر: دروس في أساسيات منهج التفسير الموضوعيّ، أ.د حكمت عبيد الخفاجيّ: ٢٤.

المذهب الاقتصاديّ في القرآن أو عن سنن التَّاريخ في القرآن أو عن السّماوات والأرض في القرآن»[1]، وسنستعرضُ موضوعينِ محورين في سورة الصَّافَّات.

الموضوع الأَول: العبوديَّةُ المُضافة للهِ تعالى: ينطلق هذا الموضوع المحوريّ من آيات عدَّة هي:

١. ﴿إِلاَّ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[2].
٢. ﴿إِلاَّ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[3].
٣. ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾[4].
٤. ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾[5].
٥. ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾[6].
٦. ﴿إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[7].
٧. ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾[8].
٨. ﴿إِلاَّ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[9].
٩. ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[10].
١٠. ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾[11].

(١) المدرسة القرآنيَّة: ٢٣.
(٢) سورة الصافات: ٤٠.
(٣) سورة الصافات: ٧٤.
(٤) سورة الصافات: ٨١.
(٥) سورة الصافات: ١١١.
(٦) سورة الصافات: ١١٢.
(٧) سورة الصافات: ١٢٨.
(٨) سورة الصافات: ١٣٢.
(٩) سورة الصافات: ١٦٠.
(١٠) سورة الصافات: ١٦٩.
(١١) سورة الصافات: ١٧١.

إذ نَسب الله العبودية لهو في هذه الآية المباركة وهي نسبة محوريَّة في القُرآن كله هذه النِّسبة تنويه بمكانة العبد عنده جَلَّ مَجده وتقريبٌ وتَميزٌ له جلَّ جلالُه وقَد أَشار محمَّد الطَّاهر بن عاشور إلى هذا الموضوع المحوريّ في معرض تفسيره الآية المباركة ﴿إِلاَّ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[1] محشدًا النُّصوص القرآنيّة التي تَشي بهذا الموضوع المحوريّ قال: «وَذِكْرُ الْمُؤْمِنِينَ بِوَصْفِ الْعُبُودِيَّةِ الْمُضَافَةِ للهِ تَعَالَى تَنْوِيهٌ بِهِمْ وَتَقْرِيبٌ، وَذَلِكَ اصْطِلَاحٌ غَالِبٌ فِي الْقُرْآنِ فِي إِطْلَاقِ الْعَبْدِ وَالْعِبَادِ مُضَافًا إِلَى ضَمِيرِهِ»[2] واستجمع مجموعة من الآيات مضافة إلى ما ذكر في سورة الصَّافَّات لتُمثِّل موضوعًا قرآنيًّا من هذه الآيات[3]:

١. ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنا داوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾[4].
٢. ﴿وَاذْكُرْ عِبادَنا إِبْراهِيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ﴾[5].
٣. ﴿يَا عِبادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[6].
٤. ﴿وَوَهَبْنا لِداوُدَ سُلَيْمانَ نِعْمَ الْعَبْدُ﴾[7].
٥. ﴿بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[8].
٦. ﴿أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبادِي هؤُلاءِ﴾[9].
٧. ﴿إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغاوِينَ﴾[10].

الموضوع الثَّاني: الوُهمُ المتخيَّل في اتخاذ الله الأَولاد جهلًا واستكبارًا: يتجلَّى هذا

(١) سورة الصافات: ٧٤.
(٢) التَّحرير والتَّنوير: ٢٣/ ١١٠.
(٣) المصدر نفسه: الصَّحيفة نفسها.
(٤) سورة ص: ١٧.
(٥) سورة ص: ٤٥.
(٦) سورة الزخرف: ٦٨.
(٧) سورة ص: ٣٠.
(٨) سورة الإسراء: ٥.
(٩) سورة الفرقان: ١٧.
(١٠) سورة الحجر: ٤٢.

الموضوع في سورة الصَّافَّات في آيات عدَّة هي:

١. ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾[١].

٢. ﴿ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴾[٢].

٣. ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾[٣].

٤. ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾[٤].

وتبرقُ هذه الإشاعة الفَضِيعة المتخيَّلة من هؤلاء من أَجل تسخيف الخَالقيَّة وتوهينها من جهةٍ وتضعيفها وتخسيسها في البشريَّة بمعنى انْزَالها من الخالقيَّة المطلقة والعظمة المتفردة إلى الآدميَّة المُسْتضعفة السَّافِلَة وأَشار الزَّمخشريّ لهذه الدعوى المبتدعة إذ استهانوا بأكرم خلقٍ وأقربهم إلى الله تعالى ملائكته وأنثوهم كالنِّساءِ جهلًا واستكبارًا، فكرّر الله سبحانه الأَنواع كلّها في كتابه مرّات ودلّ على فظاعتها في آيات منها[٥]:

١. ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾[٦].

٢. ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾[٧].

٣. ﴿ تَكَادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾[٨].

٤. ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾[٩].

٥. ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[١٠].

(١) سورة الصافات: ١٤٩.

(٢) سورة الصافات: ١٥٠.

(٣) سورة الصافات: ١٥٣.

(٤) سورة الصافات: ١٥٨.

(٥) يُنظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٤/ ٦٣.

(٦) سورة مريم: ٨٨.

(٧) سورة مريم: ٨٩.

(٨) سورة مريم: ٨٠.

(٩) سورة الأنبياء: ٢٦.

(١٠) سورة البقرة: ١١٦.

٦. ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١].

٧. ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾[٢].

وإلتفت أُستاذنا الدّكتور حكمت الخفاجيّ إلى مصاديق تتعلق بالنَّوع الثَّاني: (التَّفسير الموضوعيّ بحسب الموضوعات المحوريّة) منها :القّصص القُرآنيّ وهذا ما نلمحه فقد وردت في السُّورة المباركة ستّ قصص نبويَّة وهي قصة نوح عليه السلام القدوة الأولى، وقِصَّة النّبيّ إبراهيم الخليل عليه السلام ومن ثُم قِصَّة موسى عليه السلام، وشبه شَريعته بالشَّريعة الإسلاميَّة، ومن بعد ذلك قصَّة لوط عليه السلام الَّذي كان على ملة إبراهيم عليه السلام، وإلياس عليه السلام، ويُونس عليه السلام الّذي كان على ملة موسى عليه السلام على التَّرتيب وكل قِصة منها مع أخواتها تمثل نسقًا موضوعيًّا وذكر أَيضًا أدلة الحجاج بوصفها تمثل موضوعات نسقيّة[٣].

ونشير تأيدًا لقوله إلى القسم القُرآنيّ الَّذي يمثِّل بؤرةً حجاجيَّة الّتي تدلُّ على التَّعظيم في القُرآن كلّه وتندرج تحت النَّوع الثَّاني للتَّفسير الموضوعيّ[٤] فالأقسام الّتي ابتدئ بها الله تعالى في السُّور القرآنية تدلُّ على عظمة المقسم به وشرافته[٥] وأَشار أَيضًا إلى نَسَقِيَّة الحجَّاج في القُرآن الكريم (آيات المُجادلة) الَّتي تمثِّلُ منسوقيَّة موضوعيَّةً تجمع فيها الآيات الَّتي جادل فيها المشركون الله تعالى فهي تمثل نوعًا من التَّفسير الموضوعيّ[٦] وهذا ما بصرنا به في سورة الصَّافَّات إذ تتلاحق وتتلاحق هاته النَّسقيات في قوله:

(١) سورة الأنعام: ١٠١.

(٢) سورة الزخرف: ١٩.

(٣) يُنظر:دروس في أساسيات منهج التَّفسير الموضوعيّ: ١٢٣-١٢٧.

(٤) يُنظر: المصدر نفسه: ٥٠- ٥١.

(٥) يُنظر: الأقسام في القرآن الكريم، جعفر السُّبحانيّ: ١٣. لا بدُّ من الإشارة إلى أَن جعفر السُّبحاني قام بجمع الأقسام الواردة وإحصاءها في القرآن الكريم في كتابه مع تفسيرها ليصل لنّسق موضوعيّ للأقسام القرآنيّة وتبيان دلالتها.

(٦) يُنظر:دروس في أساسيات منهج التَّفسير الموضوعيّ:٢٩.

﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ۝١٥ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ۝١٦ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ۝١٧ قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ۝١٨ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ۝١٩ وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴾[1] ونظائرها في السُّور الأخرى إذ بضمّها إلى بعضها نستحصِل نسقًا موضوعيًّا لموضوع آيات المُجادلة.

رابعًا: مراعاةُ سِياق النَصّ القُرآنيّ:

من الخُطُوات المهمة الَّتي كان لها حيزًا وسيعًا في الممارسةِ البيانيَّةِ في منهجِ التَّفسير البيانيّ السِّياق فهو جزءٌ لا يتجزأُ من المباحث اللُّغويَّة والدَّلالة في المَنظومة التُّراثيّة الإسلاميّة فلا يُمْكن الوقوف على الدَّلالة المُرادة للفظ القُرآنيّ المفرد أَو اللَّفظ القُرآنيّ في التَّركيب إلَّا بالنَّظر في السِّياق الَّذي يُمثِّل وحدةً تسلسليّة متتابعة ومتناسقةً، ومن أَجل تَعْرُف هذه الخُطوة بنا حاجة أَن نَتَعرف على مفهوم السِّياق بإيجازٍ في اللُّغة والاستعمال القرآني والاصطلاح.

* السِّياق في اللُّغة: مصدرٌ من ساقَ يَسوقُ سوقًا وسياقًا بمعنى التَّلاحق والتَّتابع والتَّسلسل تقول العرب ساق الإبلَ سَوقًا وسِياقًا إذا سَرَدَها سَرْدًا وأَوردها مكانًا وتقول: ولدت المرأَة ثلاثة ذكور سياقًا إذا ولدت واحدًا بعد آخر ليس بينهم أُنثى[2].

* السِّياق في الاستعمالِ القُرآنيّ: فلمْ يخرجْ عَن دَلالة التَّتابع والتَّسلسل والورود قال تعالى: ﴿ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ﴾[3] و ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴾[4] و ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾[5]،[6].

(١) سورة الصافات: ١٥-٢٠.

(٢) يُنظر: لِسان العرب: ١٠/ ١٦٦-١٦٧، مادَّة(سوق).

(٣) سورة مريم: ٨٦.

(٤) سورة القيامة: ٣٠.

(٥) سورة الزمر: ٧١.

(٦) يُنظر: مفردات ألفاظ القُرآن: ٤٣٦، مادة(سوق).

* السِّياق في اصطلاحِ البيانِيِنَ: فقد اختلفت الرُّؤى المفهوميَّة والوظيفيَّة لتعريفه وأول ما يلقانا من تعريف للسِّياق عند الرَّازيّ: «نريدُ بالسِّياق كُلّ ما يكتنف اللّفظ الَّذي نريد فَهمه من دوالَّ أُخرى»[١].

وعرَّفه إدريس حماديّ بقوله: إنَّ «مفهوم السّياق يشمل كافَّة القَرآئن الَّتي تُسهم في عملية الفَهم لغويَّة كانت أم غير لغويَّة»[٢].

وعَرَّفهُ محمَّد إقبال عرويّ أَنَّه: «مجموع النَّص الذي يُحيط بالجملة لتي يُراد فَهْمها وعليه يتوقَّف الفَهم السَّليم لها أَو المحيط الَّتي أُنْتِجت فيه العبارة»[٣].

نلخصُ في ضوء التَّعريفات المتقدّمة أَنَّ السِّياق منظومة كلاميَّة كُبرى تَحفُّهَا مجموعةٌ من القَرائن المقاليَّة (مُتصلة أَو مُنْفَصِلة)والمقاميَّة ذات العلاقة بمعنى النَّص وغرض إفادتِهِ من هنا فإنّ السّياق يقسّم قسمينِ سياق مقاليّ (لفظيّ) يَعتمد على القرائن المتصلة والمنفصلة وسياق (مقاميّ) يعتمد على ما يُحيط بالنَّصّ من حال وظروف وهي الّتي تُكشف عن الغرضِ الَّذي جاءالنَّص لإِفادته وبيانِهِ[٤].

١. القَرِينةُ المتصِلةُ:

يُمْكنُ تَلمس السِّياق في سورة الصَّافَّات بلحاظ القرينة المتصلة وهي: ما تكتنف النَّص وترتبط به فهي وصلة ترابطيَّة بمكان الساق للساق في التَّجاور والتّلاق فهي (شريعة من شراع الألفاظ)[٥].

ففي قوله تعالى: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾[٦] إذ فُسر الإِفك هنا المقدَّم للتَّعين

(١) المعالم في أصول الفقه: ١٥٠.

(٢) الخطاب الشرعي وطرق استثماره: ١٤٦.

(٣) الوظيفة الترجيحية للسياق عند المفسرين، العدد ٣٥، رجب ١٤٢٢ه/ أُكتوبر ٢٠٠١م: ٧.

(٤) ينظر: المرتكزات البيانية في فَهْم النُّصوص الشرَّعيَّة، د.نجم الدِّين قادر كريم الزنكيّ: ٥٣- ٥٤.

(٥) ينظر: المرتكزات البيانية في فَهْم النُّصوص الشرَّعيَّة: ٦٠.

(٦) سورة الصافات: ٨٦.

والتَّخصيص للحقارته وتخسيسه بالآلهة الّتي ابتدعوها إفكًا وظلمًا وحيفًا بلحاظِ القرينة المُتصلة قال الزَّمخشريّ: «أَإِفْكاً مفعول له، تقديره: أتريدون آلهة من دون الله إفكا، وإنما قدّم المفعول على الفعل للعناية، وقدّم المفعول له على المفعول به، لأنه كان الأهمّ عنده أن يكافحهم بأنهم على إفك وباطل في شركهم»[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[2] فالكلمة هنا المحوريَّة في النَّصِّ المعبر عنها (كَلِمَتُنَا) والمقترنة بناء العظمة العائد للرَّب السماوات والأرض والمؤكدة بـ(لام القسم) ابتداءً وحرف التَّحقيق قد ودخولهما على الفعل الماضي (سَبَقَتْ) الدّالّ على الإمضاء والإيقاع وكذلك إيقاع هذه الكلمة على العباد الذين كرموا وانزلوا منزلة خاصَّة بإضافتهم إلى الخالق العظيم هذه الكلمة المحفوفة بالفضائل والمناقب فسرت بلحاظ القرينة المتصلة وأصبحت شعارًا للعباد المخلصين الصادقين ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٣ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ وهذا الإيضاح جاء في أعلى درجات التَّأكيد والتَّوثيق والإثبات والإقرار بلحاظِ إنَّ المؤكدة ولام الابتداء المزحلقة في الآيتين فضلًا عن التَّوكيد بتقديم ما حقه التَّأخير (لَهُمُ)(٣) فتتلاحقُ ثلاثةُ مؤكدات؛ لَأنَّ السِّياق بقرينته المتصلة يحُتّمُ هذا التَّلاحق التَّوكيديّ قال الزَّمخشريّ: «الكلمة: قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٣ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ وإنَّما سمَّاها كلمة وهي كلمات عدّة، لأَنَّها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة»[4].

(١) يُنظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٤/ ٤٩.

(٢) سورة الصافات: ١٧١-١٧٣.

(٣) يُنظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٢/ ١٤٨.

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٤/ ٦٧.

٢. القَرينةُ المنفصِلةُ:

أَمَّا ما يَتصل بالقَرينة المنفصلة وهي الّتي لا تُلتمس بجوار الآية بل تُلحظُ في آية أخرى سواء أكانت في السُّورة نفسها أم في سورة أخرى أَو أن تكون رواية منفصلة،ففي قوله تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ﴾[١] ففي تفسير هاته الآية ولا سيما المراد من الصَّافَّات والصَّفا إذ حملها المفسّرون على أَحوال الغزاة والمجاهدين في سبيل الله تعالى لقرينة منفصلة وردت في سورة الصَّف كما أوردها الرَّازي قال من المُمكن: « أَنْ نَحْمِلَهَا عَلَى أَحْوَالِ الْغُزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله فَقَوْلُهُ: ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ﴾ الْمُرَادُ مِنْهُ صُفُوفُ الْقِتَالِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا ﴾[٢]»[٣].

وتَشُعُّ القَرينةُ المُنفصلةُ المُؤْدَاة بسياقِ الرِّواية في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴾[٤] بيَّننا آنفًا مسألة الخلاف في الذَّبيح في الآية المباركة وما يهمنا في هذا المقام كيف وظفت القرينة المنفصلة (الرِّواية) لمعرفة الذَّبيح؟، إذ أَشار الطباطبائيّ في مبحثٍ روائيّ إلى الذَّبيح أنّه إسماعيل؛ وإن كان هنالك ما قال بِأَنَّه إِسحاق وهو مطروح لمخالفة الكتاب وذكر الطباطبائيّ هذه الرِّواية: «سأل الإمام الصَّادق عليه السلام عن الذَّبيح من كان؟ فقال إسماعيل لأن الله تعالى ذكر قصته في كتابه ثم قال: ﴿ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[٥]»[٦].

خامسًا: عِلم المناسبة التَّرابُط بينَ الآياتِ والسُّور:

من الخُطُوات المهمة المتعلّقة بصميمِ النّصِّ القُرآنيّ وجوهره والّتي أَفاد منها المفسِّر

(١) سورة الصافات: ١.
(٢) سورة الصف: ٤.
(٣) مفاتيح الغيب: ٢٦/ ٣١٥.
(٤) سورة الصافات: ١٠٣.
(٥) سورة الصافات: ١١٢.
(٦) الميزان في تفسير القرآن: ١٧/ ١٥٥.

البيانيّ(علم المناسبة) الَّذي يعرف بعلم ترابط الآيات والسور إسهامًا من المفسر في إصابة الدَّلالة المرادة للآية المبارك وقد أشار الرَّازيّ لأهمية هذا العلم: «لِأَنَّ أَكْثَرَ لَطَائِفِ الْقُرْآنِ مُودَعَةٌ فِي التَّرْتِيبَاتِ وَالرَّوَابِطِ»[١]، فهو نصّ مهمٌ ومؤثّر أفاد مِنه كُلّ من عرَّف هذا العلم ولاسيما البقاعيّ (ت٨٨٥هـ) الَّذي عرَّف علم المناسبة بأَنَّه: « علمٌ تعرف منه علل ترتيب أَجزاء القُرآن وهو سرّ البلاغة لأَدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال»[٢] وقال الدُّكتور مصطفى مسلم: «ارتباط السورة بما قبلها وما بعده وفي الآيات تعني وجه الإرتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها»[٣].

ممَّا تقدَّم يتبيَّن: أَنّ علمَ المناسبةِ مِن العُلُوم الَّتي تَكْشف عن ترابط في معاني الآيات القرآنيَّة وتتوسَّع في كشف التَّرابط بين السُّورِ الكاملة وينبغي للمفسِّرِ البيانيّ أَن يحيطَ بمناسبة السُّورة الَّتي يفسّرها وفي ضوءِ سورة الصَّافَّات بعد الوقوف على البيانات التَّفسيريَّة التي كشفت عن التَّرابط بين السُّورة السابقة لسورة الصَّافَّات سورة(يس) فافتتح الله تعالى هذه السُّورة بالقسم وذكر البعث لما ختمت بهِ سورة (يس) في الآية الأَخيرة منها قوله تعالى: ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[٤]، فلما تضمنت سورة (يس) جليل التَّنبيه وعظيم الإرشاد ما يهتدي الموفق بلحاظِ بعضه ويشتغل المعتبر به في تحصيل مطلوبه وفرضه، ويُشهد بأَنَّ الملك له تعالى، أَتبعها تعالى بالقسم على وحدانيته في مطلع سورة الصَّافَّات: ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴾[٥] وهذه مناسبة السُّورة لما قبلها[٦]، أما مناسبتها لما بعدها قد جاءت بعدها سورة (ص) التي ذكر فيها بقية القَصص النَّبوية التي لم تذكر في سورة الصَّافَّات

(١) مفاتيح الغيب: ١٠/ ١١٠.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١/ ٦.

(٣) مباحث في التَّفسير الموضوعيّ: ٥٨.

(٤) سورة يس: ٨٣.

(٥) سورة الصافات: ١-٣.

(٦) يُنظر: البرهان في تناسب سور القرآن، الغرناطي، ١٥٤.

التي فيها وردت ست قَصص نبوية وأتبعتها سورة (ص) بتتمة القَصص الَّي أُشير إليها في سورة الصَّافَّات[١] وهاتان المناسبتين تندرجان تحت المناسبات الخارجيَّة[٢].

أَمَّا المناسباتُ الدَّاخلية لسورة الصَّافَّات فتتمثّلُ في ترتيب الآيات في السُّورة الواحدة ومناسبة مطلع السُّورة للمقصد الَّذي سيقت له ومناسبة فواصل الآي لآية الَّتي ختمت بها[٣].

ففي سُورة الصَّافَّات ابْتدأت السُّورة بذكر العظمة لله تعالى وتنزيه عن كُلّ نقص واتصافه بكُلّ كمال وذكر أنبياءه ورسله من الآية الأولى إلى الآية التَّاسعة والسّبعين بعد المئةِ (١٧٩) ختم الله عزّ وجل هذه السُّورة بثلاثِ آيات تحمده وتنزهه في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٤] فيظهر الترَّابط بين الآيات والتَّناسب المُعجب بيَن المَطالع والخواتيم[٥].

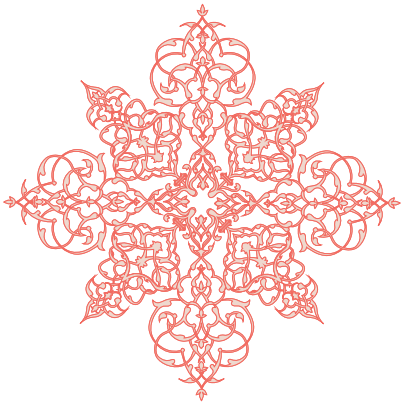

(١) يُنظر: أسرار ترتيب القرآن، السيوطي: ١٢٨.

(٢) يُنظر: علم المناسبات في السّور والآيات، د. محمد عمر بازمزل: ٢٨.

(٣) يُنظر: المَصدر نفسه: ٢٩.

(٤) سورة الصافات: ١٨٠-١٨٢.

(٥) يُنظر: نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور: ١٦/ ٣١٩-٣٢٠.

خَاتِمَةُ البَحثِ ونَتَائِجُهُ

بعدَ هذه الرِّحلة في كتاب الله عزّ وجل تفسيرًا ومدارسةً لِنَتَلَمَّسَ مَعَالِمَ منهجٍ تفسيريّ (المنهج البيانيّ) في سُورةٍ مِن سُورِ الكِتَابِ العَزيزِ (سُورة الصَّافَّات) المُباركة، نَحْمِدُ العَلِيَّ العَظِيمَ لمَنِّهِ وفَضْلِهِ عَلَيَّ، وقَدْ تَجلَّتْ لَديَّ مَجْمُوعَةٌ مِنَ المُلاحظاتِ أَحْسَبُ أَنَّها لُبُّ اللُّبابِ وخُلَاصَةُ الخُلاصَةِ وهي اسْتِنْبَاطُ مَا نَدَّ مِن رُؤًى وتَصَوُّرَاتٍ غَير مَا جَاءَ في التَّمهيدِ والمبحثَينِ اللّذينِ عَقَدْتُهُما في بَحْثِيَ.

* الأُولَى: اسْتبانَ فِي ضَوءِ الوُقُوفِ عَلى بِيَانَاتِ البَيَانِينَ مِمَّنْ أَسْهمُوا في إِنتاجِ الثَّقافةِ الإِسلاميَّةِ مِن لغويِّينَ وعُلَماءِ قُرآنٍ وأَربابِ المُصْطَلحَاتِ أَنَّ أَدلَّ تَعْرِيفٍ للتَّفسيرِ بِوَصْفِهِ مَفْهُومًا قُرْآنيًّا لَهُ دَلَالَاتٌ وتَعْرِيفَاتٌ شَتَّى تَخْتَلِفُ بِحَسَبِ عَقليَّةِ البيانيِّ وثَقَافتِهِ ومِرْجِعيَّتِهِ هُو فَهْم كِتابِ الله تَعَالى وتِبْيَان دَلالات أَلَافِيظَ الإِفراديَّة والتَّركيبيَّة واسْتِمْدَادُ ذَلِكَ مِن عُلُوم اللُّغةِ والبَلَاغةِ والفِقْهِ وأُصُوله وعِلم القِراءاتِ وغيرها مع الوقوف على مَقَاصِدِ الآياتِ ومَدَالِيلِها بِقَدْرِ الطَّاقةِ البَشَرِيَّةِ وهُو التَّعْرِيفَ الأَكْثَر مَقْبُولِيَّة.

* الثَّانِية: لَمَّا كَانَ القُرآنُ الكَرِيمُ نَصًّا مُعْجِزًا مُطْلَقًا مُؤسِّسًا، فَهُو مَصْدرٌ إلهيّ وعطاءٌ خَالِدٌ لاتَفْنَى عَجَائِبُهُ ولاتَنْتَهِي غَرَائِبه سَخِيُّ المُوردِ لايَنْضَبُ عطاؤُهُ، كَانَتْ القِراءاتُ والبياناتُ والمُمارسَات والمُرَاجعَات والمُكَاشفَات تَتَرَى عَلِيه بَيَانًا وكَشْفًا وتَفْسِيرًا ؛مِنْ أَجلِ اسْتِكْنَاه حقائقِهِ واسْتِخْرَاج دقائقِهِ واسْتِشْرَاف مَقَاصِدِهِ واسْتِعْلَام وجوهِ إِعْجَازِهِ والظَّفرِ بعلومِهِ،من هُنَا كَثُرَتْ القِراءاتُ وتَنَوَّعَتْ المِمارساتُ التَّفسيريَّةُ وتَلَوَّنَتْ المناهجُ، ومِن هذه المناهج أَوِ المُمارسات التَّفسيريَّة البيانيَّة (التَّفسيرُ البيانيُّ) الَّذِي يُعَدُّ مِن المَنَاهِجِ الحَدِيثَةِ تَأصِيلًا وتَجْدِيدًا وتَوفِيقًا بينَ ممارساتٍ تَفسيريَّةٍ ثابتةٍ وممارساتٍ تَفْسيريَّةٍ مُتغيرةٍ.

* الثَّالِثة: ثَمَّةَ تَشَابُكٌ مَعْرِفِيٌّ وتَدَاخلٌ بَيْنِيٌّ للعُلُوم في هذا المنهج التَّفسيريِّ، وهذَا ما أَلَحْتُ إِليهِ عِنْدَ الحَديثِ عن بَعضِ المَنَابع الأُولَى لِهذا التَّفسير الَّتي تُمَثِّلُ إِشَارَاتٍ

اسْتِبَاقِيَّةً ومُكَاشَفَاتٍ تَعْرِيفيَّةً، ومُراجعاتٍ تَوضيحيَّةً لَهُ، مِن هنا فإنَّ هذا المنهج التَّفسيريّ يُجسِّدُ مَنْظُومةً بَيَانِيَّةً مِن العُلُوم يَجدُرُ بالمُشْتَغِلِ بهذا المنهج والمُمارس لَهُ أَنْ يكونَ وَاعِيًا حَاذِقًا مَوْسُوعِيًّا قَادِرًا على اسْتِجْمَاعِ الآلياتِ والخُطُوات البَيَانيَّة في ضَوءِ القراءةِ الصَّبور والمُراجعة الطَّمُوح للمَنَابعِ البَيَانيَّةِ كَافَّةً إنْ لُغويَّةً وإنْ بلاغيَّةً وإنْ رُوائيَّةً (حَدِيثَيَّة) وإنْ فِقْهيَّةً وإنْ أُصُولِيَّةً وإن مُتَعَلِّقةً بالتَّفسيرِ وعُلُومِ القُرْآن وتَأويلِهِ ومُشْكِلِهِ وغريبِهِ وكَذَلِكَ المُتَعلِّقة بِكُتُبِ التَّجويدِ والقِراءاتِ وغيرها .

* الرَّابِعَة: اسْتبَانَ أَنَّ هذا المنهج التَّفسيريّ البيانيّ مِن المَنَاهِجِ المُهِمَة الَّتي تُحَاوِلُ أَنْ تَصِلَ إلى أَعْلَى دَرَجَات البيانِ وأَسْمَى مَرَاحِلِ الكَشْفِ عنِ النَّصِّ القُرآنيّ، فَهُو منهجٌ استقرائيٌّ اسْتِجْمَاعيٌّ قَائِمٌ على لُمْلَمَةِ مَجْمُوعَة بيانيَّة كَبيرة مِن الآلياتِ والخُطُوات الَّتي تَصُبُّ جَمِيعُها في اسْتِظْهَارِ الدَّلالاتِ وتَكْشَاف المَعَانِي والإمْسَاك بالحقائقِ والظَّفر بالمَقَاصِدِ وهِي رَكَائِزُ وأَبنيَّةٌ وأُصُولٌ في بُلُوغِ القِمَّةِ فِي تَفْسِيرِ النَّصِّ القُرآنيِّ.

* الخَامِسَة: ظَهَرَ فِي ظِلِّ الوُقُوفِ على الآلياتِ والخُطُوَات الَّتي وظِّفَتْ مِن لَدن المُشْتَغِلينَ في ممارسةِ هذه القِرَاءة البيانيَّةِ للنَّصِّ القُرآنيِّ أَنَّها لَمْ تَضْرِبْ فِي أَعْمَاقِ مَعَالِمِ هَذِه الخُطُوَات والآلياتِ، فَجَاء التَّحْلِيل في تَوظيفهَا بَارِدًا سَطْحِيًّا يَفْتَقِر إلى التَّحليلِ العَمِيق والتَّوضيحِ المُبين، وهذَا ما تلمستُه في اشتغالِ الدُّكتور فاضل السَّامرائيّ في كتابِهِ القَيِّم (على طريقِ التَّفسير البيانيّ) الَّذي أَقرَّ في مقدّمةِ كتابِهِ أَنَّه لَمْ يُسَمِّه تَفْسِيرًا بَيَانيًّا بَلْ هُو على طريقِ التَّفسيرِ البيانيِّ ؛لإِحْسَاسِهِ أَنَّ مُمَارَسَتَهُ البيانيَّة لَمْ تَصِلْ إلى المرحلةِ الَّتي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى (تَفْسِيرًا بيانيًّا) .

* السَّادِسَة: اسْتَشْعَرَ البَاحِثُ أَنَّ الآلياتِ التَّطبيقيَّةُ والخُطُوَاتُ الإجْرَائِيَّةُ العَمَلِيَّةُ الَّتِي أُشْتِغلَ عَليها ووظِّفَتْ مِن الَّذِينَ مَارَسُوا هذا المَنْهَج لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَن يُحيطُوا إحاطةً كُلِّيَّة بَلْهَ تجزيئيَّةً بِهَا، فَثَمَّةَ آلِيَات مُهمة أُغْفِل عَنْهَا ولاسِيما المَناهج اللِّسانيَّة الحَديثة، والمَناهج النَّقديّة الأُخرى المُتَصِلَة بعلمِ الاجتماعِ وعِلم النَّفسِ، وعِلم الأَخلاقِ وعُلُوم

التَّربيةِ وغيرها.

* السَّابعَة: فِي ظلِّ مُعَايَنة المُمارَسَات البَيَانِيَّة للتَّفسيرِ البيانيِّ مِن لَدُن المُشْتَغِلِينَ بِهَذَا المَنْهَج (التَّفسير البيانيّ) وجدنَا غِياب التَّسييج البَاصِر والإِحَاطة المُرَادة بالمَفَاهِيم العَامَّة للسُّورِ، فَضْلًا عَن ذَلِكَ نَلْمَحُ قُصُورًا فِي مُتَابَعةِ المَوضوعاتِ ولاسيما فِي خُطُواتِ النَّسقِ المَوضُوعيِّ سُواء أَكانَ عَن طريقِ إِيجادِ نَسق مفوميّ لأَلفاظِ القُرْآن الكَريم في السُّورةِ فَضْلًا عَن المُوضُوعيّ المُحْوَرِيّ والجَوْهَريّ فَي السُّورةِ.

* الثَّامِنَة: لابُدَّ فِي هذَا المَنهج التَّفسيريّ مِن إِعطاءِ أَسباب النُّزول حَيزًا فِي المُمارساتِ التَّطبيقيَّة، فضلًا عَنْ ذَلِكَ تَحْشِيد الرُّواياتِ الحَدِيثيَّةِ الوَارِدَةِ عَنْ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وكَلَام المَعْصُومِينَ عليهم السلام، لأَنَّهَا تُمَثِّلُ الثِّقْلَ الآخر بَعْدَ كِتَابِ الله عزّ وجل.

* التَّاسِعَة: تَبَدَّى أَنَّ اسْتِظْهَارَ القَولِ في هذه الخُطُوَات التَّطْبِيقِيَّة والآلياتِ الإِجْرَائِيَّة في التَّفسيرِ البيانيِّ مَحُوجٌ إِلى إِطَالَةٍ يَقِفُ الزَّمنُ والإِلتِزَام بِحَجْمِ صُحُفِ البحثِ حَائِلًا أَمام إِتمامها فَيَجِبُ أَن نَتَرَقَّى فِي سَرْدِها وإِعْمَالِ تَطْبِيقِهَا في كُلِّ آيَةٍ مِن السُّورةِ المُفسَّرةِ، مِن هُنَا فإِنَّ مَرامَ اسْتِقْصَائِها عَسِير جِدًّا.

* العَاشِرَة: اعْتِمَادُ التَّفسير البيانيّ عَلى التَّفسيرِ المَوضُوعيّ الَّذي يُمَثِّل جَولةً بيانيَّةً في القُرآنِ الكريم مِن أَجلِ إِيجادِ نَسَق مَفْهُوميّ في فَهْم القُرآن الكريم وكذَلِكَ الاعْتِمَاد على عِلمِ المُنَاسبةِ مِن بابِ رَبْطِ المُقَدِّماتِ بالخَواتيمِ والاسْتِهْلَالَاتِ بالنِّهايَاتِ.

* الحَادِيَة عَشْرَة: الدَّعوةُ إِلى دِراسةِ التَّفسيرِ البيانيِّ دِراسةً مُوسَّعَةً في ظِلَالِ سُورِ القُرْآن الكريم، ومُحَاولة إِنْجَاز مَشْرُوع تَفْسِيريّ بيانيّ لِكتَابِ الله عزّ وجل يَفْتَحُ آفَاقًا جَديدةً في هذا المنهج ويُقَرِّبُ الدَّلالةَ المُرَادة لكتابِ اللهِ عزّ وجل أَلفَاظًا وتَرَاكيبَ مع تبيانِ المَقَاصِدِ والمَداليلِ.

المصادرُ والمراجعُ

الكتبُ المطبوعةُ

١. القُرآنُ الكَرِيمُ.

٢. أَبجد العلوم: أبو الطَّيب محمّد صدّيق خان القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ)، ط١، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ٢٠٠٢م.

٣. أَبحاثٌ في بلاغةِ القُرآن الكريم: محمد كريم الكواز، ط١، الانتشار العربي، بيروت – لبنان، ٢٠٠٦م.

٤. الإتقانُ في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السّيوطيّ (ت٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٥. أدبيَّة النَّصّ القرآنيّ بحث في نظرية التَّفسير: عمر حسن القيَّام، ط١،المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ، بيروت- لبنان، ١٤٣٢ه-٢٠١١م.

٦. الأساليب النحوية: محسن عطية، ط١، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان،٢٠٠٧م.

٧. أساليب بلاغية، الفصاحة-البلاغة-المعاني: د.أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، ط١،وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٠ م.

٨. أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص: د. عماد الدين الرشيد، دار الشهاب، ١٩٩٩م.

٩. أسرار ترتيب القرآن: جلال الدين السيوطيّ(ت٩١١ه)، ت: عبد القادر أحمد عطا، ط١، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس،١٩٨٣م.

١٠. أصول البلاغة: كمال الدَّين البحراني(ت٦٩٩هـ)، إشراف وتقديم: جعفر السبحاني، ط١، دار جواد الأئمة، بيروت-لبنان ٢٠١٢م.

١١. أصول التفسير ومناهجه: د. فهد بن عبد الرحمن، ط٣، الرياض، ٢٠١٧م.

١٢. إعجاز القرآن: أبوبكر محمد ابن الطيب الباقلانيّ(٤٠٣ه)، تحقيق احمد صقر، د.ط، دار المعارف، مصر، د.ت.

١٣. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: د. عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة بـ(بنت الشّاطئ)،ط٣، دار المعارف، د.ت.

١٤. الإعجاز الصَّوتيّ في القرآن الكريم: د. عبد الحميد هنداويّ،ط١،الدّار الثقافية للنشر،مصر،١٤٢٥ه-٢٠٠٤م.

١٥. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفيالرافعي (ت ١٣٥٦هـ)، ط٨، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
١٦. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال من العرب والمستعربين والمستشرقين: خير الدين الزركلي، ط٤، دار العلم، بيروت، ١٩٧٩م.
١٧. الأقسام في القرآن الكريم: جعفر سبحانيّ، ط١، دار جواد الأئمة،بيروت-لبنان،٢٠٢٠م.
١٨. أَمالي المفيد: محمد بن محمد المفيد(ت٤١٣ه)، ط١، الناشر مؤتمر الشيخ المفيد،قم، ١٤١٣ه.
١٩. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشّيرازيّ، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ٢٠١٣م.
٢٠. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين الشيرازي البيضاويّ(ت٦٩١هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، د.ت.
٢١. أنواع التَّصنيف المتعلِّقة بتَفسير القُرآن الكريم: د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، ط٣، دار ابن الجوزي، ١٤٣٤ه.
٢٢. أَهم خصائص السور المكيّة ومقاصدها: د.أَحمد عباس البدويّ، ط١، دار عمار، عمان، ١٤٢٠ه-١٩٩٩م.
٢٣. إيجاز البيان عن معاني القرآن: نجم الدين أبو القاسم النيسابوري، (ت٥٥٠هـ)، ت: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت - ١٤١٥ه.
٢٤. الإيضاح في علوم البلاغة: محمد بن عبد الرحمن أبو المعالي جلال الدِّين القزويني (ت ٧٣٩هـ) المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣،دار الجيل، بيروت،د.ت.
٢٥. البحث الدلالي عند السيد محمد صادق الصدر(ت١٩٩٩م-١٤١٩هـ): د. رحيم كريم الشريفي، ط١، دار الضياء للطباعة والتصميم، النجف، ٢٠٠٨م .
٢٦. البحر المحيط في التَّفسير: أبو حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر،بيروت،١٤٢٠م.
٢٧. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة: عبد الفتاح القاضي(ت١٩٨٢م)، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ١٤٠١هـ.
٢٨. البرهان في تناسب سور القرآن:أحمد بن إبراهيم الغرناطي (ت: ٧٠٨هـ)، ت: د.سعيد بن جمعة الفلَّاح، ط١، دار ابن الجوزيّ، المملكة العربية السعوديَّة، ١٤٢٨ه.
٢٩. البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي(ت٧٩٤هـ)، ت:محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت.
٣٠. بَصائِرُ ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز: أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آباديّ(ت٨١٧ه)،،

ت: محمّد عليّ النّجار، ط٣، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٦م.

٣١. البلاغة الواضحة: علي الجارم – مصطفى أمين، د.ط، دار المعارف، مصر، د.ت.

٣٢. البلاغة والتّطبيق: د. أحمد مطلوب، الدكتور كامل حسن البصير، ط٢، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق،١٩٩٩م.

٣٣. البلاغة والسرد جدل التّصوير والحِجاز في أخبار الجاحظ: د.محمّد مشبال،ط١، منشورات كلية الآداب، تطوان– المغرب، ٢٠١٠م.

٣٤. بنية العقل العربي: الدكتور محمد عابد الجابري، ط١٠، مركز دراسات الوحدة الإسلامية، بيروت، ٢٠١٠م.

٣٥. البيان في تفسير القرآن: أبو القاسم الخوئيّ (ت١٤١٣ه)، تحقيق: تحقيق جعفر الحسينيّ، ط٦، دار الثّقلين، طهران، ١٤٢٩ه.

٣٦. البيان والتّبين: أبو عثمان عمرو الجاحظ(ت٣٥٥هـ)، ت: عبد السلام محمد هارون، ط٩، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م.

٣٧. تأريخ القرآن وعلومه: د. سيروان عبد الزهرة الجنابيّ، ط١، دار الأمير، النجف الأشرف، ١٤٣٧ه– ٢٠١٥م.

٣٨. التّبيان في تفسير غريب القرآن: محمد حسين الشهرستاني الحائري(ت١٣٤٤هـ)،ت:د. عادل الشاطي، ط١، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، العراق– كربلاء المقدسة، ٢٠١٤م.

٣٩. التّبيان في تفسير القُرآن: الطُّوسيّ(٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العامليّ، ط١،، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت– لبنان، ١٤١٢ه .

٤٠. التّحرير والتّنوير «تحرير المعنى السّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمَّد الطَّاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، د.ط، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.

٤١. تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسيّ (ت ٧٤٥هـ)، ت: سمير المجذوب، ط١، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٤٢. التّحقيق في كلمات القرآن الكريم: حسن المصطفوي، ط١،مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي – مركز نشر اثار العلامة المصطفوي، طهران، ١٤١٦ه.

٤٣. التّصوير الفني في القرآن: سيد قطب، د.ط، دار المعارف، مصر، ١٩٥٦م.

٤٤. التّطبيق الصرفي: د.عبده الرّاجحيّ،د.ط، دار النّهضة، بيروت،د.ت.

٤٥. التّعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)،ت: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

٤٦. تفسير ابن عربيّ: محيي الدين بن عربي(ت٦٨٣هـ)، قدم له: عبد الوارث محمد عليّ، ط١، منشورات محمد علي بيضون- دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٢٠٠١م.
٤٧. التَّفسير البيانيّ للقرآن الكريم: الدكتورة عائشة عبد الرحمن(ت١٩٩٨م)،ط٥،دار المعارف، مصر، ٢٠٠٤م.
٤٨. تفسير جزء عمَّ: محمَّد عبده(ت ١٩٠٥ه)، د.ط، دار مكتبة الهلال، بيروت - لبنان، ١٩٨٥م.
٤٩. تفسير سورة الصَّافَّات (دراسة تحليلية): زكي خليل إبراهيم،د.ط، دار الكتاب المصريّة،٢٠٠٨م.
٥٠. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، ط١،الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت - ١٤١٩ ه.
٥١. التَّفسير اللّغويّ للقرآن الكريم: د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، ط١، دار ابن الجوزي، ١٤٣٢هـ.
٥٢. التَّفسير الموضوعيّ للقرآن الكريم وموضوعاته: د.حكمت عبيد الخفاجيّ، ط١،دار الرضوان، عمان،٢٠١٣م.
٥٣. التفسير نشأته،تدرجه، تطوره: أمين الخولي، دار الكتاب اللبناني، بيروت،١٩٨٢م.
٥٤. التَّفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، ط١، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ١٩٩٧م.
٥٥. التَّفسير والمفسرون في ثوبه القشيب:محمد هادي معرفة،الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية،ط٢، موسسة الطبع والنشر في الاستانة الرضوية المقدسة، ١٤٢٥هـ
٥٦. تلخيص البيان في مجازات القرآن: الشريف الرَّضيّ(ت٤٠٦ه)، ت:د. علي محمود مقلد، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ط، بيروت- لبنان، د.ت.
٥٧. التَّلخيص في علوم البلاغة: الخطيب القزويني(ت٧٣٩ه)، تحق البرقوقي، ط٢، دار الفكر العربي-المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٣٢م.
٥٨. التَّمهيد في علوم القرآن: محمد هادي معرفة، د.ط، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠١١م.
٥٩. تهذيب اللّغة: أبي منصور محمد الأزهري(ت٣٧٠هـ)، ت: إبراهيم الإبياري، د.ط، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.
٦٠. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: الرُّمانيّ(ت٣٨٤ه) - الخطابيّ(ت ٣٨٨هـ) - الجرجانيّ (ت٤٧١ه)، ت: محمد خلف الله - محمد زغلول سلام، ط٣،دار المعارف، مصر، ١٩٧٦م.
٦١. ثواب الأعمال وعقاب الإعمال: أبو جعفر محمّد بن علي بن موسى بن بابويه الصدوق (ت٣٨١ه)، ت: السيد محمد مهدي، السيد حسن الخرسان، الطبعة الثانية، مطبعة أمير - منشورات الشريف الرضي، قم، د.ت.
٦٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمّد الطبريّ(ت٣١٠هـ)، ت: د. عبد الله التركي، الطبعة الأولى، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١م.

٦٣. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون المؤلف: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفَّى: ق ١٢هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٦٤. الجامع لأحكام القرآن: القرطبي(ت٦٧١ هـ)، ت:الدكتور عبد الله بن المحسن التّركيّ،مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت–لبنان، ١٤٢٧ه–٢٠٠٦م.

٦٥. جوامع الجامع: أبو عليّ الطبرسيّ (ت٥٤٨ه)، ط٣، تحقيق ونشر: مؤسسة النَّشر الإسلاميّ،١٤٢٤م.

٦٦. الجوهر الثَّمين في تفسير الكتاب المبين: عبد اللهّٰ شبر (ت ١٢٤٢هـ)، تحقيق: أسامة الساعدي، ط١، سليمانزاده (ذوي القربى)، قم، ١٤٣١ه.

٦٧. الحدود الأَنيقة والتَّعريفات الدَّقيقة: القاضي زكريا بن محمد الأنصاري(ت٩٢٦هـ)، ت: الدكتور مازن المبارم،ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت –لبنان، ١٩٩١م.

٦٨. الحدود في النَّحو: أبو الحسن علي بن عيسى الرماني(ت ٣٨٤هـ) طبعت مع رسالتين(كتاب تمام فصيح الكلام لابن فارس)ا و(كتاب منازل الحروف للرماني أيضاً) حققها وشرحها: الدكتور مصطفى جواد ويوسف يعقوب مسكونيأد.ط، وزارة الثقافة والإعلامأ مديرية الثقافة العامةأ بغداداً١٣٨٨هـ– ١٩٦٩م.

٦٩. الخصائص :أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب،د.ت.

٧٠. الخطاب الشرعي وطرق استثماره: حمادي إِدريس، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٤م.

٧١. دروس في أساسيَّات منهج التّفسير الموضوعيّ: أ.د حكمت عبيد الخفاجيّ، ط٣، مؤسسة دار الإمام الصادق، العراق– بابل، ٢٠١٨م.

٧٢. دروس في التَّفاسير ومناهج المفسرين: فارس علي العامر، ط١، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، طهران ١٤٢٧هـ..

٧٣. دستور العلماء: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت ق ١٢هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٧٤. دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر الجرجانيّ(ت٤٧١هـ)، ط ٥، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٧٥. دلالة الاكتفاء(دراسة نقدية للقول بالحذف والتقدير): د.عليّ عبد الفتَّاح، ط١ ،مكتبة النماء،بغداد، ١٤٣١هـ..

٧٦. ديوان النَّابغة الجَعْديّ: قيس بن عبد الله الملقب بـ(النَّابغة الجعديّ) (ت٥٠ه)، ت: واضح الصّمد، ط١، دار صادر، بيروت– لبنان، ١٩٩٨م.

٧٧. ديوان النَّابغة الذُّبيانيّ: زياد بن معاوية الملقب بـ(النَّابغة الذُّبيانيّ) (ت٦٠٤ه)، ت:د. حنا نصر الحتيّ، ط١، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٤١١ه–١٩٩١م.

٧٨. رجال النجاشي: أحمد بن علي النجاشي (ت٤٥٠هـ)،ط٥،شركة الأعلمي للمطبوعات،بيروت ١٤١٦هـ..
٧٩. الرِّسالة: أبو عبد الله محمد بن إدريس المكّيّ الشَّافعي (ت ٢٠٤هـ)، ت: أحمد شاكر، ط١، مكتبة الحلبي، مصر، ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م.
٨٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، ت: علي عبد الباري عطية،ط١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.
٨١. زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢ ه.
٨٢. شرح الرّضي على الكافية: رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ)، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، د.ط، منشورات مؤسسة الصادق، طهران، ١٩٧٨م.
٨٣. ٨٢. الصَّاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها: أبي الحسن أحمد بن الفارس(ت٣٩٥ هـ)، علق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، ط١، منشورات محمد علي بيضون- دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٩٧م.
٨٤. الصناعتين(الكتابة والشّعر): أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت٣٩٥هـ)، ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم،د.ط، المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤١٩ ه.
٨٥. طبقات المفسّرين: أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (المتوفَّى: ق ١١هـ)، ت: سليمان بن صالح الخزي، ط١، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
٨٦. الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة الحسيني العلويّ (ت٧٤٥هـ)، ط١، المكتبة العنصريّة، بيروت، ١٤٢٣ ه.
٨٧. العلامة الأعرابية: د. محمد حماسة عبد اللطيف،د.ط،مطبوعات الجامعة، الكويت ١٩٨٤م .
٨٨. على طريق التَّفسير البياني: الدكتور فاضل السامرائي، ط١، دار ابن كثير، بيروت لبنان، ٢٠١٧م.
٨٩. علم غريب القرآن الكريم مراحله- ومناهجه- وضوابطه: إبراهيم بن عبد الرحيم حافظ حسين، ط ١، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ١٤٣٥ ه.
٩٠. علم المناسبات في السّور والآيات: د. محمد عمر بازمزل، ط١، المكتبة المكية، مكة المكرمة،٢٠٠٢م.
٩١. علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني): د.محمّد أحمد قاسم ود.محيي الدين ديب، ط١، مؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان، ٢٠٠٣م.
٩٢. العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ البصريّ (ت١٧٠هـ)، ت: د. مهدي المخزوميّ، د. إبراهيم السامرائيّ، د.ط، دار ومكتبة الهلال، د.ت.

٩٣. غريب القرآن وتفسيره: أبو عبد الرحمن الزّيديّ(ت٢٣٧هـ)، ت: محمد سليم الحاج، ط١، عالم الكتب، ١٩٨٥م.

٩٤. الفاصلة في القرآن: محمَّد الحسناويّ، ط٢، دار عمار، عمان، ١٤٢١ه-٢٠٠٠م.

٩٥. فتح البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ) عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري،د.ط، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بَيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٩٦. فنون البلاغة البديع- البيان: أحمد مطلوب، ط١، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٧٥م.

٩٧. في جمالية الكلمة:أ.د.حسين جمعة، د.ط، دار مؤسسة رسلان، دمشق، ٢٠١١م.

٩٨. في ظلال القرآن: سيد قطب، ط٣٢، دار الشروق، القاهرة-بيروت، ٢٠٠٣م.

٩٩. القرآن في الإسلام: محمد حسين الطباطبائي(ت ١٩٨١م)، ط١، دار الزهراء، بيروت، ١٩٧٣م.

١٠٠. الكَافِي: الكُلينيّ (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، ط٤، دار صعب ودار التعارف، بيروت، د.ت.

١٠١. الكِتاب:عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء أبو بشر الملقب سيبويه(ت١٨٠ه)، ت:عبد السلام محمد هارون، ط٣، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١٠٢. الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:الزَّمخشريّ (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرَّزاق المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربيّ،، بيروت-لبنان، ٢٠٠١م.

١٠٣. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم (حاجي خليفة) (ت١٠٦٧هـ)، د.ط، مكتبة المثنى (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)، بغداد، ١٩٤١م.

١٠٤. كشف المشكل في النحو: علي بن سليمان الحيدرة اليمنيّ (ت ٥٩٩هـ)، ت: د. هادي عطية مطر،ط١، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٨٤م .

١٠٥. الكلياتُ معجمٌ في المصطلحاتِ والفروق اللُّغويَّة: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ)، ت: عدنان درويش - محمد المصري،د.ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.

١٠٦. لباب النُّقول في أَسباب النُّزول: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، ط٤، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٣م.

١٠٧. لسانُ العربِ: محمد أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (ت٧١١هـ)، ط٣، دار صادر، بيروت،١٤١٤ هـ.

١٠٨. لطائف الإشارات لفنون القراءات: شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني (ت٩٢٢هـ)، ت: د. عبد

الصبور شاهين والشيخ عامر السيد عثمان، د.ط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٢م.
١٠٩. اللّمع في العربية: أبو الفتح عثمان بن جني الموصليّ (ت: ٣٩٢هـ)، ت:فائز فارس، دار الكتب الثقافية الكويت، ١٩٧٢م.
١١٠. مباحث في التَّفسير الموضوعي: أ.د مصطفى مسلم،ط٥،دار القلم، دمشق سوريا، ١٤٢٨ه-٢٠٠٧م.
١١١. مباحث في علوم القرآن: الدكتور صبحي الصالح، د.ط، دار الملايين، بيروت - لبنان، ٢٠١٤م.
١١٢. المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم(دراسة مقارنة): الدكتور محمد حسين الصغير، د.ط، مطبعة المؤسسة الجامعية للراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٣م.
١١٣. مجازُ القُرآن: أبو عبيدة معمر التميميّ (ت٢١٠هـ)،د.ط، مكتبة الخانجي، القاهرة.
١١٤. مجاز القرآن وخصائصه الفنية وبلاغته العربية:الدكتور محمد حسين الصغير، ط١، دار المؤرخ العربي، بيروت-لبنان، ١٩٩٩م.
١١٥. المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤٢٢ه.
١١٦. مجمع البيان في تفسير القرآن: الطّبرسيّ (ت ٥٤٨هـ)، ط١، دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٦م.
١١٧. المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت٤٥٨هـ)،المحقق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
١١٨. مُختار الصِّحاح: الرَّازيّ (ت٦٦٦هـ)، د.ط، مكتبة لبنان، لبنان، ١٩٨٦م.
١١٩. المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)، ت: خليل إبراهم جفال، ط١،الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
١٢٠. المدرسة القرآنيَّة: السيد محمّد باقر الصَّدر(ت١٩٨٠م)، الطبعة الأولى، مكتبة سلمان المحمديّ، بغداد العراق، ٢٠١٣م.
١٢١. المرتكزات البيانية في فَهْم النُّصوص الشَّرعيَّة، د.نجم الدِّين قادر كريم الزنكيّ، ط١، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميَّة، الكويت، ٢٠١٠م.
١٢٢. مشكل القرآن الكريم: عبد الله بن حمد المنصور، ط١، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٦هـ.
١٢٣. مشكلات القرآن الكريم وتفسير الفاتحة: محمد عبدُه(ت ١٩٠٥ه)،د.ط، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
١٢٤. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، ط١، دار النشر: مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.

١٢٥. المصباح المنير: الفيوميّ(٧٧٠ه)، تحقيق: عزت زينهم عبد الواحد، مكتبة الإيمان، المنصورة، ٢٠٠٨م.
١٢٦. المطوّل(شرح تلخيص مفتاح العلوم): سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني(ت ٧٩٢هـ)ت: د.عبد الحميد هنداويّ، ط١دار الكتب العلميةبيروتط ٢٠٠١م.
١٢٧. المعالم في أُصول الفِقه: فخر الدِّين الرازيّ(ت٦٦٦ه)، ت:عادل عبد الموجود وعلي عوض، د.ط،دار المعرفة، القاهرة، ١٤١٤ه-١٩٩٤م.
١٢٨. معاني القرآن: أبي زكريا بن زياد الفراء(ت٢٠٤ه)، ت:د. عبد الفتاح إسماعيل شبلي، الأستاذ علي النجدي ناصف، ط٣، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٢م.
١٢٩. معاني القرآن: أبو جعفر النّحاس(ت٣٣٨هـ)، ت:د. يحيى مراد، د.ط،دار الحديث، القاهرة،٢٠٠٤م.
١٣٠. معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق الزجاج(ت٣١١هـ)، ت: عبد الجليل عبده شلبي،د.ط، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م.
١٣١. معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية، د.ط، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرة، القاهرة، ١٩٩٦م.
١٣٢. معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب: مجدي وهبه، كامل المهندس، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٤م.
١٣٣. المعجم المفرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان،١٩٩٩م.
١٣٤. معجم علوم القرآن: إبراهيم محمد الجرمي، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٣٥. المعجم الوَسيط: د.نصَّار سيِّد أحمد وزملاءه، ط١، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت- لبنان، ٢٠٠٨م.
١٣٦. معجم مقاييس اللُّغة: أبو الحسين أحمد بن فارس(ت٣٩٥ه)، تحقيق: إبراهيم شمس الدِّين، ط١، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٢م.
١٣٧. مفاتيحُ الغيبِ (التَّفسير الكبير): فخر الدين محمَّد الرَّازيّ (ت٦٠٤ه)، ط١،دار الفكر، بيروت-لبنان، ٢٠٠٥م.
١٣٨. مفتاح العلوم: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، ط٢، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
١٣٩. مفردات ألفاظ القرآن: الرَّاغب الأصفهاني(ت ٥٠٢ه)،ت: صفوان عدنان داوودي، ط٤، دار القلم دمشق، مطبعة كيها، ١٤٢٥ه.
١٤٠. مفردات الراغب الأصفهاني مع ملاحظات العاملي:الرَّاغب الأصفهانيّ(ت٥٠٢ه)، ط١،دار المعروف

للطباعة والنشر، د.ت.

١٤١. المفسّرون حياتهم منهجهم: محمد علي إيازي، ط١، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١٤هـ.

١٤٢. مقال في الإنسان دراسة قرآنية: د.عائشة عبد الرحمن، ط٣، دار المعارف، القاهرة:١٩٩٦م.

١٤٣. مُقدّمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرميّ(بن خلدون)(ت٨٠٨هـ)، دار القلم، بيروت-لبنان، ١٩٧٨م.

١٤٤. مناهج البحث في اللُّغة: تمام حسَّان، (د.ط)، مكتبة الأنجلو المصريَّة، القاهرة، ١٩٩٠م.

١٤٥. مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب: أمين الخولي،د.ط،دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦١م.

١٤٦. مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني(ت١١٢٢هـ)، ط٣، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت.

١٤٧. منجد المقرئين ومرشد الطّالبين: ابن الجزري(ت٨٣٣ه)، تحقيق: عارف الشيخ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٤٨. من قضايا اللّغة والنحو: الأستاذ علي النجدي ناصف(ت١٩٨٢م)، ط١، دار نهضة، مصر،د.ت.

١٤٩. مَن لا يحضره الفَقيه: أبو جعفر محمَّد الصَّدوق(ت٣٨١ه)، صححه وعلّق عليه: الشيخ حسن الأعلميّ، ط٢،منشورات الأعلميّ للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٩٨٦م.

١٥٠. من وصف القرآن يوم الدين والحساب: د.شكري عيَّاد، ط٣، مكتبة مؤمن قريش، القاهرة،٢٠٢١م.

١٥١. المنهج البياني في تفسير القرآن في العصر الحديث: د.عقيدخالد العزاويّ، د.ط، مكتبة ومطبعة الرجاء، بغداد، ٢٠٠٩م.

١٥٢. المهذّب في علم التَّصريف: د.صلاح مهدي الفرطوسي، د.هاشم طه شلاش، ط١، مطابع بيروت الحديثة، بيروت، ٢٠١١م.

١٥٣. الموسوعة القرآنية خصائص السور: جعفر شرف الدّين، ت: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، ط١، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ١٤٢٠ه.

١٥٤. الميزان في تفسير القُرآن: محمَّد حسين الطَّباطبائيّ (ت ١٤٠٢ه)،ط٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٩٧٢م.

١٥٥. نزهة الألباء في طبقات الأدباء:أبو البركات الأنباري، ت:محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م.

١٥٦. النّشر في القراءات العشر: أبو الخير محمد الدمشقي الجزريّ(ت٨٣٣هـ)،ت: محمد علي الضباع، د.ط، مطبعة مصطفى محمد،د.ت.

١٥٧. نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٤م.

١٥٨. نفحات الإعجاز في ردّ الكتاب المسمّى((حسن الإيجاز)): أبو القاسم الخوئي(ت١٩٩٢م)، ط٢، مهر، قم، ١٤٠٩هـ.

١٥٩. النّكت والعيون: أبو الحسن علي الماوردي (ت٤٥٠هـ)،ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، د.ط، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د.ت.

١٦٠. نهج البلاغة المختار من كلام أمير المؤمنين: الشريف الرضي(ت٤٠٦هـ)،ت:هاشم الميلاني، ط١، ٢٠١٥م.

١٦١. نور الثّقلين: علي بن جمعة الحويزيّ(ت١١١٢ه)،ت: علي عاشور، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، د.ت.

الرَّسائلُ الجامعيَّةُ

١٦٢. أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية: في رياض الصالحين دراسة نحوية بلاغية تداولية(رسالة ماجستير): عيدة ناغش جامعة مولود تيزي وزو، كلية الأداب واللغات، قسم الأدب العربي(بلا – تأريخ).

١٦٣. أُسلوب التّقديم والتأخير في القرآن الكريم على رأي عبدالقاهرالجرجانيّ(رسالة ماجستير): محمد فواز عرسان غنام،الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا– قسم اللغة العربيَّة،١٩٩٣م.

١٦٤. التّبيان في تفسير القرآن غريب القرآن للشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد بن عماد المصري المعروف بـ(ابن الهائم) (ت٨١٥هـ)(رسالة دكتوراه):محمد عارف فاروق، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، ٢٠٠١م.

١٦٥. سورة الصَّافَّات دراسة أسلوبية(رسالة ماجستير): عدالة مصطفى موسى السَّالم،الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا ٢٠٠٧م.

١٦٦. كتب مشكل القرآن حتى القرن السادس الهجري دراسة لغوية تحليلية(رسالة دكتوراه): حامد أديينوي جمعة، جامعة العلوم الإسلامية العالمية– كلية الآداب والعلوم الإنسانية والتربوية، ٢٠١٤م.

١٦٧. المنهج البيانيّ في تفسير القرآن(بنت الشاطئ انموذجا): باب العياط نور الدين، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، ٢٠٠٧م.

١٦٨. نظريّة النَّظم عند العرب في ضوء مناهج التحليل اللسانيّ الحديث(رسالة دكتوراه): عبد الله منيف، الجامعة الأردنية، كلية الدّراسات العليا للعوم الإنسانيَّة والاجتماعية، ١٩٩١م.

البحوثُ المنشورةُ في المجلاتِ

١٦٩. التّفسير البياني عند القدامى والمحدثين- دراسة في المصطلح والتأصيل: حاجي خولة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد:١٩، العدد:٣٩، ديسمبر٢٠١٨م.

١٧٠. الجِناس والسَّجع في سورة الصَّافَّات(دراسة تحليليَّة بلاغيَّة: النِّداء راتنا فطرية، (بحث جامعيّ)، مجلة جامعة مولانا الملك- كلية الإنسانيَّة- قسم اللغة العربية وأدبها، (٢٠١٦م).

١٧١. مفاتيح الفَهم القُرآنيّ لمفهوم التَّفسير من خلال ثلاثيَّة آية الفُرقان: صورية شرفاويّ، د.عمر حيدوسيّ، مجلة العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة-جامعة باتنه، المجلد: ٢٣، العدد:٣٢، ٢٠١٥م.

١٧٢. ملامح التّفسير البيانيّ عند الشيخ ابن باديس: أ.د. مصطفى شريقن، مجلة المعيار،المجلد:٢٥، العدد:٥٥، ٢٠٢١م.

١٧٣. فَهْم النّظام اللّغويّ عند تمام حسان -قراءة في كتابي «مناهج البحث في اللغة» و«اللغة العربية معناها ومبناها»-، أ.م. محمد بودية،مجلة: حوليات المخبر، جامعة محمد خيضر- بسكرة، العدد الأول، ديسمبر ٢٠١٣م.

١٧٤. القِصّة القرآنية اصطلاحًا: د. عبد السَّتَّار الأسديّ، مجلة المشكاة، العدد:٣٢، مجلّد: ٨، ٢٠٠١م

١٧٥. الوظيفة التّرجيحيّة للسّياق عند المفسّرين: محمَّد إقبال عرويّ، مجلة أفاق الثَّقافيَّة والتُّراث، العدد: ٥٣، السنة التَّاسعة، رجب ١٤٢٢ه/ أكتوبر ٢٠٠١م.

البحوث المخطوطة

١٧٦. نسقيّة خطاب الذم والمدح في القرآن الكريم دراسة حجاجية: أ.د.رحيم كريم الشريفي- م. حسين جعفر..

المواقعُ الإلكترونيَّةُ

١٧٧. محاضرات بعنوان(علم معاني القرآن ومنظومته اللغوية القُرآنيّة): أ.د. مولاي المصطفى أبوحازم المحاضرة الثَّانية، سجلت على الشَّابكة(اليوتيوب)، بتأريخ(٢٠-٢٢ يناير ٢٠١٥)، واعتمدتْ صوتيًّا -إذ أنَّها لم تنشر بحسب اطلاعي إلى الآن، الرابط:https://www.youtube.com/watch?v=x4tC3ge5hBU.

١٧٨. محاضراتٌ في التَّفسيرِ البيانيِّ (المحاضرةُ الخامسةُ- التَّفسيرُ البيانيُّ مهادٌ وإشراقٌ): لطلبة الماجستير للعام الدِّراسيّ (٢٠٢٠ م)، الدُّكتور رحيم كريم الشَّريفيّ،ألقيت في كلية العلوم الإسلاميّة- قسم علوم القرآن، الرابط: http://staff.uobabylon.edu.iq/notfound.aspx.